الفيصل

- مفهوم فن التواصل
- الحياة باللون الأحمر!!
- متحف السودان القومي.. سياحة في حديقة الآثار
- آرني جرين: مشروع «دارة الفيصل» قربني من الملك فيصل

مجلة ثقافية شهرية - ذو القعدة/ذو الحجة ١٤٣٣هـ

٤٣٧
٤٣٨

أمة «اقرأ» .. لماذا لا تقرأ ؟

داووا مرضاكم بالصدقة

ساهم في مساعدة مرضى السرطان



بنك الراجحي	sa 1180000114608010005117
بنك سامبا	sa 1540000000007007009697
البنك الأهلي	sa 7110000024653949000106
البنك الهولندي	sa 2250000000010042264005
بنك الرياض	sa 8620000002120077499940
بنك الإنماء	sa 5505000068200067502000
بنك ساب	sa 2845000000004322111001
بنك البلاد	sa 6115000999300000170009





أرسل رسالة نصية فارغة إلى الرقم **5070** قيمة الرسالة الواحدة ١٠ ريالات

المحتويات

٦	قضايا	أمة «اقرأ» .. لماذا لا تقرأ؟	أنور طاهر رضا
٢٠	فكر	مفهوم فن التواصل	سعيدة محمد عبدالخالق
٣٠	دراسة	الحياة باللون الأحمر!!	وفيق صفوت مختار
٣٨	استطلاع	متحف السودان القومي.. سياحة في حديقة الآثار	حوى النبي علي صالح
٦٠	حوار	أرني جرين: مشروع «دارة الفيصل» قربني من الملك فيصل	عبدالله الكويليت
٦٩	قصيدة	حلوة	دينا الشهوان
٧٠	قراءة	وضع المدن العربية على ضفتي الخليج العربي في مطلع القرن العشرين	هزاع بن عيد الشمري
٧٨	قصة	أحلام هاربة	صبحة بغورة
٨٠	قصيدة	شاغلة القلوب	محمد كامل حسن
٨١	آفاق	معارض الكتب.. رحيق الثقافة	حسين حسن حسين
٩٤	الخاتمة	هل نحن بحاجة إلى إعلام خاص للأطفال؟	فوزي تاج الدين محمد



إدارة التحرير

رئيس التحرير: يحيى محمود بن جنيد
نائب رئيس التحرير: عبدالله يوسف الكويليت

هيئة التحرير

حسين حسن حسين
محسن بن حمد الخرابة
سيد علي الجعفري
يوسف باش أعيان

الإخراج الفني

الوليد إبراهيم دينار

المراسلات للتحرير والإدارة

ص.ب (٣) الرياض ١١٤١١
المملكة العربية السعودية
هاتف: ٤٦٥٣٠٢٧ - ٤٦٥٢٢٥٥
ناسوخ: ٤٦٤٧٨٥١

الاشتراك السنوي

١٥٠ ريالاً سعوديًا للأفراد، ٢٥٠ ريالاً سعوديًا للمؤسسات، أو ما يعادلهما بالدولار الأمريكي خارج المملكة العربية السعودية.

الإعلانات

هاتف: ٤٦٥٢٢٥٥ - ناسوخ: ٤٦٤٧٨٥١

رقم الإيداع
في مكتبة الملك فهد الوطنية

١٤/٢٤٥٠
ردمد ١٤٠٠-٨٥٢٠

الناشر

دار الفيصل الثقافية

www.alfisal-mag.com
contact@alfaisal-mag.com
alfaisalmagazine@yahoo.com

قرأت في مجلة الفيصل. العدد المزدوج ٤٢٧ : ٤٢٨. عدد المحرم صفر ١٤٣٣هـ/ ديسمبر - يناير ٢٠١٢م. في الصفحات ٨٦ - ٩٣. مقالاً للكاتب حسن آل حمادة بعنوان (القراءة في زمن متغير) بكثير من الشوق والاهتمام؛ لأن الموضوع مهم جداً. ويحتاج إلى كثير من التحليل والتمحيص.

ضوابط النشر

يفضل طباعة المادة المرسلة على الحاسب الآلي وإرسال نسخة على قرص مرن إن أمكن أو كتابتها بخط مقروء على ورق A4، مع إرفاق سيرة ذاتية، وصورة ملونة حديثة.

لا تفضل المجلة نشر المقالات الانطباعية التي تخلو من المعلومات.

يرجى إرفاق صور أصلية ملونة جيدة مع الاستطلاعات والموضوعات الملونة، ولا تقبل الصور المأخوذة من الصحف والمجلات.

في حال إرسال قصة مترجمة يرجى إرفاق الأصل المترجم.

لا تنشر المجلة الموضوعات المترجمة مباشرة من مجلات أجنبية، إلا إذا كان هناك إذن مسبق منها، وإن كان لا مانع من اتخاذها مصدرًا من مصادر الموضوع، مع توضيح مواضع الاقتباسات بشكل علمي.

المواد التي يعتذر عن عدم نشرها لا تعني بالضرورة ضعف مستواها، ولكن قد تكون هناك مواد كثيرة في الموضوع نفسه سبق نشرها، أو تنتظر النشر. ولا ترد المقالات إلى أصحابها في أي حال من الأحوال.

يرجى إرفاق صورة غلاف الكتاب الذي يتم عرضه في باب قراءات، مع بيانات وافية عن الكتاب المعروض تشمل عنوانه، واسم مؤلفه، ودار النشر ومقرها، وسنة النشر، وعدد الصفحات.

نأمل من الإخوة الكتاب الذين يرسلون بحثه من خارج المملكة العربية السعودية كتابة أسمائهم بالحرف اللاتيني.

الموضوعات التي مضى عليها وقت طويل ولم تنشر في المجلة بسبب الرد على الكتاب بعد إعادة تقويمها بغض النظر عن أنها قد أجيزت من قبل للنشر.

لا تمنح مكافآت على ما ينشر في بابي رسائلكم، وردود وتعقيبات.

يرجى الاهتمام بالتوثيق، ومن أهم ما ينبغي مراعاته:

يفضل تخريج الآيات القرآنية من القرآن الكريم مع تشكيلها، وذلك بذكر اسم السورة ووضع نقطتين بعدها ورقم الآية.

يفضل تخريج الأحاديث الشريفة من كتب الحديث مع ذكر طبعة الكتاب.

التثبت من النقول التي تنقل من الكتب ولاسيما المصادر والمراجع التراثية القديمة مع ذكر طبعة الكتاب.

تشكيل الشعر ما أمكن، خصوصًا القديم منه.

ضبط أسماء الأعلام والشعراء والأماكن والأشياء غير المعروفة والكلمات غير المألوفة بالشكل الصحيح، والتأكد من أن أسماء الأعلام الأجانب مطابقة لما هو متداول في لغاتهم إن أمكن.

الموضوعات التي في المجلة تعبر عن آراء كتابها ولا تعبر بالضرورة عن رأي المجلة.

السعر الافرادي

السعودية ١٠ ريالات، الكويت ٨٠٠ فلس، الإمارات ١٠ دراهم، قطر ١٠ ريالات، البحرين دينار واحد، عمان ريال واحد، الأردن ٧٥٠ فلسا، اليمن ١٠٠ ريال، مصر ٤ جنيهات، السودان ١٠٠ جنيه، المغرب ١٠ دراهم، تونس ١٫٧٥٠ دينار، الجزائر ٨٠ دينارا، العراق ٨٠٠ فلس، سوريا ٤٠ ليرة، ليبيا ٨٠٠ درهم، موريتانيا ١٠ أوقية، الصومال ٢٠٠٠ شلن، جيبوتي ١٥٠ فرنكا، لبنان ما يعادل ٤ ريالات سعودية، الباكستان ٢٠ روبية، المملكة المتحدة جنيه استرليني واحد.

الموزعون

السعودية: الشركة الوطنية الموحدة للتوزيع هاتف ٤٨٧١٤١٤ (٠١) فاكس ٤٨٧١٤٦٠ (٠١). مصر: مؤسسة توزيع الأهرام، شارع الجلاء، هاتف ٣٣٩١٠٩٥ فاكس ٣٣٩١٠٩٦ ٢٠٢. سورية: المؤسسة العربية السورية لتوزيع المطبوعات ص.ب ٣٠٠١ هاتف ٨٤٢٨٤١٢ فاكس ٢١٢٢٥٣٢ ١١ ٠٠٩٦٣. تونس: الشركة التونسية للصحافة ٣ نهج المغرب ص.ب ٧١٩ فاكس ٣٢٣/٧١٤٠٠ هاتف ٩٣٢٢٤٩ ٧١ ٠٠٢١٦. قطر: دار الشرق للطباعة والنشر والتوزيع ص.ب ٣٤٨٨ هاتف ٤٦٦١٢٨٢ فاكس ٤٦٦١٨٦٥ ٠٠٩٧٤. الأردن: شركة وكالة التوزيع الأردنية ص.ب ٣٧٥ هاتف ٤٦٣٠١٩١ فاكس ٤٦٣٥١٥٢ ٠٠٩٦٢٦. البحرين: مؤسسة الهلال لتوزيع الصحف ص.ب ٢٢٤ هاتف ٢٩٤٠٠٠ فاكس ٢١٢٢٨١ ٠٠٩٧٣. الإمارات العربية المتحدة: مكتبة دار الحكمة ص.ب ٢٠٠٧ هاتف ٢٦٦٦٩٣٥ فاكس ٢٦٦٩٨٢٧ ٤ ٠٠٩٧١. الكويت: شركة المجموعة الكويتية للنشر والتوزيع ص.ب ٢٩١٢٦ ت ١٢/١١/٢٤١٧٨١٠ فاكس ٢٤١٧٨٠٩ ٠٠٩٦٥. المغرب: الشركة الشريفية لتوزيع الصحف فاكس ٣٢/٢٢٤٠٤٠٣١ ٠٠٢١٢ ٢٢٤٠٠٢٢٣. الجمهورية اليمنية: القائد للنشر والتوزيع هاتف ٢٠١٩٠١/٢ ٠٠٩٦٧ فاكس ٢٠١٩٠٩/٧

aifaisalmagazine@yahoo.com



باقة من الأدب الجميل

أتابع منذ زمن قصير مجلة (الفيصل الأدبية)، وأعجبني أنها لا تتشدد كالمجلات المحكمة، ولا يهبط مستواها إلى مستوى المجلات الشعبية التي تدّعي أنها مجلات أدبية فتقدم من الشعر ما لا يُستساغ.

إن عدد مجلة (الفيصل الأدبية) الأخير حملني إلى عوالم من الإبداع الجميل، الذي يجمع بين الأدب العالمي ابتداءً من ملحمة جلجامش إلى الإبداع العربي الأصيل المتمثّل في كتاب (الصداقة والصديق) لأبي حيان التوحيدي، وبينهما تتمدد مساحات الجمال الأوربي لتشمل الأدب الأوزبكي والأدب التركي.

إنني أشكر لكم هذا التحفة الأدبية التي تؤكد أن هناك من لا يزال يسير على الجمر، ويسعى إلى رفد الثقافة الجادة بالجديد الممتع. وآمل أن أقدم لكم مشاركاتي الشعرية والنقدية؛ لعلها تجد طريقها إلى النشر، وحتى ذلك الحين أحييكم، داعياً الله لكم بالتوفيق.

رشيد أباظة عبدالله

الرياض - السعودية

التحرير

التنوّع سياسة (الفيصل) في إصداراتها الثلاثة، ويساعد على ذلك وجود عدد كبير من الكتّاب الذين يتعاونون مع المجلة، وهم أهل خبرة وممارسة في مجالاتهم، وفي انتظار المشاركة التي وعدتَ بها.



عودة «الفيصل» إلى الصدور الشهري

علاقتي بمجلة (الفيصل) منذ زمن بعيد؛ أي: منذ ما يزيد على ثلاثين عاماً، وأول مرة منذ سنوات تغيب عنا المجلة مدةً طويلةً، إلى ما يقرب الشهر ونصف الشهر، ووصل العدد المزدوج بدل من المفرد الواحد، فلا أدري ما أسباب هذا التأخير، ولماذا لا تنتظم (الفيصل) في الصدور شهرياً كما كانت في سنوات السبعينيات والثمانينيات والتسعينيات والألفية، آمل أن ترجع (الفيصل) إلى الإصدار الشهري، وتعود بعض أركانها القديمة: كباب دائرة المعارف، وإطلالة، وغيرها، وكذلك من حيث معالجة الأمور الإدارية والتوزيعية؛ حتى تعود إلى سالف إشعاعها القديم.

وفي الختام، أتمنى الحصول على المجلة بانتظام كلّ أول شهر عربي، وليس الانتظار الطويل. وفقكم الله إلى ما فيه الخير والسداد.

إسلام فتحي يوسف

الكرنك القديمة - مصر

التحرير

نشكر لك اهتمامك، ونقدّر هذه العلاقة الوثيقة بالمجلة، ونطمئنك بأن العودة إلى الإصدار الشهري ستكون في القريب.



ولّى زمن الخوف

جاء عدد (الفيصل) الماضي متميزاً مضموناً وشكلاً، وشدّتني كثيراً الموضوعات الحية التي تحاول التعمق في تحصيل واقعنا من خلال كتّاب متميزين يملكون العلم والخبرة والقدرات التعبيرية.

أعجبني كثيراً مقال خير الدين عبدالرحمن عن العرب وتصاعد القوة الناعمة، الذي أوضح فيه أن الحراك الشعبي العربي مثّل زلزالاً أطاح بعدد من أعتى الحكام الذين دحروا مجتمعاتهم. كما أن تحذيره من أن الاحتلال المباشر أهون من الاحتلال الناعم يجب أن يُؤخذ في الحسبان، ولعلّ كلامه عن أمريكا وثورتها خفّف خوف الذين يظنّون أن بيدها مقاليد كل شيء في العالم. كما أن ما يصيب العرب من خوف وأمل كلما جاءت الانتخابات الأمريكية يجب أن يزول؛ لأن هناك أمريكا واحدة لها يد باطشة وأخرى ناعمة، لكنها في المجمل تبحث عن مصالحها وإن اختلفت الوسيلة، وهذا حقّ علينا -نحن العرب- أن نمارسه، وأن ننظر كيف نستطيع أن نحقق مصالحنا في عالم المصالح.

روان سمير

الرياض - السعودية

التحرير

نشكر لك تعليقك الأقرب إلى التحصيل، ونفيدك بأن ملامسة الواقع سياسة تنتهجها المجلة، ونأمل مشاركة كلّ من لديه القدرة على التحليل من أجل إثراء النقاش حول قضايا الساعة.



«الفيصل» تألقت مع صيف السعودية

أتابع مجلة (الفيصل) منذ مدة ليست بالقصيرة، وشدّني في الأعداد الأخيرة زاوية (آفاق) التي استحدثتها المجلة؛ لتطوف من خلالها على بعض الأخبار الثقافية الشائقة في موضوع واحد. وأبدعت المجلة في عددها الأخير في موضوع (صيف السعودية.. ترفيه وثقافة)، الذي رصدت من خلاله احتفالات فصل الصيف في مختلف مدن المملكة، وهو ما يؤكّد أن المجلة تضم فريق عمل متميزاً يحتاج إلى الشكر والتقدير. كما أبدع مخرج المجلة في إرفاقه شعار كلّ مهرجان مع موضوعه وصورة من فعالياته؛ حتى بدا الموضوع كرنفالاً جميلاً كان خير معبّر عن كرنفالات صيف المملكة.

السيد محمد هزاع

الرياض - السعودية

التحرير

نشكر لك متابعتك، واهتمامك بما يستجدّ على صفحات المجلة، ونؤكد أن (الفيصل) تسعى دائماً إلى إرضاء قرائها بتقديم كل ما هو جديد ومفيد، وفي انتظار اقتراحاتك ومشاركاتك التي تثري صفحات (الفيصل).

أمة «اقرأ».. لماذا لا تقرأ؟

أنور طاهر رضا
أزمير – تركيا

قرأت في مجلة الفيصل، العدد المزدوج ٤٢٧ - ٤٢٨، عدد المحرم - صفر ١٤٣٣هـ/ ديسمبر - يناير ٢٠١٢م، في الصفحات ٨٦- ٩٣، مقالا للكاتب حسن آل حمادة بعنوان: (القراءة في زمن متغير) بكثير من الشوق والاهتمام؛ لأن الموضوع مهم جدا، ويحتاج إلى كثير من التحليل والتمحيص.

يبدأ المقال على شكل سؤال بالتعليق على مقال سابق للكاتب عن القراءة كتبه قبل بضع سنين، ورجع يؤيد ما قاله سابقا؛ لأنه لم يطرأ تغيير يُذكر في هذه السنوات التي حلت بين كتابة المقالين فيما يتعلق بالقراءة. ويتضمن المقال عناوين فرعية، يبدأ بعد التمهيد بالأرقام التي لا تكذب، وأمة في خطر، والكتاب والإنترنت، والتقنية الحديثة تنهض بالكتاب، وماذا عملنا؟، والكتب المقررة لا تكفي، وصراع الكتاب والإنترنت، وينتهي بالذين يمسكون الكتاب. سنناقش هذه العناوين، ونعرض عناوين جديدة هي كما يأتي:

الأرقام تتحدث

فيما يتعلق الأمر بالأرقام أقول: نعم، الأرقام لا تكذب، لكنها قد تضلّل. وقد صدق أستاذ لنا في الماجستير عندما قال إن الإحصاء كقدر الحساء: فكل ما تضعه في هذا القدر تحصل عليه بالمغرفة. ولهذا السبب ينبغي قراءة الأرقام بشكل صحيح.

يعرض الكاتب أن الأمية في الوطن العربي زادت من ٥٠ مليون أمي في عام ١٩٧٠م لكي تكون في عام ٢٠٠٩م ما مقداره ٧٠ مليون أمي. هذه الأرقام قد تكون صحيحة، لكنها مع ذلك مضلّلة. والسبب يعود إلى أن نسبة السكان خلال نصف القرن الماضي قد ارتفعت كثيراً جداً إلى أكثر من الضعف. والبلدان النامية، ومن ضمنها الوطن العربي، تعيش انفجاراً سكانياً. وإذا ما حسبت الأمية بالنسبة إلى السكان فسنجدها قد انخفضت، ونكون بذلك أقرب إلى الواقع.

حصلت على عدد السكان في الوطن العربي في عام ١٩٧٥م،

ولم أحصل على العدد في عام ١٩٧٠م: فقد كان العدد ١٠٤ مليون نسمة. واليوم وصل العدد إلى ٢٨٧ مليون نسمة. وإذا قسمنا الأميين على عدد السكان في عام ١٩٧٠م تكون النسبة نحو ٣٥٪. وبالطريقة نفسها إذا قسمنا الأميين على عدد السكان في عام ٢٠١٠م تكون النسبة نحو ٢٠٪. وهكذا نجد حسب هذه الطريقة انخفاضاً في نسبة الأمية بنحو ١١٪. وإذا أخذنا في الحسبان أن العراق قد محا الأمية في السبعينيات. ثم للظروف الطارئة التي عاشها ارتفعت الأمية أكثر من معدلاتها. والظروف الطارئة المماثلة التي تعيشها بلدان عربية أخرى. فسنضع إصبعنا على سبب من الأسباب التي تمنع انخفاض نسبة الأمية في الوطن العربي إلى ما هي أقلّ من هذه النسبة.

ونحن، وإن كنا لا نرضى بهذه النسبة، نطالب الحكومات العربية بإجراء حملات واسعة النطاق من أجل محو الأمية. خصوصاً فيما يتعلق بتعليم البنات: فطلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة. ومعظم البلدان العربية لديها من الإمكانات المادية والبشرية ما يمكّنها من إجراء مثل هذه الحملات. ولا شك أن هذه الخطوة تعدّ الخطوة الأولى لأمة اقرأ. وتستطيع عن طريقها أن ترفع من نسبة قراءاتها.

المشكلة الأساسية الآن أن عدداً من الدول العربية ليست في حالة استقرار سياسي: فإن لم يستقر البلد فلا تعليم. ولا محو أمية. ولا صحة. ولا تنمية. ولا غيرها. ونود في هذا المجال أن نذكّر السلطات السياسية العربية بأن اليابان قد محت الأمية قبل أكثر من قرن من الزمان. وطوكيو اليوم عاصمة للمعرفة الإنسانية. وهنا يكمن سرّ تقدم اليابان. كما أننا نذكر مرة أخرى أن الدول الغربية ما وصلت إلى ما وصلت إليه من تقدم ورقيّ وازدهار إلا بفضل استثماراتها في الإنسان. ولقد قيل: إن الإنسان أثمن رأسمال. واستثماره أهم من أيّ استثمار آخر. مع أن المردود منه يتأخر بالنسبة إلى غيره من الاستثمارات.

النسبة الواطئة من القراءة

يشير الكاتب إلى النسبة الواطئة لقراءة المواطن العربي. ومع عدم نفي ذلك فأنا لا أدري شخصياً كيف يُقاس ذلك؟ ومن يُجري هذه القياسات؟ وكيف يجريها؟ وكيف تحدد العينات والنسب؟ وما المحكات؟. هذه أسئلة تدور في ذهني. وأتوقع أنها تدور في ذهن كل قارئ. وأنا بوصفي تربوياً منذ أكثر من نصف قرن لم يصادفني يوما أن يسألني أحد. أو يناولني اخر استبانة. ويسألني فيه: كم كتابا قرأت في هذا الشهر أو في السنة الأخيرة؟.

إذا كان الاعتماد في ذلك على ما تنشره دور النشر العربية من كتب سنوياً. أو ما تبيعه من ذلك. فإن النسبة تعدّ مضلّلةً لمصلحة الغربيين أكثر مما تكون لمصلحتنا: فالكتب الغربية

اليابان محت الأمية قبل أكثر من قرن من الزمان، وطوكيو اليوم عاصمة للمعرفة الانسانية، وهنا يكمن سر تقدم اليابان

المشكلة أننا نقرأ باللغات الأجنبية، لكن الاجانب لا يقرؤون باللغة العربية الا ما ندر من المستشرقين ومن اصحاب الاهتمامات الخاصة



تنتشر في كل العالم. وكتبنا العربية تظلّ تراوح مكانها مع أن بعض دور النشر لها مكاتب في بعض البلدان الغربية. المشكلة أننا نقرأ باللغات الأجنبية. لكن الأجانب لا يقرؤون باللغة العربية إلا ما ندر من المستشرقين ومن أصحاب الاهتمامات الخاصة. أضف إلى ذلك أن عدداً لا يُستهان به من الكتب العربية تُنشر عن طريق مؤلفيها. فلا تدخل بذلك في الحسبان.

فوائد القراءة في الشيخوخة

تناولنا موضوع فوائد القراءة في فصل خاصّ من كتابنا: (الابتكار في اللغة العربية بين التربية والتعليم والتعلّم). وذهبنا إلى أن القراءة ضرورة دينية ودنيوية في الوقت نفسه. وتبرز أهميتها في مجالات كثيرة. أهمها أنها تنفيذ للأمر الرباني: لأن أول سورة من القرآن نزلت على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم بدأت بـ(اقرأ). وتكون القراءة بذلك عبادةً خاصةً لها ثواب عند الله. وهي تخلّص الإنسان من الأمية التي تعني الجهل. وتفتح الباب أمام الفرد للتخصّص في مجال من مجالات العلم أو الأدب أو الفن. وتوفر الاطلاع على الثقافات المحلية والعالمية. وتغذّي القراءة الروح والعقل معاً. وتسهل تكيّف الإنسان مع بيئته التي يعيش فيها. وتصقل شخصيته.

وكما أن القراءة تفيد في الطفولة والشباب. فتخلق من الشخص إنساناً متعلماً. فإنها تفيده في الشيخوخة. ويعرض الكاتب ضمن ما يعرض أهمية القراءة في إشارته إلى آراء الآخرين: لأن الذي لا يقرأ يفقد تلقائياً ٤٠٪ من إمكاناته الذهنية. وتزداد هذه النسبة باطراد كلما ابتعد الشخص من القراءة. وليس هذا فحسب. بل إن الزهايمر -هذا المرض الخبيث الذي يصيب المسنين- يكثر لدى هؤلاء الذين تنقصهم القراءة. ولدى من يبذلون جهوداً في اتجاه واحد. ومن ليست لهم هوايات. ومن تفقدهم الاتصالات الاجتماعية. وعلى العكس من ذلك. فإن القراءة. والعمل في اتجاهات ذهنية مختلفة وبدنية غير مرهقة. وحفظ القرآن الكريم والشعر. وممارسة هوايات مختلفة. ومواصلة الاتصالات الاجتماعية مع الأقارب والمعارف والأصدقاء من العوامل التي تخفف من هذا الداء الوبيل.



أسباب العزوف عن القراءة

من غير الأميين الذين لا يقرؤون لأنهم لا يعرفون القراءة. فإن المتعلمين هم أيضاً لا يقرؤون أو يقرؤون قليلاً. هذه هي شكوى الكاتب وشكوانا جميعاً. لكن الكاتب لم يسأل في مقالته: تُرى لماذا لا يقرأ العربي. أو يقرأ أقلّ من الأجنبي؟. سؤال لابد أن نسأل عنه أنفسنا ويسأل بعضنا بعضاً عنه ألف مرة ومرة. ونشرحه مليون مرة: لكي نضع إصبعنا على الأسباب. ونبحث عن حلول لها. والسبب يمكن إيجازه في نقطة واحدة. هي أن عادة القراءة لم تتشكّل لدى المواطن العربي خلال سنوات الدراسة الطويلة. وبعبارة أخرى: لم تفلح مدارسنا في تشكيل عادة القراءة لدى طلابها. ومن أجل تشكيل عادة القراءة لابد أن تُبذل جهود جبارة في المدارس على اختلاف مراحلها.

الجانب السلبي المهم للمواد المطبوعة أنها تحتل مكاناً في الفراغ، وهو ما يشكل مشكلة كبيرة مع مرور الزمن

- الكتاب المقرر الواحد:

يرى الكاتب أن الكتب المقرّرة لا تكفي. وهو محقّ فيما يدّعيه، وأنا أوافقه فيه، لكن الكتب المدرسية أيضاً لا يمكن الاستغناء عنها. المشكلة الأساسية في الوطن العربي هي الكتاب المقرّر الواحد. لننظر إلى آثار هذا النوع من المنهج: فعندما كنا ندرّس في التعليم الابتدائي، ونطلب من طفل في الصف الأول الابتدائي، وقد تعلّم حروف اللغة العربية جميعاً، أن يقرأ لوحة في الشارع، كان يجيب فوراً: أنا لا أستطيع ذلك. فنسأله عن السبب، فيجيب ببراءة الأطفال المعهودة: هذه الكتابة غير موجودة في كتابنا. وإنني أتذكر عندما كنا في بريطانيا ندرس الدكتوراه فإن ابنتي في روضة الأطفال قرأت في عام واحد عشرة كتب، وقد زرتُ مرةً مدرسة ابني في الصف الثالث الابتدائي، والتقيت معلمته في الصف، وسألتها بالذهنية العربية عن الكتاب المقرّر في القراءة، ففتحت المعلمة خزانة الكتب في الصف، وأرتني مجموعةً من الكتب تبلغ ثلاثين كتاباً، وأجابت: هذه الكتب جميعاً هي كتب مقرّرة.

وهنا لابد من التعريج على ظاهرة خاصة نسميها في علم النفس (انتقال أثر التعلّم)، الذي يصعب كثيراً مع الكتاب المقرّر



الكتاب المقرر الواحد له محاذير أخرى كثيرة، لعل أهمها أنه يخلق ذهنية غير مرنة، لا تقبل الاراء الأخرى

القراءات في الكتب الدراسية القليلة لا يمكن أن تكون سببا لتشكيل عادة القراءة عند الطلاب في معظم الأحايين

توصيات تساعد على القراءة

- إنشاء المكتبات الصفية، إضافةً إلى المكتبات المدرسية، والإكثار من القصص الشائقة في هذه المكتبات.
- وضع دروس للمطالعة الحرة في المنهج الدراسي لا تقلّ عن درسين أو ثلاثة دروس في الأسبوع.
- على السلطات السياسية العربية أن تعلم أن محو الأمية هو من أهم واجباتها الأساسية، وأنها مسؤولة عن ذلك أمام الله. وعليها أن تعمل أقصى ما يمكن عمله في هذا المجال.
- تحويل الأنظمة التربوية الحالية في الوطن العربي إلى أنظمة تربوية تركّز في الطالب، ويطبق فيها نظام الكتب الدراسية المتعددة.
- على المعلمين وإدارات المدارس وأولياء الأمور اتخاذ عادة إهداء كتاب لمن يجيد في أمر من الأمور، ومناقشة فحوى هذه الكتب بعد قراءة الطلاب لها.
- تزيين اللوحات المدرسية بالمنشورات الجديدة، أو أغلفتها، أو مختصراتها، وتوفير هذه الكتب في مكتبة المدرسة، وتشجيع الطلاب على قراءتها.
- إجراء المسابقات القصصية والشعرية بين الطلاب.

إفلاس دور النشر

سنرى قريباً إفلاس دور النشر العربية وإغلاقها واحدة بعد أخرى، وهو أمر محزن لنا؛ إذ تنخفض المطبوعات في الأسواق العربية، ولا تقاوم هذه المنافسة إلا من تستطيع من هذه الدور أن تبدّل من سياساتها القديمة لتواكب عصر التكنولوجيا بالتكنولوجيا؛ لأن الإنترنت إذا كانت تنافس الكتب الورقية من ناحية فهي تيسّر بيعها من ناحية أخرى، كما تفتح مجالاً جديداً للقراءة لم نكن نعهده من قبل، وهو القراءة الإلكترونية.

الواحد. أضف إلى ذلك أن الكتاب المقرّر الواحد له محاذير أخرى كثيرة، لعل أهمها أنه يخلق ذهنية غير مرنة، لا تقبل الآراء الأخرى، ولا تتحملها بأيّ شكل من الأشكال، وهو جانب مهم جداً؛ لأنه يقف حجر عثرة أمام الابتكارات. والكتاب المقرّر الواحد لا يخلق لدى التلاميذ عادة القراءة التي نحن بصددها الآن.

- أفضلية القراءة على الاستماع:

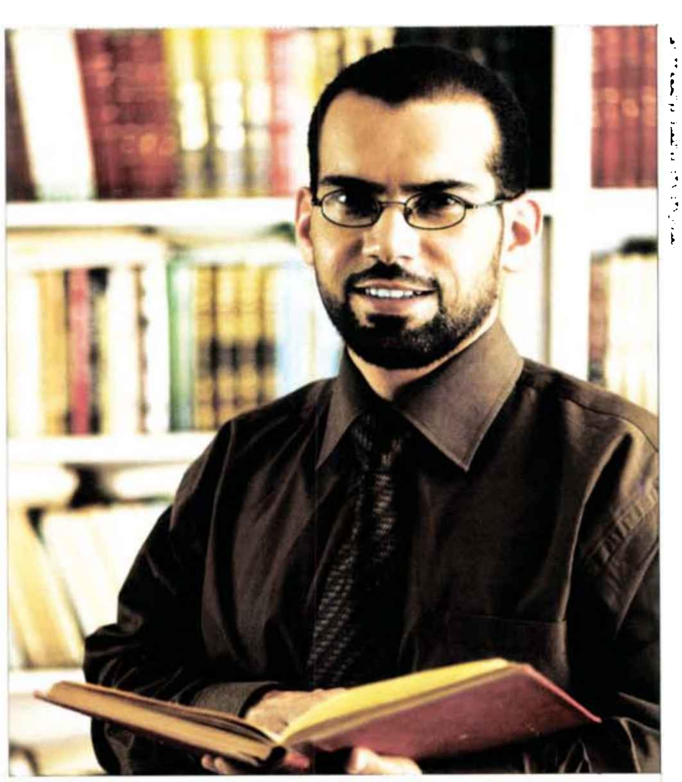
أشار الكاتب ضمن ما أشار إليه إلى أن القراءة أكثر ترسيخاً من الاستماع إلى المحاضرات، وأورد بعض الأرقام في هذا المجال. وواقع الحال ليس كذلك؛ إذ أريد أن أذكر للكاتب والقارئ نتائج بحوث ودراسات كثيرة كنتُ أدرّسها في موضوع التقنيات التربوية أيام كنتُ في الجامعة قبل التقاعد، وتوصّلت هذه البحوث والدراسات إلى أننا نتذكّر ١٠٪ مما نقرأ، و٢٠٪ مما نسمع، و٣٠٪ مما نشاهد، و٥٠٪ مما نسمع ونشاهد، و٧٠٪ مما نقول، و٩٠٪ مما نقول ونفعل. وأريد أن أذكر أيضاً أن القراءة الجهرية أكثر ترسيخاً في الذهن من القراءة الصامتة، والسبب يعود إلى أن القارئ يسمع ما يلفظه، فتشترك حاسة السمع مع حاسة النظر. المبدأ هو كلما ازداد عدد الحواس المشاركة في التعلّم كان التعلم أكثر ترسيخاً. وهذا لا يعني بالمرة الاستغناء عن القراءة؛ لأن القراءة طريقة ذاتية مستقلة يلجأ إليها الشخص متى شاء، وأينما شاء، من دون ارتباط بالآخرين، أو بجهاز قد لا يتوافر في كل مكان.

- جمود الكتب المدرسية:

الكتاب المدرسي لا يشوّق للقراءة شأنه شأن أيّ دراسة أكاديمية علمية تحتاج إلى التركيز المكثف، وعدم تفويت أيّ شيء؛ لأنه قد يُطرح على شكل سؤال في امتحان، وعدم تذكّره قد يسبب رسوباً في الامتحان، وتأثيراً في مستقبل الطالب. وهذا يعني أن الطلاب مُجبرون على قراءات غير شائقة. والفرض والإلزام يسبّبان النفور والنبذ إن لم تكن القراءة بدافع داخلي يشعر الطلاب بلذة خاصة من القراءة. وهكذا نستطيع أن نقول: إن القراءات في الكتب الدراسية القليلة لا يمكن أن تكون سبباً لتشكيل عادة القراءة عند الطلاب في معظم الأحايين.

- السباق من أجل النجاح:

الطلاب في حالة سباق لا نهاية له من أجل النجاح: فالامتحانات مستمرة، والآباء والأمهات في حالة ترقب لنتائجها. وما يكاد ينتهي امتحان حتى يتلوه امتحان آخر. وفي نهايات المراحل امتحانات وزارية تحتاج إلى إعداد أكثر كثافةً من سابقاتها. وهذه الامتحانات هي التي تحدد مستقبل الطلاب. والعطلات تخصّص للراحة والاستجمام، وربما السفر والسياحة. وتوافر وقت للمطالعة الخارجية محدود إلى درجة كبيرة: فكيف للطلاب أن يخصّصوا وقتاً للمطالعة الخارجية في مثل هذا الجو من السباق؟. ومن غير العدل ألا تُحسب الدراسات المستفيضة للكتب المدرسية قراءةً تدخل في نسب من يتّهمون ساكني الوطن العربي بقلة القراءة. لكنهم لا يستثنون مع ذلك قراءة الكتب الدينية.



- طول المناهج المدرسية:

المنهج المدرسي طويل جداً، ويقسمه المعلمون والمدرسون على الأشهر والأسابيع والأيام، فما يفرغ يوم إلا وفيه نشاط منهجي. والمعلم في سباق مع الزمن. والمدير والمفتش يحاسبان المعلم والمدرس على أيّ تأخير أو تأخر. فأين الدروس المخصّصة للمطالعات الخارجية في هذا المنهج؟!.

- قلة الكتب الشائقة:

الكتب غير المدرسية قليلة، أو غير موجودة، أو موجودة وأسعارها غالية، وهي محشوة بالكلمات التي تُقرأ ولا تنتهي: فكلامها فيه إسهاب كثير يملّ منه القارئ والسامع. وما يكاد الطالب يمسكها، ويقرأ منها عبارات أو صفحات على أحسن الأحوال، حتى يملّها ثم يرميها جانباً.

- نقص في الثقافة المكتبية:

ليس هناك معلّم أو مدرّس أو مسؤول أو درس يعلّم الطالب كيف يستفيد من المكتبات، وإن حاول التلميذ أو الطالب فمحاولته عشوائية قد تنجح أو تخفق. وقد تكون هناك في المكتبة كتب كثيرة لا يعرف الطالب كيف يصل إليها، ولا يعرف أهميتها له. ويندر أن يأخذ معلّم أو مدرّس أو مدير طلابه إلى مكتبة المدرسة، أو مكتبة المدينة، أو معارض الكتب، ويشرح لهم كيفية الاستفادة من هذه الكتب والمجلات والمعجمات. ويندر أيضاً أن تُخصّص لوحة للإعلانات في المدارس تُعرض فيها المؤلفات الجديدة المنشورة مع نبذة مختصرة عن المؤلف والكتاب.

- صعوبة الوصول إلى الكتب:

الكتب غير المدرسية بعيدة من الطالب، وقد أُغلق عليها في دواليب متينة الصنع، وأخفيت مفاتيحها في جيوب المعلمين أو المديرين، وكأن الكتب قد أوجدت لغير الطلاب. وللاحتفاظ من التلف من أيادي التلاميذ. وما وجدت هذه الكتب لكي تقرأ، لكن لتصفّف وترتاح على رفوف هذه الدواليب. وإذا ما أراد الطالب الوصول إليها، وقلما يعرف ما في هذه الدواليب من كتب تفيده بشكل من الأشكال. فثمة إجراءات إعارة

طويلة، ومن يختبرها مرةً يتركها أخرى.

وتشير الدراسات والبحوث إلى أن سهولة الوصول إلى شيء عامل مهم جداً في الاستفادة منه، وإن صحّ لي أن أقول: إنه إذا كانت في الصفّ مكتبة فإن أعداد من يقرؤون من محتوياتها يزدادون أكثر مما إذا كانت هذه المكتبة في المدرسة، أو في المنطقة، أو في المدينة. وإذا كانت هذه المكتبة غير مغلقة فإن أعداد الطلاب الذين يستفيدون منها يزدادون مقارنةً بما إذا كانت مغلقة، ومفتاحها في جيب المعلم.

القراءة من الكتاب أم من الإنترنت؟

يرى الكاتب أن الكتاب باقٍ مع منافسة الإنترنت. نعم، إن الكتاب لن يموت مع وجود الإنترنت، مثلهما مثل السينما والتلفزيون. ويمكن إيراد أسباب كثيرة لذلك، لعل أهمها أن للكتاب تاريخاً طويلاً جداً، وأن لكلٍّ منهما إيجابيات وسلبيات، ولا يمكن أن نحصل على كل ما نريده من الإنترنت، وأن ما هو موجود في الإنترنت على كثرته غير موثّق جميعاً، ومن الصعوبة التمييز بين ما هو صحيح وما هو غير صحيح، وليست هناك طريقة في الوقت الحاضر للحد من نشر ما هو غير علمي أو مقبول كما يحصل الأمر في دور نشر الكتب. ومع كلّ ذلك، فإن الإنترنت حدّت من انتشار الكتب الورقية بعض الشيء في الوقت الحاضر كأيّ تقنية في أول عهدها، كما حدّ التلفاز من السينما في أول انتشاره، وأتوقع أن تجد العقود المقبلة نهضةً في قراءة الكتب الورقية.

لقد تطرقت إلى هذا الموضوع في كتابي (الثقافة: سباق الورقة والشاشة)؛ فالقراءة قراءة ولو كانت من الورق أو من الإنترنت، وجاء الإنترنت بدعةً تكنولوجيةً حديثةً لتنافس الورق الذي له تاريخ من القرون، وليس من السهل أن يتقبّل أهل الورق هذه المنافسة بين ليلة وضحاها، وإن أبينا أو قبلنا يظهر أن الغلبة الآن للإنترنت منذ عقدين من الزمان، وهذا يعني أن الإقبال على الإنترنت أكثر من الإقبال على الورق، ولابد لنا أن نتكيّف مع هذا الوضع الجديد وإلا فإننا سنخسر المعركة. وللقراءة من كلٍّ من الورق والإنترنت إيجابيات وسلبيات، نرصدها فيما يأتي:

- الجوانب الإيجابية والسلبية للقراءة من الورق:

المواد المطبوعة على الورق وسيلة سهلة لنقل الثقافة الإنسانية من جيل إلى آخر. وأبرز مزاياها أن الثقافة الإنسانية تتراكم على مدى الأيام والسنين؛ فالثقافة اليوم موجودة في بطون الكتب والمجلات والصحف ودوائر المعارف والمعجمات والأطالس والصور والرسوم واللوحات؛ لما لهذه المواد المطبوعة من تاريخ طويل في هذا المجال. ويستطيع الإنسان أن يأخذ هذه المواد إلى أيّ مكان يشاء، فيقرأها، أو يدقّق فيها، في الوقت الذي يكون متفرّغاً لها؛ أي أن الإنسان يستطيع أن يقرأها في المدرسة، أو البيت، أو الحديقة، أو المكتبة، أو الحافلة، أو القطار، أو أيّ مكان يعجبه، وهذا يعني أن الإنسان يتحرّر من قيود الزمان والمكان؛ فهي تستخدم وفق ما نسمّيها طرائق التعلم الذاتي المستقل. ولهذا السبب فقد قيل: إن أحسن جليس للإنسان هو الكتاب. ولربما نحتاج إلى إعادة النظر في هذه المقولة؛ فقد يقول قائل: إن أحسن جليس هو الإنترنت. وهواية القراءة هواية محبّذة تتكون لدى الإنسان بمرور الوقت، فيختلي الإنسان بالكتاب متى شاء؛ ليرشف من مناهل العلم والأدب وباقي جوانب الثقافة الأخرى.

ويستطيع الإنسان أن يقرأ المواد المطبوعة قائماً أو قاعداً أو مضطجعاً بالشكل الذي يروق له، مع أن القراءة قاعداً تعدّ أفضل أنواع القراءة وأكثرها صحةً. والقراءة من الكتاب مريحة للعين الإنسانية مقارنةً بالقراءة من الشاشة، ولا تحتاج القراءة من المواد المطبوعة إلى الكهرباء، فيتخلّص الإنسان من الأضواء والإشعاعات ومشكلاتها الصحية وتكلفتها المادية، ويترتب على ذلك من ناحية أخرى أن المواد المطبوعة يمكن اصطحابها إلى الأماكن التي لا تتوافر فيها الطاقة الكهربائية، ويُستفاد منها بالشكل المطلوب. لكن المواد المطبوعة ذات اتجاه واحد فقط؛ أي أنها تتضمن أفكار المؤلفين فقط، ولا يمكن الاتصال بهم لإبداء الرأي في هذا الخصوص إلا نادراً. وتوجد في الأسواق مطبوعات مبتذلة كثيرة، ويكون من الصعب اختيار القيّم منها، خصوصاً من الأطفال والشبان. والقراءة من الورق مكلّفة في أكثر الأحيان؛ فقد لا يكفي ما في الجيب من نقود للصرف عليها، خصوصاً أن الأهواء الإنسانية الأخرى كثيرة لا تنتهي. نعم،

يصدق الكاتب عندما يقول: إن الشاب يصرف على التدخين أكثر مما يصرف على الكتب، ويرجع ذلك إلى أن التدخين أضحى عادةً سيطرت عليه، بينما لم تصل القراءة إلى هذه الدرجة من التعوّد. وإذا كان الخيار بين الخبز والكتاب فلا أظنّ أحداً سيختار الكتاب ويترك الخبز: فالمعدة يجب أن تمتلئ أولاً لكي نفهم ما نقرأ.

إلا أن الجانب السلبي المهم الآخر للمواد المطبوعة أنها تحتلّ مكاناً في الفراغ، وهو ما يشكّل مشكلةً كبيرةً مع مرور الزمن: لما يحصل من تراكم في أعداد المؤلفات التي لا تنقطع في يوم من الأيام: إذ تخرج الكتب من المكتبات لكي تتناثر

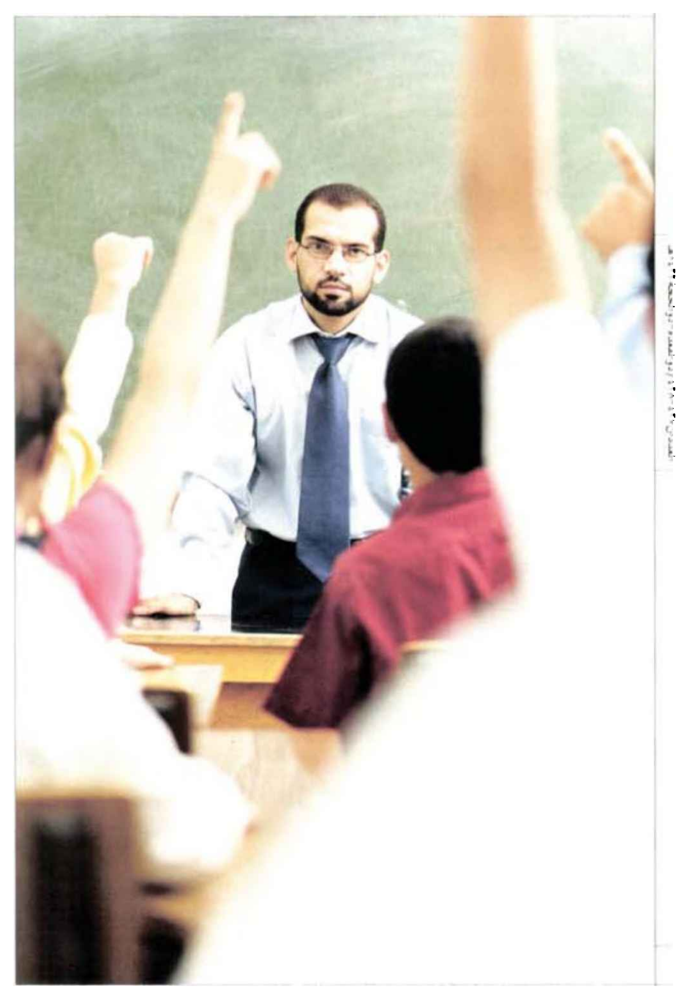


في أماكن مختلفة من البيت، فتحتل موائد الطعام، وأرائك الجلوس، عند ذلك ترفع النساء أصواتهن عاليةً من الحالة المزرية، ويتذمّرن من التبعثر، وقلة النظام، ويعجز الرجال عن إيجاد حلٍ لذلك بأيّ حال من الأحوال.

- الجوانب الإيجابية والسلبية للقراءة من أجهزة الشاشة:

الإنترنت ليست الوحيدة في هذه المنافسة مع الورق، وإنما أجهزة الشاشة بمجموعها تنافس الورق: إذ تعدّ أجهزة الشاشة وسائل اتصال جماهيرية أكثر نفوذاً من الكتاب الذي قد تعرقل اللغة نفوذه أحياناً. وتخاطب هذه الأجهزة الملايين من الناس في آنٍ واحد من دون التقيّد بالحدود: لما توفره الأقمار الاصطناعية من إمكانية إيصال الموجات الصوتية والضوئية إلى المسافات البعيدة جداً، حتى لو كانت في أقاصي الدنيا. وتخاطب أجهزة الشاشة أهم حاستين لدى الإنسان، هما: السمع، والبصر، بينما تخاطب المواد المطبوعة على الورق حاسة واحدة فقط. ولعلّ عرض الصورة والصوت في آنٍ واحد يعطي قوة في الإقناع أكبر مما يوفّره الكتاب الذي يقتصر في كثير من الأحيان على الرموز والإشارات.

وتتضمن أجهزة الشاشة الصور والحركة والألوان الزاهية.



القراءة الجهرية أكثر ترسيخاً في الذهن من القراءة الصامتة، والسبب يعود إلى أن القارئ يسمع ما يلفظه، فتشترك حاسة السمع مع حاسة البصر

لا يمكن أن نحصل على كل ما نريده من الإنترنت، وما هو موجود في الإنترنت على كثرته غير موثق جميعاً

وقد أشار الفيلسوف الصيني كونفشيوس إلى أهمية الصور في التربية والتعليم منذ أكثر من ألف عام حينما قال: إن صورةً واحدةً تعادل ألف كلمة. ومازال كلامه هذا ساري المفعول حتى يومنا هذا. وجدير بالذكر أن أجهزة الشاشة تعرض الآلاف المؤلفة من الصور في كل آنٍ وحين. بينما تكون الصور في الكتاب عادةً قليلةً أو مكلفةً، ولا تتوافر فيها الحركة التي تقرّب الفكرة من الواقع كثيراً. أما الألوان الطبيعية التي تجلب أنظار الجميع، فتكون موجودةً في أجهزة الشاشة، بينما تفتقر إليها المواد المطبوعة في أغلب الأحيان: لما تكلّف من مبالغ باهظة في الطبع.

وتخاطب أجهزة الشاشة أذهان الناس، فتنقل إليهم المواد النظرية التي تحتاج إلى كثير من التفكير، وتخاطب في الوقت ذاته أحاسيس الناس ومشاعرهم ووجدانهم، فتساهم بذلك في تغيير الاتجاهات في مواضع معينة، أو تقويتها، أو إضعافها، أو حتى تعديلها وتثبيت غيرها، كما تكوّن هذه الأجهزة اتجاهات جديدة لم تكن موجودة سابقاً. وهي تحقّق كلّ هذه التأثيرات بشكل سريع وأسهل من الكتاب. أضفْ إلى ذلك أن أجهزة الشاشة تنفع في تعليم الناس كثيراً من المهارات العملية والمهن والفنون بواسطة الأعمال الفنية التي يتم تحقيقها بواسطة هذه الأجهزة من تقريب وإبعاد، وتكبير وتصغير، وتسريع وإبطاء، مما تعجز المواد المطبوعة عن فعله.

وتتغلّب أجهزة الشاشة على كثير من العوائق التي لا تستطيع المواد المطبوعة التغلب عليها. وتتضمن هذه العوائق الزمان، والمكان، والمخاطر، والأحجام، والرؤية: فتتغلب أجهزة الشاشة على عوائق الزمان بعرض خبرات الماضي والحاضر، حتى المستقبل، فتعرض الخبرات التي حصلت في حقب زمنية طويلة الأمد في دقائق معدودة. وتتغلب على عوائق المكان بعرض الخبرات المحلية والدولية، حتى التي تخصّ الأجرام السماوية، والكواكب السيارة، والنجوم، والمجرات البعيدة من الأرض. وتتغلب على عوائق المخاطر بعرض الانفجارات النووية، والحروب، والحياة في أعماق البحار أو في الغابات الاستوائية، أو ثورة البراكين والزلازل والسيول، وغيرها. وتتغلب على عوائق الأحجام بتكبير ما هو صغير، وتصغير ما هو كبير مما لا يمكن فعله مع المواد المطبوعة. وتتغلب أجهزة الشاشة على عوائق الرؤية بعرض ما لا تستطيع العين الإنسانية المجردة رؤيته مما يحصل داخل جسم الإنسان من تنفس، وهضم، ودوران، وإخراج، وغيرها.

هل يمكن أن تكون ثقافة المستقبل بلا ورق؟

للآلة المبرمجة (الحاسوب، والإنترنت) خصائص فريدة تنفرد بها عن أجهزة الشاشة الأخرى: ففي الإنترنت اليوم مقالات، وبحوث، وقصص، وكتب، ودوائر معارف، ومعجمات كثيرة منشورة يصل إليها الإنسان من دون أن تكلفه شيئاً. وفي الإنترنت اليوم كتب يمكن تملّكها من دون دفع أيّ مبلغ، ومعجمات تحتاج فقط إلى صرف وقت ضئيل جداً يُحسب بالثواني، بعكس ما يصرفه الباحث في تصفّح أوراقها في المطبوعات على الورق من دقائق قد لا يصل بعدها إلى الهدف: فيصاب بوجع الرأس من البحث المتكرّر، وعدم الوصول إلى هدفه، فيترك الأمر وشأنه. وفي الإنترنت اليوم يمكن الوصول إلى أي آية قرآنية تتضمن كلمة معينة، أو يتأكد من أيّ قول مأثور إذا كان حديثاً نبوياً أو غير ذلك: فبكتابة كلمة واحدة، أو عدة كلمات، والضغط على زرّ أو أكثر، تُعرض الحقائق على الشاشة في أجزاء من الثانية، فكيف يستطيع الكتاب أن يقف صامداً أمام هذه التسهيلات التي لا مثيل لها؟

تؤدي هذه الآلة دوراً بارزاً في نقل أقدم المعارف الإنسانية وأحدثها وأغزرها عن طريق الإنترنت من مصادرها الأولى عبر الحدود الدولية بأشكالها المختلفة من كتابات ومصوّرات ومنطوقات. وتشكل هذه النماذج صوراً حية للابتكار يمكن أن يقتدي بها مستخدم هذا الجهاز. وتشكّل من ناحية أخرى الأرضية الخصبة التي ينبني عليها الابتكار. والجهاز في حدّ ذاته أرقى نتاج من نتاجات الابتكار، الذي يطوّر يوماً بعد يوم بشكل يبهر العقول. والعمل مع نتاجات الابتكار يرفع من مستوى ابتكارات الأفراد. وكما أن الجهاز في حدّ ذاته مجال خصب للابتكار فإن برامجه أخصب من ذلك بكثير: فبفضل هذا الجهاز ظهرت اليوم بوادر نقل الثقافة من جيل إلى آخر من دون استخدام الورق. ولدى البحث في الإنترنت يجد القارئ مواد كثيرة تحت عنوان صفوف بلا أوراق (Paperless Classroom). وفي هذا الخصوص تشير كامبن إلى مثل هذا التطور التكنولوجي: لأن استخدام التكنولوجيا المتقدمة خلق صفوفاً من دون أوراق: فالمحاضرات تُلقى، والواجبات البيتية تُؤدى، والامتحانات تُجرى جميعاً على الآلة المبرمجة من دون استخدام الأوراق. ويحصل الأساتذة على التغذية الراجعة المباشرة من الطلاب، ويزودونهم بنتائجهم على الآلة المبرمجة مباشرةً من دون الرجوع إلى استخدام الأوراق، وهم يقتصدون في كثير من الوقت الذي كان يُصرف في تسجيل المحاضرة على الأوراق. كما أن المحاضرة يتم إعدادها باستخدام الباور بوينت (Power Point) على الآلة المبرمجة مع كثير من الصور والرسوم البيانية التي تثير الدافعية لدى الطلاب، والتي تمكّن الطلاب من تركيز انتباههم من دون مشتّتات، ومن دون الحاجة إلى صرف جهود من أجل تسجيل الملاحظات: إذ يرسل المحاضر فحوى محاضرته إلى بريد الطلاب الإلكتروني. كما يحصل الذين لا يستطيعون حضور الدرس على كامل المحاضرة بواسطة الإنترنت.

ولا تطلب بعض المدارس التي تطبق نظام التدريس من دون أوراق شراء الكتب الدراسية، وبدلاً من ذلك تقدم كل شيء على الإنترنت: فجامعة شيكاغو- كنت Chicago Kent -على سبيل المثال- توفّر لطلاب السنة الأولى من كلية الحقوق الآلة المبرمجة المتنقلة (Laptop)، التي سجّلت فيها كل المواد المتعلقة بالدروس. وصمّمت المدرسة الكاثوليكية في دايتون بأوهايو برنامجاً طلبت فيه من طلاب الصف الرابع استخدام كتاب إلكتروني متنقّل سمته (Rocket eBook) لكل موضوع، ولفصل دراسي على الأقل.

وبجانب ذلك، يجمع بعض الأساتذة بين الصفوف من دون أوراق والطريقة الكلاسيكية التي تستخدم فيها الأوراق في أداء الامتحانات والواجبات البيتية فقط. وتبرز جوانب إيجابية كثيرة للصفوف من دون أوراق، ويزداد اهتمام الطلاب، ويصل إلى ذروته باستخدام التكنولوجيا المتقدمة: إذ يحصل الطلاب على درجاتهم في الامتحانات والواجبات البيتية مباشرةً من دون أيّ تأخير. ويوفر استخدام الآلة المبرمجة للأساتذة الوقت للانشغال بأمور أكثر أهمية.

أزمة دور النشر

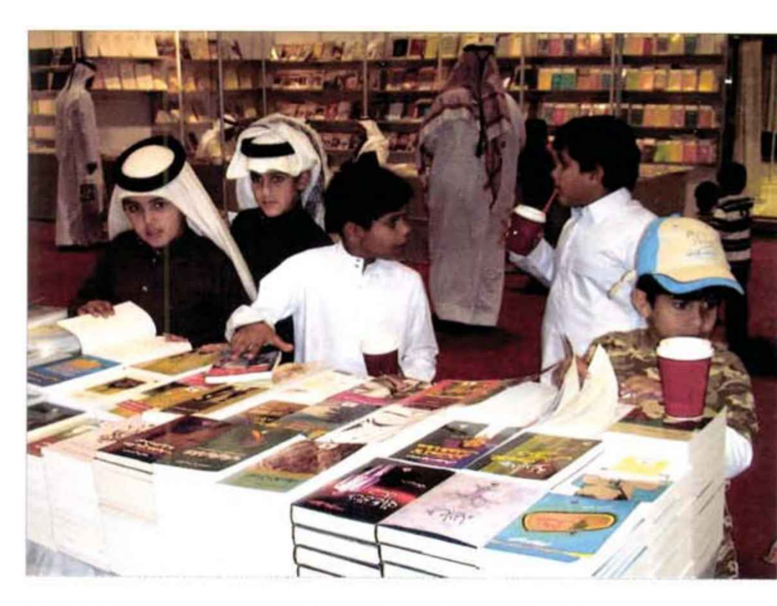
إن كنت كاتباً وخطر لك خاطر أن تنشر كتابك الذي صرفت عليه من عصارة عقلك سنوات طويلة في هذه الأيام، واتصلت بناشر، فيجيبك بأن هناك كساداً في أسواق الكتب. فتجرب ناشراً آخر، فيأتيك الجواب نفسه: لأن دور النشر العربية لم تكيّف نفسها مع هذه التطورات التقنية الأخيرة، وتتمسك بالمبدأ القديم. إما بيع الكتاب بالآلاف وإما عدم النشر، وإن حصل فالآلاف لا تُباع، والخسارة واقعة بلا شك. وأكبر دار نشر لا تملك حتى الآن بيع الكتاب إلكترونياً على الرغم من مرور أكثر من عقدين من الزمان على انتشار الإنترنت. وإذا اقترحت عليهم طبعاً ورقياً قليلاً، وإلكترونياً كثيراً، لا يصدقونك، ويجزمون بما هم فيه. أما أن لدور النشر العربية أن تطوّر نفسها بناءً على مقتضيات التطورات التكنولوجية الحديثة؟!.

إنني لأذكّر دُور النشر مع الكاتب بأن مبيعات الأمازون من الكتب الإلكترونية عام ٢٠١٠م فاقت مبيعاتها من الكتب الورقية بنسبة ٨٠٪. أليس هذا مثالاً ينبغي أخذ دور النشر العربية به؟. الكتب الإلكترونية تكلّف أقلّ مما تكلفه الكتب الورقية بالنسبة إلى الناشر والقارئ في آن واحد. أضف إلى ذلك أن هذه الطريقة لا تكلّف القارئ الذهاب إلى المكتبات ومعارض الكتب.

والبحث عما هو جديد. كما أن سهولة الوصول إلى الناشر أينما كان أمر آخر من ميزات هذه الطريقة.

ما الحل؟

هناك عدد من الحلول التي يمكن أن نسوقها في هذا المجال. لعل أهمها ما يأتي:





- النقلة النوعية:

أشار الكاتب إلى حادث إطلاق الروس قمرهم الاصطناعي الأول سبوتنك إلى الفضاء الخارجي. وحادث سبوتنك في نهاية خمسينيات القرن الماضي هو أهم حادث على الإطلاق: بسبب ما ترتّبت عليه من نتائج ذات أوجه متشعبة. ويهمنا في هذا المقام ما له علاقة بالقراءة التي نحن بصددها.

يشير الكاتب إلى أن الأمريكيين تحوّلوا نتيجة لذلك إلى أمة قارئة. ويسأل: ونحن ماذا فعلنا؟. والجواب عن ذلك: لم نفعل شيئاً. أو فعلنا ما لا يكفي لزيادة نسبة القراءة عند المواطن العربي.

إذا كان الأمريكيون قد تحوّلوا إلى أمة قارئة فعلينا أن نسأل: كيف حصل هذا؟. الجواب عن هذا السؤال: إن نقلتين مهمتين أجريتا في النظام التعليمي الأمريكي: فقد كان النظام مركزاً في المعلّم فتحول إلى نظام آخر يركز في الطالب. وكان يركز في المواد النظرية فتحوّل إلى نظام آخر يركز في المواد العملية التطبيقية. وهي تحولات بإمكانها أن تخلق أمة قارئة. وهكذا يبدو أن إجراءات مماثلة تنقصها الأنظمة التربوية العربية. ولا مناص لها من إجرائها إذا كنا نريد أن نخلق من أمة اقرأ أمة قارئة.

- الوقوف على اقرأ:

همّي أن يقرأ العربي. ولا فرق لديّ إن كانت هذه القراءة من الكتاب أو من الإنترنت: فالمهم عندي هو القراءة. لكن المشكلة أننا ندّعي أننا أمة اقرأ. بينما نحن لا نقرأ. وهو ما يشكو منه الكاتب. وهو محقّ في شكواه. ومحقّ أيضاً في أن يذكّرنا بقوله تعالى: ﴿وقُل رَّبِّ زِدْني علْماً﴾ (طه: ١١٤). و﴿خُذ الْكتاب بقُوّة﴾ (مريم: ١٢). و﴿والّذين يُمسّكُون بالْكتاب وأقامُوا الصّلاة إنّا لا نُضيعُ أجْر الْمُصْلحين﴾ (الأعراف: ١٧٠). ويمكن إضافة آيات أخرى عليها من أمثال قوله تعالى: ﴿قُلْ هلْ يسْتوي الّذين يعْلمُون والّذين لا يعْلمُون إنّما يتذكّرُ أُوْلُوا الألْباب﴾ (الزمر: ٩). و﴿إنّما يخْشى الله منْ عباده الْعُلماءُ﴾ (فاطر: ٢٨). وآيات أخرى غيرها.

وإني أشكّ -كما يشكّ الكاتب- في أن كثيرين من المسلمين ليسوا على إدراك بهذه الآيات. ولنا أن نسأل في هذا المقام: كم من أئمة الجوامع من وقفوا عند هذه الآيات يوضّحون المقصود منها؟!. وبفضل الله وكرمه من عمر طويل يناهز السبعين عاماً



تتغلب أجهزة الشاشة على كثير من العوائق التي لا تستطيع المواد المطبوعة التغلب عليها، وتتضمن هذه العوائق الزمان، والمكان، والمخاطر، والاحجام، والرؤية

وأنا أرتاد الجوامع. فلا أتذكر يوماً أني سمعت خطيباً تناول هذه الآيات في موضوع خطبته. فهل لي أن أسأل: كم من الناس على علم بذلك؟. الجواب عن ذلك: الأقلية القليلة.

المهم في الأمر أن مؤسساتنا التربوية لا تقف عند هذه الآيات الكريمات: فلم أجد معلماً أو مدرساً يقف عند هذه الآيات. ويشرح لطلابه فحوى هذه السورة. والهدف منها. يا حبذا لو كان أول درس في بداية كل عام دراسي مخصّصاً لهذه الآيات. الم يبدأ سبحانه وتعالى القرآن الكريم بكلمة (اقرأ)؟ وما الغريب أن نبدأ أول درس من كل عام دراسي بشرح هذا الأمر. وأهمية القراءة في حياة كل إنسان؟!. درس واحد فقط من كل عام دراسي. هل هذا كثير لهذا الأمر الإلهي المهم الذي يعدّ المدخل في كل علم وأدب وفن؟!. تفهّم المدارس طلابها أن القراءة أمر إلهي وقف عليه الخالق سبحانه وتعالى مراراً وتكراراً في القرآن الكريم. وأنزل أول سورة من القرآن تبدأ بهذا الأمر الإلهي.

قليلون هم من يعرفون أن القراءة عبادة: لأن الخالق أمرنا بها. لماذا أمرنا الله في أول أمر له بالقراءة. وليس الصلاة، أو الصوم، أو الحج، أو الزكاة؟ ألا يعني ذلك شيئاً كثيراً؟! أليس حرياً بنا أن نقرأ ونقرأ ونقرأ ونقرأ، ثم نقرأ ونقرأ؟!.

قد يسأل بعض الناس: هل المقصود من القراءة هنا قراءة القرآن أم قراءة شيء آخر؟. الجواب عن ذلك هو: قراءة القرآن. وقراءة كل شيء مفيد للإنسان. هذا التفكير ننطلق به من الأحاديث النبوية الشريفة التي تضمنت أن العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة. وضرورة طلب العلم ولو كان في الصين.

- تشكيل عادة القراءة:

عادة القراءة هي ممارسة سلوك القراءة اليومية. والشعور بنوع من الاستمتاع من ممارسته. والانزعاج من تركه. وتتبّع كل ما يتعلق بشؤون المطبوعات المختلفة. تنشأ العادة أول ما تنشأ من القيام بسلوك معين بمحض إرادة الفرد. وقد يكون هذا السلوك عشوائياً وغير هادف أو يمارس بالمصادفة. ويصادف مرة أخرى أن ممارسها يلقى تعزيزاً إيجابياً أو سلبياً من سلوكه بعد القيام به مباشرةً. وقد تتكون العادة بعد ذلك كما حصل عندما أثار واطسون الخوف لدى الطفل هانس عندما كان يلمس الأرنب بإثارة صوت عالٍ من خلف الطفل. فأضحى يخاف من الأرانب وكلّ من له شعر ناعم.

والأصل في تشكيل العادات أن يتكرّر هذا التعزيز عدداً من المرات. وبتكرار ذلك ينشأ رابط بين المثير والاستجابة.

وبالتعزيز تقوى العلاقة وتشتد: فالعادة علاقة قوية متينة نشأت بين مثير واستجابة، أو سلسلة من المثيرات التي تتبعها سلسلة من الاستجابات. ويكون التعزيز في أكثر الأحوال نفسياً، ولا ينفي أن يكون مادياً في بعض الأحوال. وقد يكون هذا التعزيز داخلياً أو خارجياً. وقد يكون هذا التعزيز على شكل من أشكال الاستحسان والاستهجان أو الثواب والعقاب. ويدفع مثل هذا التعزيز الفرد إلى تكرار هذا السلوك من أجل الحصول على مثل هذا التعزيز. ومن هذا التكرار يترسّخ السلوك حتى يصبح جزءاً من شخصية الفرد الذي يأبى المقاومة. ويمارس هذا السلوك في هذه الحالة بطريقة تكاد تكون لاإرادية، ومتى حصل ذلك يكون الفرد واقعاً تحت سيطرة العادة: فالعادات تبدأ أول ما تبدأ سلوكاً بسيطاً يمارسه الفرد بشكل عشوائي أو مقصود من تقليد الآخرين، أو بالمحاولة والخطأ لحلّ إشكال معين. ويقرن ذلك تعزيز بالمصادفة أو بهدف ما، فتنشأ علاقة من نوع ما، وبتكرار المثير والاستجابة والتعزيز تتقوى هذه العلاقة. وهناك عادات كثيرة محبّذة يمكن أن تبدأ هوايةً باديً ذي بدء لكي تتحول إلى عادة، وعادة القراءة هي إحدى هذه العادات.

- **حملات قراءة القصص في المدارس:**

اقترحت على المعلمين في كتابي (الابتكار في اللغة العربية بين التربية والتعليم والتعلّم) إجراء حملات سمّيتها (حملات قراءة القصص). وبناءً على ذلك، يجري المعلّم مع تلاميذه عقداً بقراءة قصة واحدة في كلّ يوم طوال الفصل أو السنة مع بعض المرونة في التطبيق للحالات الطارئة. وقد طبّق الكاتب مثل هذه الحملات عندما كان يعمل في التعليم الابتدائي، وأتت هذه الحملات أكلها حسناً. وحثّ الكاتب في الوقت نفسه في جامعة تركية بعض الطالبات على إجراء بحوث تتضمن تطبيق مثل هذه الحملات، فأعطت هذه البحوث أيضاً نتائج طيبة. وأهم ما في الأمر أن عادة القراءة تشكّلت لدى الطلاب الذين طبّقت عليهم البحوث، فواصلوا قراءاتهم بعد انتهاء مدة هذه البحوث.

وهكذا يكون أمر القراءة دائماً: فإذا ذاقها المرء، واكتشف بمرور الأيام طعمها اللذيذ، واستمتع بهذه اللذة، تعوّد عليها، وأمست جزءاً لا يتجزأ من كيانه. ونعم العادة إذا كانت عادة القراءة، وهكذا كان الأمر مع هؤلاء التلاميذ.

إن مفتاح تعلّم اللغة يكمن في القراءة الغزيرة: فالقصص لما تتمتع بها من جاذبية في الأحداث، وما تكسب الدارس من عادات دراسية حسنة، وما تغني به القارئ من مخزون لغوي، يمكن أن تكون وسيلة تعلّم فعالة.

همي أن يقرأ العربي، ولا فرق لدي إن كانت هذه القراءة من الكتاب أو من الإنترنت؛ فالمهم عندي هو القراءة

عادة القراءة هي ممارسة سلوك القراءة اليومية، والشعور بنوع من الاستمتاع من ممارسته، والانزعاج من تركه

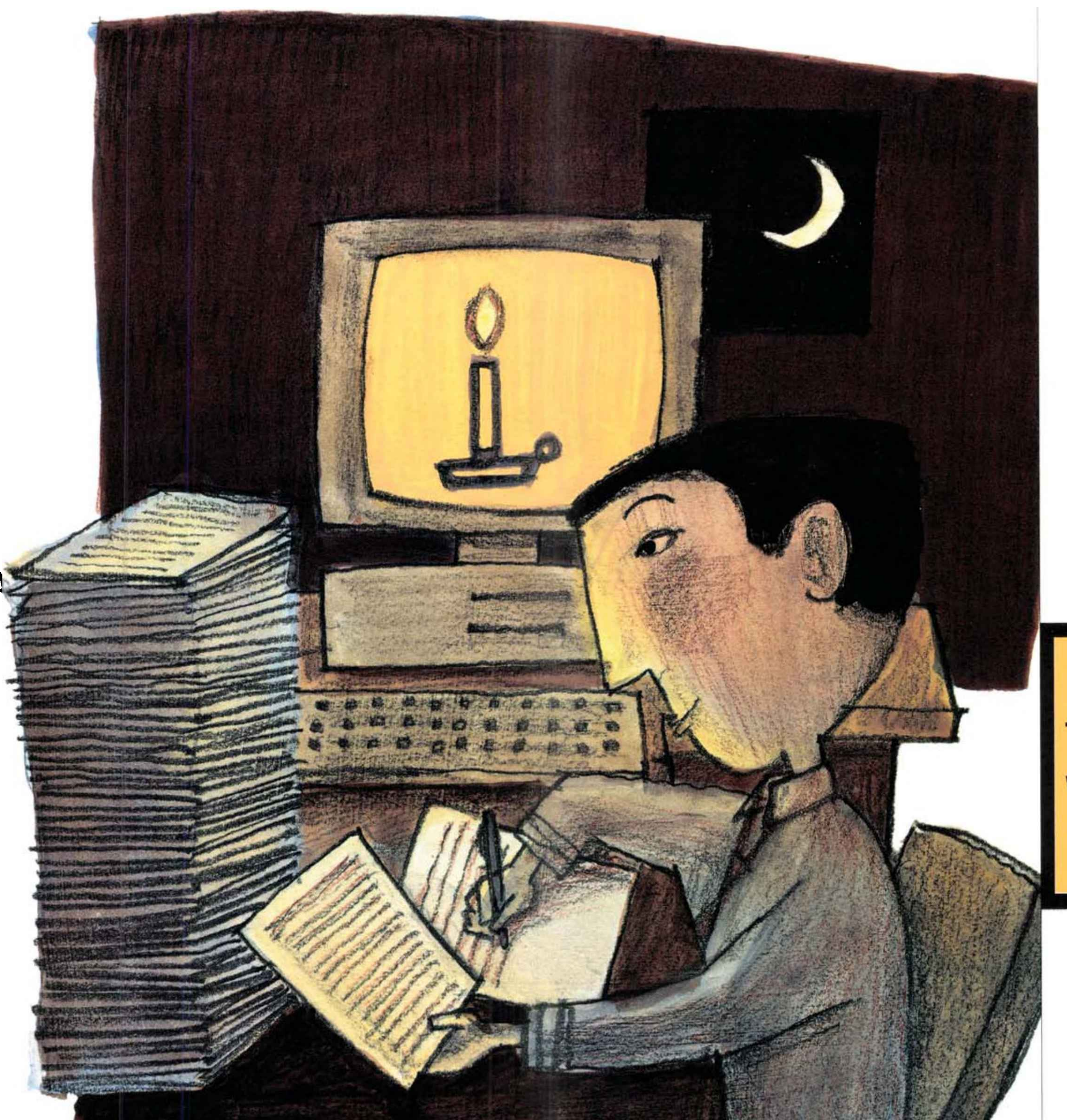
المراجع

(١) السكان في الوطن العربي، صندوق الأمم المتحدة للسكان.

(٢) أنور طاهر رضا، الثقافة: سباق الورقة والشاشة، سلسلة إضاءات تربوية، العدد الثامن، ٢٠٠٦م، من إصدارات مكتب التربية العربي لدول الخليج.

(٣) أنور طاهر رضا، الابتكار في اللغة العربية بين التربية والتعليم والتعلّم، كتاب غير منشور، ٢٠١٢م.

(٤) أنور طاهر رضا، الابتكار: أين يكمن؟ ومتى ينمو؟ وكيف يزدهر؟، كتاب غير منشور، ٢٠١٢م.



فكر

مفهوم فن التواصل

● سعيدة محمد عبدالخالق
عمالة أبركان - المغرب

التواصل ركن أساسي في الحياة البشرية، وهو من أقدم أوجه النشاط الإنساني، ولعلنا نقول: إن أول اتصال في تاريخ البشرية تم بين الله سبحانه وتعالى والإنسان، وتم بموجبه تعليم الله آدم أبا الخلق -عليه السلام- الأسماء واللغات والصفات، قال تعالى: {وعلم آدم الأسماء كلها} (البقرة: ٣١)، ثم ما كان من اتصال آدم بالملائكة وإنبائهم بما علمه الله من الأسماء واللغات التي تميز بها عليهم، ومخاطبة الله آدم وزوجه: {وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة وكلا منها رغداً حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين} (البقرة: ٣٥)، وما كان من اتصال الشيطان بآدم وإغوائه، وما حصل من الهبوط من الجنة بسبب ذلك، وتلقي آدم كلمات من الله ليتوب عليه. وهكذا بدأت الحياة على الأرض أول ما بدأت بالاتصال والتواصل[1].

ولا ينقطع التواصل أبداً؛ لأنه أساس الوجود، فلا وجود بلا تواصل؛ فالتواصل هو شكل وجودي أساسي للإنسان لعدة دواعٍ، منها:

أولاً: طبيعة الإنسان البشرية

تفرض على الإنسان طبيعته البشرية التواصل مع المجتمع؛ لأنه يأنس بأبناء جنسه، ولا يستطيع أن يعيش من دونهم، أو بعيداً منهم، وقد ذكر بعض اللغويين أن كلمة الإنسان مشتقة من الأنس؛ لأن الإنسان يأنس بمثله، ولو أنك وفّرت للإنسان كلّ ما يحتاج إليه في حياته، وعزلته عن الناس حتى يعيش بمفرده، فإن ذلك بالتأكيد

لا ينقطع التواصل أبداً؛ لأنه أساس الوجود، فلا وجود بلا تواصل؛ فالتواصل هو شكل وجودي أساسي للإنسان

لن يرضيه؛ لذلك فإن من أقسى العقوبات السجن الانفرادي؛ فالإنسان بشكل طبيعي يميل إلى أبناء جنسه، ويأنس معهم، ولديه دافع فطري للتواصل مع الناس.

ثانياً: طبيعة الإنسان الاستخلافية

الإنسان مخلوق مكرّم استخلفه الله في الأرض ليعمرها ويصلحها، وأنعم عليه بحواس التواصل، فشقّ له السمع والبصر والكلام، ووهبه الفؤاد، وأرشده إلى استعمالها في تتبّع آيات الله في الكون، واكتشاف أسرارها، وتحويلها إلى علوم ونظم معرفية تؤهّله لتصديق الوحي، والتواصل مع الرسل، وفهم خطابهم، وإعمار الأرض وفق شرع الله.

ثالثاً: حاجات الإنسان الاجتماعية

ينبع سلوك الإنسان التواصلي من حاجاته الاجتماعية منذ ولادته، معلناً بذلك وجوده، ومعبّراً عن حاجاته الضرورية للحياة، وعندما ينفتح أكثر على المجتمع يكتسب مهارات تواصلية من التفاعل مع الآخرين، ومن سدّ حاجاته الاجتماعية، يقول ابن خلدون في مقدمته: «الاجتماع الإنساني ضروري»[2]؛ بمعنى أن حياة الإنسان لا تستقيم إلا بتعاونه مع أبناء جنسه لإشباع حاجاته الإنسانية المتنوعة بمساعدة المجتمع الذي يعيش فيه وفقاً لسلم الحاجات المشهور الذي قام عالم النفس الأمريكي أبراهام ماسلو Abraham Maslow بتحديده كما يأتي:

- الحاجات الفسيولوجية الأساسية:

تتمثّل في الحاجة إلى الماء، والهواء، والطعام، والمأوى، وغيرها من الحاجات التي تخدم البقاء البيولوجي بشكل مباشر؛ فدافع البقاء هو الذي يجبر الإنسان على إشباع حاجاته الأساسية اللازمة للبقاء على وجه الحياة، ومن ثمّ فهي تمثّل الحاجات المادية والفطرية الأولية التي يسعى الإنسان إلى إشباعها، وهناك مثال لتوضيح ذلك: ففي الغابات توجد صفة مشتركة بين الأسد والغزال، فمع بداية اليوم في الصباح يأخذ كلّ منهما في الجري بسرعة، فالأسد يعلم أنه يجب عليه أن يجري

أسرع من أبطأ غزالة. وإلا فإنه سيموت جوعاً. والغزالة تعلم أنه يجب عليها أن تجري بسرعة أكبر من أسرع أسد. وإلا فإنها ستكون فريسةً له. حتى إذا لم يكن لديها الرغبة في الجري فلا بد من الجري بسرعة محافظةً على البقاء"[٣].

- حاجات الأمان أو الحاجات الأمنية:

تشمل مجموعةً من الحاجات المتصلة بالحفاظ على درجة معقولة من الاستقرار، والأمان المادي والمعنوي، والنظام، واليقين بالبيئة الخاصة بالفرد، والاعتماد على مصدر مشبع للحاجات. وتظهر هذه الحاجات في أجلى صورها في اعتمادية الرضيع فالطفل، ومع تقدم العمر والنضج يصبح قادراً على تنظيم الحياة بشكل كلّي متماسك له معناه، ويساهم في توفير الأمن النسبي. ويتجسد ضغط مثل هذه الحاجات في شكل مخاوف من المجهول، ومن الإحساس بالغموض، والفوضى، واختلاط الأمور، أو الخوف من فقدان التحكم في الظروف

أو إطار اجتماعي يحسّ فيه الإنسان بالألفة: مثل: العائلة، أو الحي، أو الأشكال المختلفة من الأنظمة والأنشطة الاجتماعية التي تجعل الفرد يبذل الجهد في السعي إلى الآخرين، والعمل على أن يكون محبوباً من غيره: فالإنسان اجتماعي بطبعه، ولا يمكنه أن يحقق السعادة من دون إتمام عملية الاتصال بالآخرين، وتبادل الحب والود معهم"[٤].

- حاجات المركز والمكانة أو حاجات التقدير والاحترام:

هذا النوع من الحاجات فيه جانب داخلي (الإحساس الداخلي بالقيمة الذاتية) يتعلق بمكانة الذات، والثقة بالنفس، والقدرة على الإنجاز، وجانب خارجي يتعلق بالحاجة إلى اكتساب الاحترام والتقدير من الخارج، ويشمل الحاجة إلى اكتساب تقدير المحيطين به: مما يعني المكانة الاجتماعية، واعتراف الآخرين به، وتقبّلهم له، وانتباههم له، كما يعني

معنى التواصل في اللغة العربية يدور حول معنى الوصل، والصلة، والاتصال، وعدم الانقطاع، والانتماء، والاقتران، والانتهاء الى الشيء، وتبليغه إياه

المحيطة: إذ يواجه كثير من الناس صعوبةً في هذه الحاجات، خصوصاً من يعيش منهم في مناطق البراكين والزلازل، أو البلدان التي تتّسم بالتقلبات السياسية. وهناك أفراد يعملون في وظائف تتّسم بالمخاطرة أيضاً: مثل عمال المناجم وغيرهم. عموماً، يسعى الفرد دائماً إلى الشعور بالأمن والأمان: فهو يسعى مثلاً إلى الشعور بالأمان في العمل، والاستقرار به، وعدم الخوف من الفصل"[٤].

حاجات الحب والانتماء:

تشمل مجموعة من الحاجات ذات التوجه الاجتماعي: مثل: الحاجة إلى علاقة حميمة مع شخص آخر، والحاجة إلى أن يكون الإنسان عضواً في جماعة منظمة، والحاجة إلى بيئة

لا حياة من دون تواصل

لا يمكن تصوّر حياة من دون تواصل؛ فالتواصل هو شكل وجودي أساسي للإنسان يرتبط من خلاله بالأشياء، وينشد فيها معايير للحكم على الأشياء، ويصنع صوراً عن نفسه والآخرين. كما أن القدرة على التواصل مع الآخرين والتعامل معهم تعدّ عاملاً أساسياً في تحقيق نجاح الفرد في عمله، بل أثبتت دراسة لمؤسسة كارنيجي للتدريب أن نجاح الفرد في عمله يعود بما نسبته ٨٥٪ إلى مهارته في الاتصال.

المركز الاجتماعي المرموق، والشهرة، والمجد، والسمعة الطيبة، والنجاح، وغيرها. وهي الحاجات القريبة من قمة السلم أو نهايته، التي قد يصعب الوصول إليها؛ لأنها تتطلب أن يفهم الفرد نفسه ويحترمها حتى يمكن له أن يفهم غيره ويحترمه.

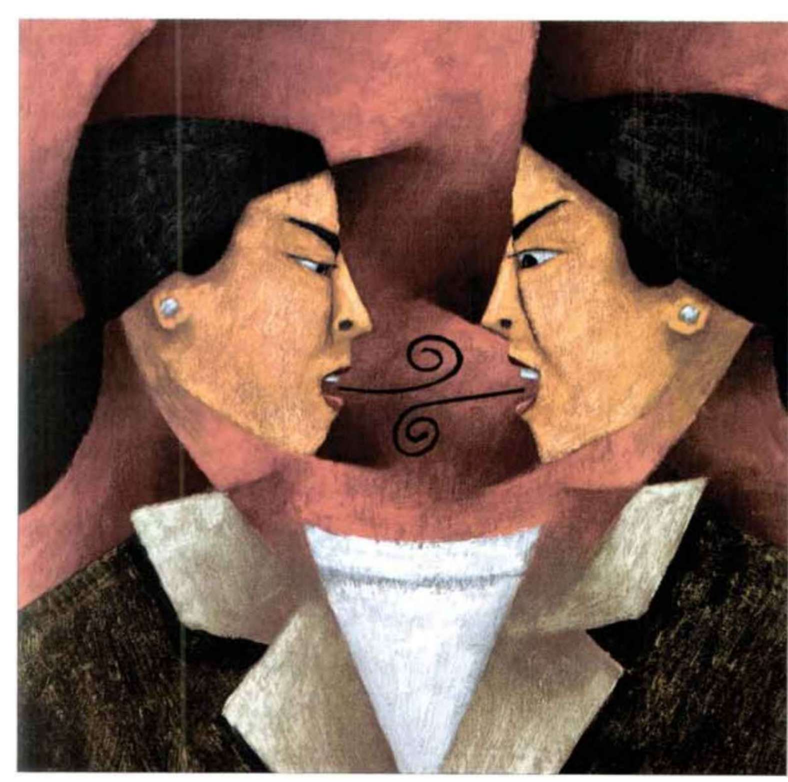
- حاجات تحقيق الذات والحاجات العليا:

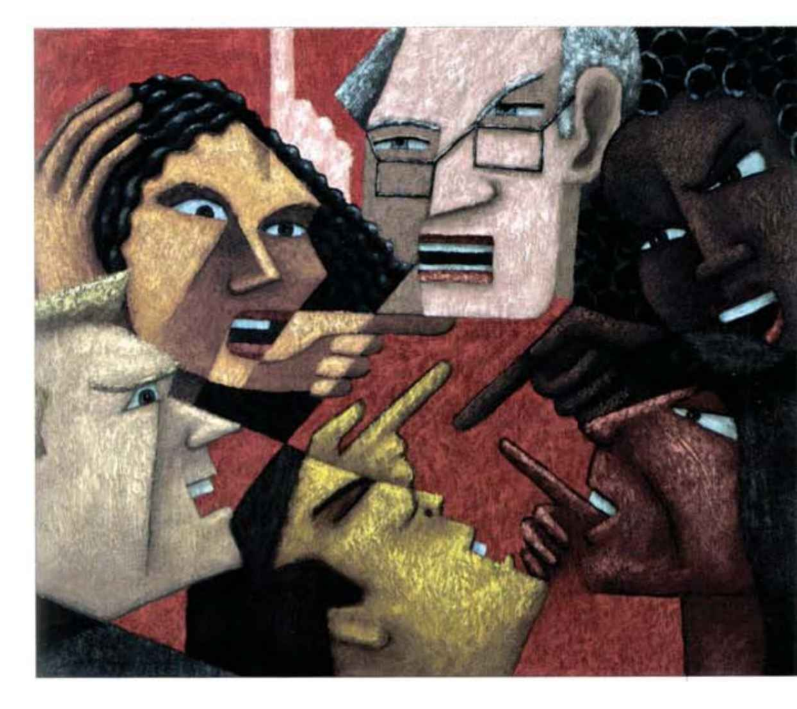
يضع ماسلو تحت عنوان (تحقيق الذات) مجموعة من الحاجات أو الدوافع العليا التي لا يصل إليها الإنسان إلا بعد تحقيق إشباع كاف لما يسبقها من الحاجات الأدنى. وتحقيق الذات هنا يشير إلى حاجة الإنسان إلى استخدام كلّ قدراته ومواهبه، وتحقيق كل إمكاناته الكامنة، وتنميتها إلى أقصى مدى يمكن أن تصل إليه. وهذا التحقيق للذات لا يجب أن يُفهم في حدود الحاجة إلى تحقيق أقصى قدرة أو مهارة أو نجاح بالمعنى الشخصي المحدود، وإنما يشمل تحقيق حاجة الذات إلى السعي نحو قيم وغايات عليا؛ مثل: الكشف عن الحقيقة، وخلق الجمال، وتحقيق النظام، وتأكيد العدل، وغيرها؛ فمثل هذه القيم والغايات تمثّل في رأي ماسلو حاجات أو دوافع أصيلة وكامنة في الإنسان بشكل طبيعي مثلها في ذلك مثل الحاجات الأدنى إلى الطعام والأمان والحب والتقدير، وهي جزء لا يتجزأ من الإمكانات الكامنة في الشخصية الإنسانية التي تلحّ من أجل أن تتحقق لكي يصل الإنسان إلى مرتبة تحقيق ذاته، والوفاء بكل دوافعها أو حاجاتها، وإلى أن يكون كائناً حقيقياً يعيش في سلام خاصّ مع نفسه.

ليست عملية تحقيق الذات عملية سهلة أو تلقائية بطبيعة الحال؛ فهي تتطلب أن يعيش المرء دوماً في حالة من التطلّع الحماسي والتوجّه نحو أهداف معينة. ومع أنها تدفع في طريق الإنجاز إلا أنها تجلب معها المسؤولية والالتزام ومواجهة غير المعروف بما يتضمنه ذلك من توتر وصراعات ومخاوف. والحاجة إلى إثبات الذات هي أعلى مستوى للإنجاز البشري طبقاً لفلسفة ماسلو، وهي تقع في المستوى الذي يستطيع فيه الفرد أن يفهم حقيقته ويدركها، وأن يعرف قيمة كفاءته، والقدرات الكامنة فيه، ويسعى إلى تطويرها وتنميتها.

وتمثّل الحاجة غير المشبعة قوة كامنة داخل الإنسان تحثّه على التصرف بحثاً عن إشباع هذه الحاجات؛ فالحاجات قوة دافعة لسلوك الفرد؛ لأن احتياج الأفراد إلى المأكل والمأوى (الحاجات الأساسية) يمثّل قوة دافعة لهم للبحث عن وسيلة لإشباع هذه الحاجات؛ لذلك كان السلوك الأول للإنسان قديماً هو الصيد والبحث عن مقام للإقامة. وفي العصر الحديث أصبح العمل لكثيرين منا مصدراً أساسياً للحصول على الحاجات الأساسية؛ لما يوفّره من دخل مادي يمكّن الفرد من شراء هذه الحاجات وتوفيرها. ولا يوفر العمل إشباعاً للحاجات الأساسية فقط، بل يمثّل مصدراً لإشباع معظم الحاجات؛ فهو يوفر حاجات الأمن، والعلاقات مع غيرنا، والمركز والمكانة، واحترام الذات وإثباتها.

من هنا تتجلى أهمية التواصل بين الأفراد في المجتمع، سواء أكانوا تابعين أم متبوعين رؤساء أم مرؤوسين، من أجل حفظ النوع وتأمين البقاء. ولا يقتصر التواصل على الإنسان، وإنما يتجاوزه إلى الحيوانات والنباتات التي يتم بينها التواصل





تفرض على الإنسان طبيعته البشرية التواصل مع المجتمع؛ لأنه يأنس بأبناء جنسه، ولا يستطيع أن يعيش من دونهم، أو بعيداً منهم

والتلاقح والتزاوج والإثمار: «فكيان العالم كله قائم على التواصل والاتصال والتفاهم. وما الحضارة والعمران والعلم والمعرفة وجميع المنجزات إلا ثمرة لهذا الاتصال والتواصل».

مفهوم التواصل في اللغة العربية

يفيد التواصل في اللغة العربية: الوصل، والصلة، والوصال، والاتصال، وعدم الانقطاع، والترابط، والاقتران، والالتئام، والجمع، والانتماء، والإبلاغ، والإعلام، والانتهاء إلى الشيء، وتبليغه إياه: فقد قال ابن فارس: «الواو والصاد واللام أصل واحد يدلّ على ضم شيء إلى شيء حتى يعلقه». والوصل من وصل الشيء بالشيء: يصله، وصلاً، وصلة، والوصل ضد الهجران. والوُصلة: الاتصال، وكلّ ما اتصل بشيء فما بينهما وصلة. والموصل: معقد الحبل في الحبل. والأوصال: المفاصل، أو مجتمع العظام. وجاء في الكتاب العزيز: ﴿وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ (القصص: ٥١): أي: أكثرنا لهم القول موصولاً بعضه ببعض. وموصل البعير: كلّ موضعين حصل بينهما وصلة، نحو ما بين العجز والفخذ.

ومن الباب الوصيلة: العمارة والخصب: لأنها تصل الناس بعضهم ببعض، وإذا أجدبوا تفرّقوا. والوصيلة: الأرض الواسعة، كأنها وصلت فلا تنقطع. وجاء في لسان العرب: «واتّصل الشيء بالشيء لم ينقطع... ووصل الشيء إلى الشيء وصولاً، وتوصل إليه: انتهى وبلغه. قال أبو ذؤيب:

توصل بالركبان حيناً وتؤلف الـ

جوار ويغشيها الأمان ربابها

ووصله إليه وأوصله: أنهاه إليه، وأبلغه إياه... واتصل الرجل: انتسب، ومن ذلك قول الأعشى:

إذا اتصلت قالت لبكر بن وائل

وبكر سبتها والأنوف رواغم

أي: إذا انتسبت. وقال ابن الأعرابي في قوله تعالى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ﴾ (النساء: ٩٠): أي: ينتسبون. والواصلة من النساء التي تصل شعرها بشعر غيرها... ووصله وصلاً وصلة، وواصله مواصلة ووصالاً، كلاهما يكون في عفاف الحب ودعارته، وكذلك وصل حبله وصلاً وصلة. قال أبو ذؤيب:

فإن وصلت حبل الصفاء فدم لها

وإن صرمته فانصرف عن تجامل

و«الوصلة: ما اتصل بالشيء. قال الليث: كل شيء اتصل بشيء فما بينهما وصلة: أي: اتصال وذريعة. ووصله توصيلاً إذا أكثر من الوصل. وواصله مواصلة ووصالاً، ومنه المواصلة بالصوم وغيره. وواصلت الصيام وصالاً إذا لم تفطر أياماً تباعاً... والوصل ضد الهجران. والتواصل ضد التصارم

(التقاطع)... وقطع الرحم ضد ذلك كله... يُقال: وصل فلان رحمه. يصلها. وصلاً. وصلةً. فكأنه بالإحسان إليهم قد وصل ما بينه وبينهم من علاقة القرابة والصهر... ووصله إذا أعطاه مالاً. والصلة: الجائزة والعطية»[١٣]

ويفيد التواصل أيضاً الاجتماع والاتفاق. جاء في المعجم الأساسي: «اتصل يتّصل اتصالاً: الشخص بالشخص: اجتمع به أو خاطبه. وتواصل يتواصل تواصلاً: الشخصان وغيرهما: اجتمعا واتفقا»[١٤].

مما سبق يتّضح لنا معنى التواصل في اللغة العربية. وهو يدور حول معنى الوصل. والصلة. والاتصال. وعدم الانقطاع. والانتماء. والاقتران. والانتهاء إلى الشيء. وتبليغه إياه. وقد عدّ طه عبدالرحمن التواصل مقولةً كبرى تشمل الوصل الذي هو نقل الخبر. والإيصال الذي هو نقل الخبر مع اعتبار المخبر. والاتصال الذي هو نقل الخبر مع اعتبار المخبر والمخبر إليه»[١٥].

مفهوم التواصل في اللغة الفرنسية:

تعني كلمة communication في اللغة الفرنسية إقامة علاقة وتراسل وترابط وإرسال وتبادل وإخبار وإعلام. وهذا يعني أن هناك تشابهاً في الدلالة والمقصود بين مفهوم التواصل العربي والتواصل الغربي[١٦] ففي le petit robert يُعرف التواصل بأنه الإبلاغ ومسافة الاطلاع والإخبار: أي: نقل خبر ما من شخص إلى آخر. أو إقامة علاقة مع شخص ما. كما يدل على الشيء الذي يتم تبليغه. والوسائل التقنية التي يتم التواصل بها. وقد استعمل فعل communiquer أول مرة في اللغة الفرنسية القديمة عام ١٣٦١م (oresme). ومعناه ربط الشيء بالشيء. أما المصدر communication. فقد استعمل عام ١٥٦٤م (j thierry). واللفظ مشتق من اللاتينية الشعبية. ويدلّ على مجموع الوسائل والتقنيات الموظفة في نقل المعلومات بين الأفراد. كما يدلّ على المشاركة والتبليغ والانتشار. وقد اشتق الفعل الفرنسي communiquer من الكلمة اللاتينية communicare. وتعني: أصبح في علاقة مع فرد أو أكثر. ونجد المعنى نفسه في لونوفو بوتي روبير le nouveau petit robert»[١٧].

ويشير جان كازنوف Jean Cazaneuve إلى أن الأصل الاشتقاقي لفعل التواصل (communiquer) يعني جعل الشيء مشتركاً commun: فالتواصل يعني عملية انتقال من وضع فردي إلى وضع اجتماعي. وهو ما يفيده فعل (اتصل) الذي يتضمن الإخبار والإبلاغ والتخاطب. ويتعلق بنقل الرسائل أو الرموز الحاملة للدلالات. ويمكن للتواصل كنشاط تبادلي أن يتم بواسطة الأصوات. أو الإشارات. أو الصور. أو العلامات المكتوبة. ويتميّز بأعلى مراتب الدقة على مستوى اللسان»[١٨].

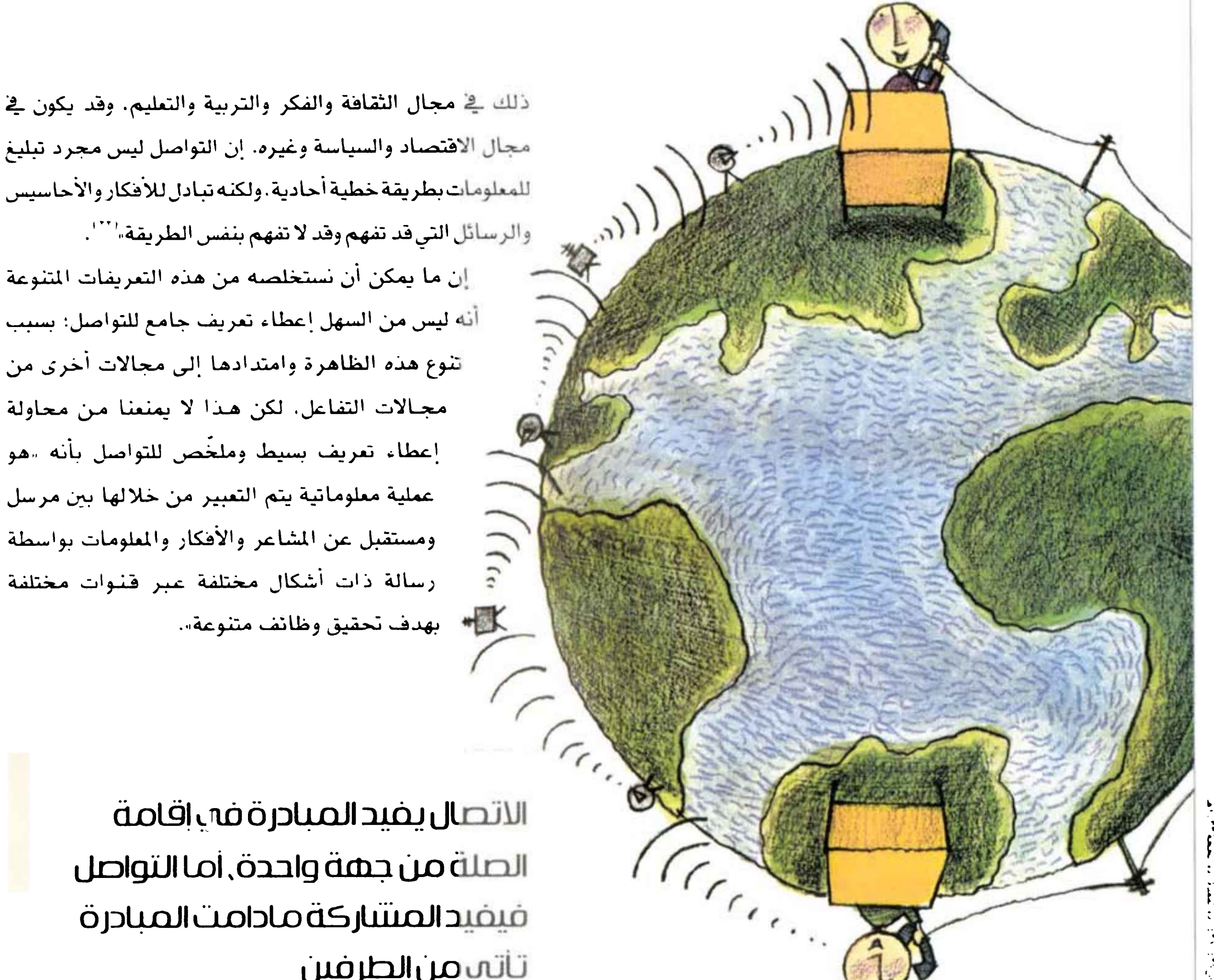
المفهوم الاصطلاحي

تعدّ كلمة اتصال أو تواصل حديثة العهد نسبياً: فعلى غرار كثير من المصطلحات والمفاهيم التي تستمدها العلوم الإنسانية والاجتماعية يجد الباحث نفسه أمام تعريفات تختلف باختلاف مقاربات الظاهرة التواصلية. ونعرض فيما يأتي أهمها:

يعرف شارل كولي charles gooley التواصل قائلاً: «هو الميكانيزم الذي توجد بواسطته العلاقات الإنسانية وتتطور. إنه يتضمن كلّ رموز الذهن مع وسائل تبليغها وتعزيزها في الزمان. ويتضمن أيضاً تعابير الوجه. وهيئات الجسم. والحركات. ونبرة الصوت. والكلمات. والكتابات والمطبوعات. والقطارات. والتلغراف. والتليفون. وكل ما يشمله آخر ما تم من الاكتشافات في المكان والزمان»[١٩].

وجاء تعريف التواصل عند مجموعة من الباحثين المغاربة. منهم عبدالكريم غريب كما يأتي: «التواصل هو الميكانيزم الذي توجد بواسطته العلاقات الإنسانية وتتطور. إنه يتضمن كلّ رموز الذهن مع وسائل تبليغها وتعزيزها في الزمان... ويستلزم تبليغ كل رسالة من جهة وجود شفرة. ومن جهة ثانية تحقيق عمليتين اثنتين: ترميز المعلومات Encodage.

ليس من السهل إعطاء تعريف جامع للتواصل؛ بسبب تنوع هذه الظاهرة وامتدادها إلى مجالات أخرى من مجالات التفاعل



وفك الترميز Decodag، مع ضرورة الأخذ بعين الاعتبار طبيعة التفاعلات التي تحدث أثناء عملية التواصل، وكذا أشكال الاستجابة للرسالة، والسياق الذي يحدث فيه التواصل»[٢٠].

ويُعرف عصام عبدالعظيم التواصل بقوله: «هو عملية نقل وتبادل للمعلومات والأفكار والمشاعر بين طرفين؛ يُطلق على أحدهما مرسل، والآخر مستقبل، من أجل توصيل رسالة من أحدهما إلى الآخر لتحقيق أهداف معينة، ويتم ذلك داخل بيئة يُطلق عليها بيئة الاتصال»[٢١]. وعرف الباحث المغربي العربي إسليماني التواصل انطلاقاً من الدلالات اللغوية والاصطلاحية بقوله: «التواصل هو علاقة تفاعل وتبادل وتأثير وتأثر بين فردين فأكثر، وقد يكون ذلك في مجال الثقافة والفكر والتربية والتعليم، وقد يكون في مجال الاقتصاد والسياسة وغيره. إن التواصل ليس مجرد تبليغ للمعلومات بطريقة خطية أحادية، ولكنه تبادل للأفكار والأحاسيس والرسائل التي قد تفهم وقد لا تفهم بنفس الطريقة»[٢٢].

إن ما يمكن أن نستخلصه من هذه التعريفات المتنوعة أنه ليس من السهل إعطاء تعريف جامع للتواصل؛ بسبب تنوع هذه الظاهرة وامتدادها إلى مجالات أخرى من مجالات التفاعل، لكن هذا لا يمنعنا من محاولة إعطاء تعريف بسيط وملخّص للتواصل بأنه «هو عملية معلوماتية يتم التعبير من خلالها بين مرسل ومستقبل عن المشاعر والأفكار والمعلومات بواسطة رسالة ذات أشكال مختلفة عبر قنوات مختلفة بهدف تحقيق وظائف متنوعة».

الاتصال يفيد المبادرة في إقامة الصلة من جهة واحدة، أما التواصل فيفيد المشاركة مادامت المبادرة تأتي من الطرفين

الفرق بين الاتصال والتواصل

هناك فرق بين الاتصال والتواصل: فالاتصال يفيد المبادرة في إقامة الصلة من جهة واحدة. أما التواصل فيفيد المشاركة مادامت المبادرة تأتي من الطرفين. أو بتعبير أوضح: الاتصال يعني توجيه رسالة من طرف إلى آخر من دون تلقي أيّ رد (لفظي) عليها، كما هو الحال في المحاضرات والدروس التي لا يشارك فيها أحد من المستمعين، أو خطب الأئمة للمصلين، بينما التواصل يعني الرد على المحاضرين والوعاظ والأئمة.

ويبيّن الباحث المغربي العربي إسليماني الفرق بين الاتصال والتواصل بقوله: «في رأينا ينبغي التمييز بين الاتصال

والتواصل من حيث الدلالة: فالاتصال من فعل اتّصل يتّصل: إذ نقول: اتّصل الأستاذ بالتلميذ، واتصل زيد بعمرو: أي: أقام معه صلةً، ويفيد هذا المعنى أن المبادرة تأتي من جانب واحد، هو الفاعل. أما التواصل، فهو من فعل تواصل يتواصل: حيث نقول: تواصل الأستاذ والتلاميذ، وتواصل زيد وعمرو، ويفيد ذلك المشاركة مادام الفاعل أكثر من فرد واحد، ومادامت المبادرة تأتي من الطرفين معاً. فالتواصل حوار يتبادل فيه الطرفان الحديث في دورة الكلام والكتابة: حيث يكون أحد الطرفين مرسلاً، والثاني متلقياً، وعندما يرد الثاني بالموافقة أو الاختلاف يصير مرسلاً، والمرسل يصير متلقياً، وهذا ما يفيده الفعل يتحاورون: أي: يتراجعون الكلام»[٢٣].

ويقول الباحث عبدالرحيم تمحري: «نحن نميل إلى التفريق بين الاتصال والتواصل (communication et intercommunicatin)، كما نميّز بين الفعل والتفاعل (Action et in teractin)، على أساس أن الاتصال يتكون من الطبيعة أو الآلة إلى الإنسان، أما التواصل فيتم بين إنسانين»[٢٤].

أهمية التواصل بين الأفراد في المجتمع، سواء أكانوا تابعين أم متبوعين رؤساء أم مرؤوسين، من أجل حفظ النوع وتأمين البقاء

أركان التواصل

يتّضح من التعريفات السابقة أن التواصل لا يحدث إلا بوجود ستة عناصر أساسية، هي:

- المرسل: وهو مصدر الرسالة، ويكون متكلماً، أو كاتباً، أو مستخدماً لغة الإشارة.
- الرسالة: وهي مادة الإرسال، وتكون منطوقةً، أو مكتوبةً، أو ملموحةً بالإشارة، وتأخذ الرسالة في أثناء انتقالها من المرسل إلى المستقبل أحد الأشكال الآتية:
  - الرسالة الشفهية: مثال ذلك قوله تعالى: ﴿وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ﴾ (الأنبياء: ٨٩).
  - الرسالة المكتوبة: مثال ذلك قوله تعالى: ﴿اذْهَب بِّكِتَابِي هَذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَانظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ. قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ * إِنَّهُ مِن سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ* أَلاَّ تَعْلُوا عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ﴾ (النمل: ٢٨- ٣١): فقد تضمّنت الآيات نوعين من الاتصال: اتصالاً كتابياً من سليمان إلى بلقيس وقومها، واتصالاً شفهياً من سليمان إلى الهدهد.
  - رسالة ملموحة بالإشارة: مثال ذلك قوله تعالى: ﴿فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا﴾ (مريم: ٢٩)[٢٥].
- الوسيلة: وهي الرسول أو القناة المستخدمة لنقل الرسالة من المرسل إلى المستقبل، أو لإرجاع الأثر من المستقبل إلى المرسل[٢٦]. وقد تكون هذه الوسيلة شفهيةً كما هو الحال في الاتصال الهاتفي والاجتماعات والمقابلات، أو كتابيةً كما هو الحال في المذكرات والتقارير والبرقيات، أو مرئيةً كالصور والرسومات والرموز والإشارات، أو لغة الجسد كالنظر وحركة الأيدي والأرجل وتعبيرات الوجه ووضع الجسم.
- المستقبل: وهو المُرسَل إليه أو المتلقّي، ويكون مستمعاً، أو قارئاً، أو مُبصراً رموز الإشارة. ويكون المرسل مستقبلاً، والمستقبل مرسلاً، في أثناء الحوار أو الجدال أو المناقشة.
- التغذية العكسية أو الراجعة: وهي إرجاع الأثر، أو رد الفعل الناتج من استقبال الرسالة وتفسيرها وفهمها من جانب مستقبلها، أو هي المعلومات الراجعة من المستقبل التي تسمح للمرسل بتكوين حكم نوعي حول فاعلية الاتصال.
- بيئة الاتصال أو البيئة المحيطة: وهي كل ما يحيط بعناصر الاتصال في أثناء حدوث عملية التواصل[٢٧]. أو بعبارة أخرى: هي الوسط الذي يتم فيه حدوث الاتصال بكل عناصره المختلفة: المكان، والزمان، والمناخ التنظيمي، والعوامل النفسية، والمواد، والأجهزة.

وإذا لم تتحقق العناصر الستة السابقة فإن التواصل يصبح اتصالاً، وإذا تحقق بعض العناصر يصبح تواصلاً غير فعّال.



> التواصل لا يقتصر على الإنسان، وإنما يتجاوزه إلى الحيوانات والنباتات التي يتم بينها التواصل والتلاقح والتزاوج والإثمار

المراجع

(١) تقديم عمر عبيد حسنة لكتاب (مهارات الاتصال) لراشد علي عيسى، كتاب الأمة، ع١٠٣، مركز البحوث والدراسات بوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية في دولة قطر، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م، ص٢.

(٢) مقدمة ابن خلدون، تصحيح وفهرسة: أبي عبدالله السعيد المندوه، بيروت: مؤسسة الكتب الثقافية، ط٤، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م، ٤٥/١.

(٣) إبراهيم الفقي، المفاتيح العشر للنجاح، دار الصفاء الحديثة، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م، ص٢٨.

(٤) عزيزة السيد، الدافعية في الحياة ومستويات الالتزام، دار المعارف، طبعة عام ١٩٩٠م، ص ٤٥. وانظر: مقال نظرية ماسلو واحتياجات الإنسان المتصاعدة للباحث محمد فتحي عبدالفتاح أمين في موقع آفاق علمية وتربوية.

(٥) الدافعية في الحياة ومستويات الالتزام، ص٤٦.

(٦) علي عسكر، الدافعية في مجال العمل، الكويت: منشورات ذات السلاسل، ص٢٤- ٧٣.

(٧) انظر: مقال نظرية ماسلو واحتياجات الإنسان المتصاعدة.

(٨) تقديم عمر عبيد حسنة لكتاب (مهارات الاتصال)، ص٢.

نتائج وتصورات

من هذا العرض الموجز والمبسّط عن أهمية التواصل وعلاقته بالدوافع، وتحديد مفاهيمه اللغوية والاصطلاحية ومكوناته، يمكننا استخلاص النتائج الآتية:

- التواصل ركن أساسي في الحياة البشرية، وهو من أقدم أوجه النشاط الإنساني.
- التواصل شكل وجودي أساسي للإنسان لعدة دواعٍ، منها: طبيعة الإنسان البشرية، وطبيعته الاستخلافية، وحاجاته الاجتماعية المتمثلة في: الحاجات العضوية الأساسية، وحاجاتُ الأمن والأمان، وحاجات الحب والانتماء، وحاجات المركز والمكانة، وحاجات تحقيق الذات والحاجات العليا.
- القدرة على التواصل مع الآخرين والتعامل معهم عامل أساسي في تحقيق نجاح الفرد في حياته المهنية والشخصية.
- يفيد التواصل في اللغة العربية الوصل، والصلة، والوصال، والاتصال، وعدم الانقطاع، والترابط، والاقتران، والالتئام، والجمع، والانتماء، والإبلاغ، والإعلام، والانتهاء إلى الشيء، وتبليغه إياه.
- تعني كلمة communication في اللغة الفرنسية إقامة علاقة، وتراسل، وترابط، وإرسال، وتبادل، وإخبار، وإعلام، وهذا يعني أن هناك تشابهاً في الدلالة والمقصود بين مفهوم التواصل العربي والتواصل الغربي.
- اختلاف مفاهيم التواصل الاصطلاحية باختلاف مقاربات الظاهرة التواصلية.
- الاتصال يكون في اتجاه واحد، أما التواصل فهو في اتجاهين.
- التواصل لا يحدث إلا بوجود ستة عناصر أساسية، هي: المرسل، والرسالة، والمستقبل، والوسيلة، والتغذية الراجعة، والبيئة المحيطة.

(٩) معجم مقاييس اللغة، بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م، ٢/ ٦٣٤.

(١٠) الفيروزآبادي، القاموس المحيط، مادة (وصل).

(١١) الراغب الأصفهاني، معجم مفردات القرآن، ضبط وتصحيح: إبراهيم شمس الدين، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م، ص٥٩٧.

(١٢) معجم مقاييس اللغة، ٢/ ٦٣٤.

(١٣) ابن منظور، لسان العرب، مادة (وصل).

(١٤) المعجم الأساسي، تأليف وإعداد: جماعة من اللغويين العرب، الأليسكو لاروس، طبعة ١٩٨٩م، ص١٣١٢.

(١٥) طه عبدالرحمن، الحجاج والتواصل، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بأغادير، سلسلة الدروس الافتتاحية، الدرس ١٠، ١٩٩٣-١٩٩٤م، ص٥٠.

(١٦) جميل حمداوي، مقال (مفهوم التواصل: النماذج والمنظورات)، موقع ديوان العرب، ٢٠٠٦م.

(١٧) العربي إسليماني، التواصل التربوي، شركة نداكوم ديزاين، ٢٠٠٥م، ص١٧.

(١٨) إبراهيم ناصر، علم الاجتماع التربوي، عمان: جمعية عمال المطابع التربوية، ١٩٨٤م، ص٣٢.

(١٩) العربي إسليماني، التواصل التربوي، ص١٨.

(٢٠) العربي ورشيد الخديمي، قضايا تربوية، مراجعة وتقديم: عبدالكريم غريب، منشورات عالم التربية، ط٧، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م، ص٣٠، ٣١.

(٢١) عصام عبدالعظيم أحمد، دليلك إلى الاتصال الفعال، الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية، ٢٠٠١م ص٢.

(٢٢) التواصل التربوي، ص١٩.

(٢٣) المرجع نفسه، ص١٨.

(٢٤) تقنيات التواصل والتعبير، منشورات مجلة علوم التربية، ع٨، ٢٠٠٧م، ص١٢.

(٢٥) دليلك إلى الاتصال الفعال، ص١٠.

(٢٦) دليلك إلى الاتصال الفعال، ص٢.

(٢٧) المرجع نفسه.



الحياة باللون
الأحمر!!
دراسة
وفيق صفوت مختار
سوهاج - مصر

اللون الأحمر هو أحد الألوان الأساسية التي يتكون منها جميع الألوان الموجودة في الوجود، سواء المرئية منها أم الملموسة. وقد ثبت علمياً وعملياً أن الألوان الأساسية الثلاثة في مجال الضوء هي: الأحمر، والأزرق، والأخضر.

ويمارس اللون الأحمر وظيفة النهي عن الإقدام على شيء معين؛ فالضوء الأحمر في إشارات المرور يمنع السائق من التقدم عبر التقاطع، ويأمره بالتوقف. وحينما يقترب الإنسان من مكان خطر يطالعه اللون الأحمر بالإنذار عن طريق عدة أقماع من البلاستيك على الطريق، أو قد يكون علماً يلوح به عامل الصيانة على الطريق السريع مثلاً. أما في المنشآت العسكرية، فإن إطلاق صفارات الإنذار مصحوبة بإضاءة الأنوار الحمراء يعني إعلان أعلى درجات الاستنفار استعداداً لمواجهة الأعمال الحربية أو البدء بها.



اللون الأحمر لون المتناقضات

ربما لأن القلب يخفق بسرعة لدى الإحساس بعاطفة معينة، أو لأن الوجنتين تتوردان، أو لأن الأحمر لون دافئ، أو لأن الورد الأحمر هو الأقوى حضوراً أمام البصر، أو ربما لكلّ ذلك أصبح اللون الأحمر في المجتمعات الغربية رمزاً للعاطفة المتوهجة والتعبير عنها. أما إذا تدنّت العواطف إلى مستويات غير أخلاقية، أو غير مقبولة اجتماعياً، يصبح الأحمر رمزاً للسوء والخطيئة: فمن هولندا إلى الهند توصم الأحياء التي تنتشر فيها الرذيلة في المدن بـ(الأحياء الحمراء)، كما توسم ليالي الصخب والمجون بـ(الليالي الحمراء). وإذا كان اللون الأحمر عنواناً لحسن الضيافة والترحيب من خلال الأبسطة الحمراء Read Carpet فإنه يصبح أمراً بالطرد في حالات أخرى: مثل البطاقة الحمراء التي نعرفها جميعاً. وبها يُطرد اللاعب الذي يرتكب مخالفةً جسيمةً على أرض الملعب!!.

اللون الأحمر والعلاج النفسي

تشير بعض الدراسات السيكولوجية إلى أنه تم

استخدام اللون الأحمر في شفاء بعض الاضطرابات النفسية؛ فقد تمّ استخدامه على أحد رجال الأعمال في أمريكا نزلت به خسارة فادحة كادت تودي به إلى الإفلاس. فأثرت في أعصابه، فاضطربت معنوياته بشكل كبير؛ مما جعله يُصاب بحالة من حالات الاكتئاب أودع على إثرها أحد مستشفيات الأمراض النفسية والعصبية. وفي المستشفى رفض تناول الطعام عدة أيام. فأدخله الطبيب غرفة طُليت جدرانها باللون الأحمر. وما هي إلا ساعات قليلة حتى عادت إلى المريض شهيته المفقودة، فطلب طعاماً، وراح يلتهمه بشراهة. وبدأت تزول عنه أعراض الكآبة والمزاج السوداوي.

كما استعمل الدكتور بونزا - مدير مستشفى الأمراض النفسية والعصبية في مدينة أليساندريا - غرفةً حمراء لبعض المصابين بحالات من اليأس. فكانت النتيجة مدعاةً للارتياح. ويذكر الدكتور بونزا تجارب أجراها في غرف ملونة، فيقول: إنه وضع رجلاً مصاباً بالماليخوليا والعبوس وقلة الكلام في غرفة حمراء. وبعد ثلاث ساعات أصبح الرجل طروباً.

ويُؤخذ من تقارير مستشفى لندن أن المعالجة بالألوان جاءت بفائدة عظيمة في معالجة أمراض الصدمات العصبية والوهن العصبي. وإن من أهم الألوان التي تُعالج بها تلك الأمراض اللون الأحمر الفاتح. وذكر الدكتور رابت أن الألوان عامةً تؤثر في الرجال أكثر من تأثيرها في النساء. وأن ٩٩٪ من الناس يحتاجون إلى اللون الأحمر الفاتح (الوردي) الذي يرمز إلى السعادة والهناء.

اللون الأحمر وتفسير الأحلام

يؤكد الشيخ عبدالغني النابلسي في حديثه عن حمرة البشرة عامةً في كتابه (تعطير الأنام في تفسير الأحلام): «من رأى أن وجهه أحمر برّاق فإنه يكون وجيهاً في الدنيا معروفاً بالخير. وقيل: إن كان مع الحمرة بياض نال صاحبه عزاً وفرحاً. ومن رأى أن وجهه ملطّخ بالحمرة مثلما تلطّخ وجوه النساء فإنه يزني فيفتضح. ومن رأى أن جسمه ووجهه قد احمرّا فإنه يكون طويل الهمّ بعيد الفوز. وحمرة اللون تدل على عافية المريض وقدوم المسافر». ويقول الإمام محمد بن سيرين

الأسرع والأطول

اللون الأحمر لون الأشعة السحرية أشعة الليزر Laser التي تستخدم في الحرب والسلام، وهي أشعة كهربائية تولد في المجال المرئي من الطيف بواسطة بلورة من الياقوت الأحمر Ruby بطول موجة حمراء قدرها ٦٩ ميكروناً. ويصل اللون الأحمر إلى العين قبل أيّ لون آخر، بل إنه يبقى ظاهراً عندما تختفي كل الألوان؛ فقد وجد العلماء أن طول موجة اللون الأحمر أطول كثيراً من طول موجة اللون البنفسجي، وتقع أطوال موجات ألوان الطيف بين هاتين النهايتين؛ إذ تقصر باتجاهها من الأحمر إلى البرتقالي إلى الأصفر إلى الأخضر والأزرق والنيلي ثم البنفسجي؛ فطول موجة اللون الأحمر ٧٦٠٠ أنجشتروم (وحدة قياس طول الموجة، ويساوي جزءاً من مئة مليون جزء من السنتيمتر؛ أي أن السنتيمتر الواحد يحتوي على مئة مليون أنجشتروم).



يؤخذ من تقارير مستشفى لندن أن المعالجة بالألوان جاءت بفائدة عظيمة في معالجة أمراض الصدمات العصبية والوهن

في كتابه (منتخب الكلام في تفسير الأحلام): «إن اللون الأحمر في الثياب صالح، ويكره للرجال؛ لأنه زينة الشيطان، إلا أن تكون في أزرار أو فراش أو لحاف. وفيما لا يظهر فيه الرجل فيكون حينئذ سروراً وفرحاً».

اللون الأحمر السياسي والعسكري

يرتبط اللون الأحمر غالباً بالصراع السياسي والاجتماعي: فقد ظلّ اللون الأحمر عدة سنوات رمزاً للعنف والقتل والظلم والإرهاب. ويشير كذلك إلى الدافع نحو التغيير السياسي الجذري مصحوباً بالقوة، كما هو الحال في الثورة الحمراء أو أي شيء كان يتّصل بالشيوعية؛ فالجيش السوفييتي الذي أسّس عقب ثورة عام ١٩١٧م كان يُعرف بالجيش الأحمر، والجيش الياباني الذي أسّس عام ١٩٦٩م لقب أيضا بالجيش الأحمر، وهو منظمة إرهابية صغيرة بقيت ناشطة حتى عام ١٩٩٠م، والألوية الحمراء الإيطالية منظمة يسارية متطرفة إرهابية أيضاً اختارت اللون الاحمر والعنف في سعيها إلى تهيئة إيطاليا في سبعينيات القرن المنصرم لثورة ماركسية، كما اختار الثوار الصينيون، الذين سعوا إلى إنهاء الثقافة التقليدية الصينية، اللون الأحمر، وتابعهم الثوار الكمبوديون الذين عرفوا باسم (الخمير الحمر)، والذين قاموا بقتل ما يقارب المليون ونصف المليون نسمة من السكان البالغ عددهم ٥.٧ مليون نسمة في مدة حكم امتدت ثلاث سنوات ونصف السنة فقط!!.

ويرمز اللون الأحمر كذلك إلى الحرب؛ لأن إله الحرب (مارس) المريخ هو أحمر اللون، وعند ظهوره في السماء تبدأ الحروب (هكذا اعتقد الإغريق). وتعود أقدم شهادات ربط الملابس الحمراء إلى المؤرخ الإغريقي كزينوفون، الذي كتب عن الأردية الحمراء التي كان يرتديها المحاربون في إسبرطة القديمة؛ ربما لأن الرداء يخفي بقع الدم، ويمكّنهم من الظهور مقاتلين عتاة لا يقهرون!!. وتبنّت الإمبراطورية الرومانية ذات المزاج العسكري الأردية الحمراء لفيالقها، وزادت عليه عرفاً من الشعر الأحمر فوق خوذة الرأس. وكان ارتداء الوشاح الأحمر يعني أن مرتديه قد أقسم اليمين العسكرية. وعاش الرداء الأحمر حتى بدايات الحرب العالمية الأولى؛ فالجيش البريطاني الذي استعمر أمريكا كان مميزاً بسترته الحمراء.. وقلب نابليون بونابرت في عام ١٨٠٧م لون سترات جيشه من الأبيض والأزرق إلى الأحمر. وظلّ هذا اللون معتمداً حتى عام ١٩١٥م حينما لاحظ أحد القادة أن حمرة ملابس جنوده أصبحت هدفاً ممتعاً للقناصة الألمان، فقرّر التحول إلى اللون الأسود بدلاً منه!!. وخلال الحرب الأهلية الأمريكية لم يكن الجنوب الأمريكي الذي أخذ إلى الحرب على حين غرة مستعداً لها بزيّ موحد، فقامت النسوة بإهداء الجنود مناديل حمراء تُربط حول العنق لإذكاء الحماسة، وتوحيد الزي.



الأحمر الملكي والطبقي

لأن الإمبراطور الروماني كان القائد الأعلى للجيش، ولأن الصبغ الأحمر كان الأغلى ثمناً (عادل في عصر الإمبراطور ديوكليسيان وزنه ذهباً)، اعتمد الأباطرة هذا اللون في ملابسهم الرسمية، ومنهم انتقل هذا التقليد إلى معظم ملوك

اوربا حتى القرن التاسع عشر: فحتى عندما تكون ملابس الملك بألوان مختلفة كان لابد من إضافة لمسة حمراء مثيرة: مثل الاحذية الحمراء التي كان يرتديها الملك لويس الرابع عشر على سبيل المثال في الحفلات الرسمية. أما معاطف حفلات التتويج فكانت كلها حمراء إلى ان تغيّر الأمر في عهد الملكة فيكتوريا في بريطانيا حين أصبح اللون الأحمر رمزا لحياة الفسق والمجون. فامتنع عنه البلاط الإمبراطوري. وظلّ اللون الأحمر طوال القرون الوسطى حكرا على النبلاء. وفي إحدى الثورات التي اندلعت عام ١٥٥٢م كانت المطالبة بالحق في ارتداء الملابس الحمراء ضمن مطالب الفلاحين!!. وبقيت الأحذية الحمراء ذات الكعوب العالية ممنوعة قانونا على غير النبلاء في فرنسا حتى قيام الثورة الفرنسية: لذا عُدّ انتعالها بعد الثورة تحديا لقيم الثورة ذاتها. ولقد سنّت القوانين الجديدة التي تحصر حقّ ارتداء القبعات وأغطية الرأس الحمراء بالطبقة البرجوازية العليا. وهذا الأمر تحدّاه أبناء الطبقات الأدنى: لأن جاذبية اللون الأحمر كانت أقوى من القوانين.

اللون الأحمر في حياة الشعوب

إن كل من يدخل مطعماً صينياً يلاحظ على الفور طغيان اللون الأحمر على الجدران والمصابيح وأغطية الطاولات. حتى الأبواب: لأنه اللون الإمبراطوري. وهو كذلك لون الحظ والمجد والصحة، وهو لون ملابس العرس. ويحمل اللون الأحمر في الصين عدة معان جميلة: مثل: الشجاعة. والإخلاص. والشرف. والنجاح. والخصوبة. والسعادة. ومن ضمن رموزه أيضا: فصل الصيف. وجهة الجنوب، سواء أكان الجنوب عامة أم جنوب الصين.

استعمل الصينيون اللون الأحمر في زخارفهم. واختاروه رمزا لمعبد الشمس. ولوّنت توابعه باللون الأحمر نفسه، وكذلك ملابس الكهنة والأواني الكهنوتية. أما في بلاد التبت، فاللون الأحمر هو لون الشرّ والشياطين.

وفي الهند. يمثّل اللون الأحمر الحرارة الملتهبة. وهو مرتبط بالأرض والماء. وهو لون الزفاف كما في الصين. أما في إيران. فاللون الأحمر عندهم هو لون العار.

وأطلق العرب على اللون الأحمر نحو ٦٢ اسما. نذكر منها: الأحمر القاني: أي: أحمر خالص من كل لون. وأحمر زاهر: بمعنى أحمر شديد الحمرة. وأحمر مكر: أي احمر يشبه حمرة الدم. وأحمر أكلف: وهو الذي اختلطت حمرته بلون اخر. وأحمر ناكع: وهو الأحمر الذي يخالط حمرته سواد، وأحمر كذى: إذا احمرّ وجهه من خجل أو فزع.

أحمر الأحجار الكريمة

إن أغلى حجر كريم على الإطلاق هو الماس الأحمر الذي يُباع القيراط الواحد منه بما يتجاوز المليون دولار، وأغلى أنواع الياقوت الأحمر هو الذي يكون أشدّ حمرة، ويُعرف باسم (دم الحمام). وأصل هذه التسمية الغربية يعود إلى طريقة ظلت بضعة قرون معتمدةً في أوربا لتصنيف أفضل ألوان الياقوت، وتتطلّب هذه الطريقة وضع الياقوتة على ورقة بيضاء، وإسالة نقطة دم طازجة من طير الحمام بقربها، فإذا تطابق لون الياقوتة مع لون نقطة الدم يتم إعلان أن لونه مثالي. وتبقى مسألة الشوائب الداخلية التي نادراً ما تخلو منها أحجار الياقوت، فإذا خلت منها تجاوز سعر الياقوتة سعر الماس العديم اللون بأضعاف مضاعفة.

اللون الأحمر والفن التشكيلي

ظهر اللون الأحمر ودرجاته ومشتقاته بوضوح في فنون آسيا الغربية. وتجدر الإشارة هنا إلى الخزف الإيراني ذي الزخارف السوداء البسيطة على أرضية حمراء اللون: إذ كانت له مكانة منذ العصر النيوليتي: بسبب كثرة استعماله وتفضيله على المواد الأخرى. ومنذ عام ٥٥٠٠- ٣٠٠٠ ق. م كان تشكيل الخزف ودهانه

من الانشطة الفنية الأساسية للقرى الإيرانية.

ويودي اللون الاحمر دورا مهما في الفن اليوناني القديم بكل فروعه: فقد كانت المعابد التي تُبنى من احجار رديئة تغطى برخام يتميَز بالجمال الفائق. وكان السطح دائما رخاميا. وكان يُدهن بطريقة تثبيت الوان الرسوم بتسخين الشمع واستعمال الالوان البراقة. وعلى رأسها ياتي اللون الأحمر. وكانت واجهة الجبهة Merope في المعبد. واطار الكتلة المثلثة Pediment. حمراوي اللون دائما. وظهر ايضا في الفن اليوناني الخزف ذو الاشكال الحمراء على يد الفنان اندوكيدس Andokidos. وكانت صور الاشكال الحمراء تمثّل الادميين في اوضاع متعددة اخّاذة ذات تعقيد كبير.

وكان دور اللون الاحمر في الفن الروماني القديم امتدادا لدوره في الفن اليوناني. وكان الخزف اكثر المنتجات الفنية قربا واستمرارا للاسلوب اليوناني القديم: اذ ان أعدادا كثيرة من الخزف الروماني كانت (مستنسخات) عن ألوان يونانية قديمة.

ومع ان الالوان في الفن البيزنطي اتّجهت نحو الهدوء والوقار إلا ان اللون الاحمر استخدم. وكان له دور متميَز: لانه لون مثير. ولكي يتماشى مع اتجاه الفن البيزنطي واسلوبه اختيرت منه في احيان كثيرة الدرجة القريبة من البني المحمر. وفي أحيان اخرى وضع الاحمر القاني الناصع بجوار اللون البرتقالي او الاصفر المحمر او البني المحروق. فخبت حرارته. وبدا أقل اثارة ونصاعة.

وأدى اللون الاحمر في الفن القبطي الدور نفسه. كما كان للون الاحمر ودرجاته ومشتقاته دور مهم في الفنون الاسلامية من العصر الأموي حتى العصر المملوكي. وكذلك في زخارف الطراز الإيراني (الفارسي). والتركي (العثماني). والاندلسي. والمراكشي. وقد استخدمه المسلمون في زخرفة مساجدهم ومبانيهم. وفي الرسم والتصوير على الحوائط. وفي كتب الأدب. وفي الكتب العلمية. وفي فنون الخزف والزجاج والمنسوجات والبسط والسجاد. كما استخدموه في كتابة القران الكريم: ففي البداية كان الكتّاب يكتبون (نقط التشكيل) باللون الاحمر. ومنهم من اقتصر على استعمال اللون الاحمر وحده للحركات والهمزات. وقد وُجدت مصاحف من العصر العباسي ترجع إلى القرن التاسع الميلادي مكتوبة على الرق ذي اللون الاحمر بمداد اسود او ذهبي. ونذكر هنا ان قصور الحمراء في غرناطة وهي اهم الاثار العربية الاسلامية سُمّيت كذلك لان اللون الاحمر يكسو جدرانها. وليس نسبة إلى ابن الاحمر (محمد بن يوسف) كما





يُشاع في بعض الكتابات، وهي القصور الوحيدة التي وصلتنا في حالة جيدة، وقاومت عوادي الزمن.

اللون الأحمر والأدب

تستمد الألوان مكانتها في الأدب من مكانتها في الوجدان الشعبي: فمخيلة الشعراء وأقلام الأدباء ترجمة لذلك الوجدان. وللأحمر في وجدان الناس حضور استثنائي، وكذلك في الأدب العربي بنثره وشعره، وقد لا يضاهيه في مكانته لون آخر. ونظرة سريعة إلى الموسوعات الشعرية تكشف لنا أنها مزدحمة بذكر اللون الأحمر الذي تكرّر مئات المرات، بل إنه باشتقاقاته الأخرى تكرّر أضعاف ذلك. وأخذ اللون الأحمر دلالات متعددة وتوظيفات مختلفة في أشعار العرب. منها استخدامه للدلالة على المنعة والقوة؛ لذا سُمّيت قبيلة مضر (مضر الحمراء). يقول بشر بن أبي خازم:

دعوا منبت السيفين إنهما لنا
إذا مضر الحمراء شبت حروبها

واستخدم للإشارة إلى الموت، كقول الأخطل الصغير:

ضحك المجد لنا لما رآنا
بدم الأبطال مصبوغاً لوانا
عرس الأحرار أن تسقي العدى
أكؤساً حمراً وأنغاماً حزانى

واستخدم للدلالة على القتل، كقول أبي تمام:

تردى ثياب الموت حمراً فما أتى
لها الليل إلا وهي من سندس خضر

ومعنى البيت أنه ارتدى الثياب الملطخة بالدم، فلم ينقض يوم قتله إلا وقد صارت الثياب خضراً من سندس الجنة.

ولوّن الشاعر الكبير أحمد شوقي الحرية باللون الأحمر في قوله عند قيام قوات الانتداب الفرنسي عام ١٩٢٦م بقمع ثورة سلطان باشا الأطرش في سورية:

دم الثوار تعرفه فرنسا
وتعلم أنه نور وحق
وللحرية الحمراء باب
بكل يد مضرجة يدق

أما الأحمر العاطفي، فمن أجمل ما قيل فيه قول النقدي:

قالوا نرى لون حناء براحتها
فقلت ما لون حناء ولا عنم
كانت تلاعب صدغيها فأظفرها
أدمت فؤادي وهذا اللون لون دمي

ومع أن الشاعر لم يذكر اللون الأحمر لفظاً إلا أنه صريح في ذكر العنم؛ تلك الشجرة ذات الأزهار الحمراء، ولون الدم القاني المسفوك على مذبح الهوى.

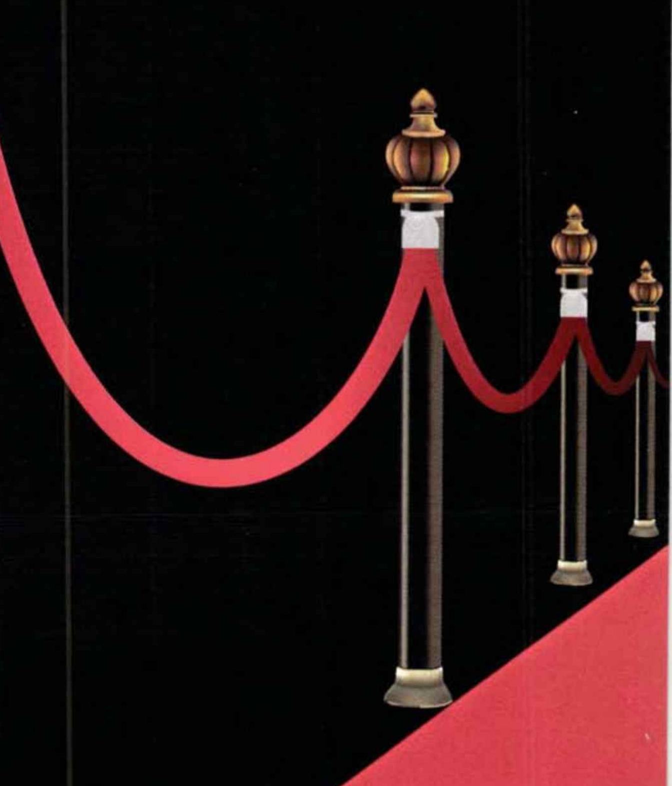
وأخذ اللون الأحمر دلالات حديثة في الشعر بعدما تعدّدت استخدامات هذا اللون، كأن نقول: الجيش الأحمر، والمد الأحمر، والسجادة الحمراء، والخطوط الحمراء، وغيرها، ومن ذلك قول الشاعر جاسم الصحيح إشارةً إلى التفخيم:

هل أنزلتك الأبجدية باسمها
ضيفاً على الأبدية الفيحاء؟
هل قابلتك فخامة الفكر التي
تمشي على سجادة حمراء؟



اللون الأحمر في الأديان

اللون الأحمر في الثقافة الإسلامية هو لون لهيب جهنم، والنار، والدم، والشر، وشمس المغيب. وذُكر اللون الأحمر في القرآن الكريم مرةً واحدة فقط في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ﴾ (فاطر: ٢٧)؛ فألوان الثمار معرض بديع للألوان يعجز عن إبداع جانب منه جميع الرسامين في جميع الأجيال. ثم الانتقال من ألوان الثمار إلى ألوان الجبال نقلة عجيبة في ظاهرها، لكنها من ناحية دراسة الألوان تبدو طبيعية؛ ففي ألوان الصخور شبه عجيب بألوان الثمار وتنوعها وتعددها. والجدد: الطرائق والشعاب، وهنا لفتة جميلة في الآية الكريمة؛ فالجدد البيض مختلف ألوانها فيما بينها، في درجة اللون، والتظليل، والألوان الأخرى المتداخلة فيها. أما في المسيحية الغربية، فاللون الأحمر هو طارد الحسد والشياطين، وهو الحرارة، وهو لون حماة الصليب الأحمر.



المراجع

(١) أحمد رأفت علي عبدالمنعم، الرسم بالألوان في القرآن، القاهرة: دار الجميل، ٢٠٠١م.

(٢) سعيد الشيمي، سحر الألوان، القاهرة: الهيئة المصرية للكتاب، ٢٠٠٩م.

(٣) عبدالغني النابلسي، تعطير الأنام في تفسير الأحلام، ج١، القاهرة: دار المنار، د. ت.

(٤) محمد بن سيرين، منتخب الكلام في تفسير الأحلام، القاهرة: دار المنار، د. ت.

(٥) محمود البسيوني، أسرار الفن التشكيلي، القاهرة: عالم الكتب، ١٩٨٠م.

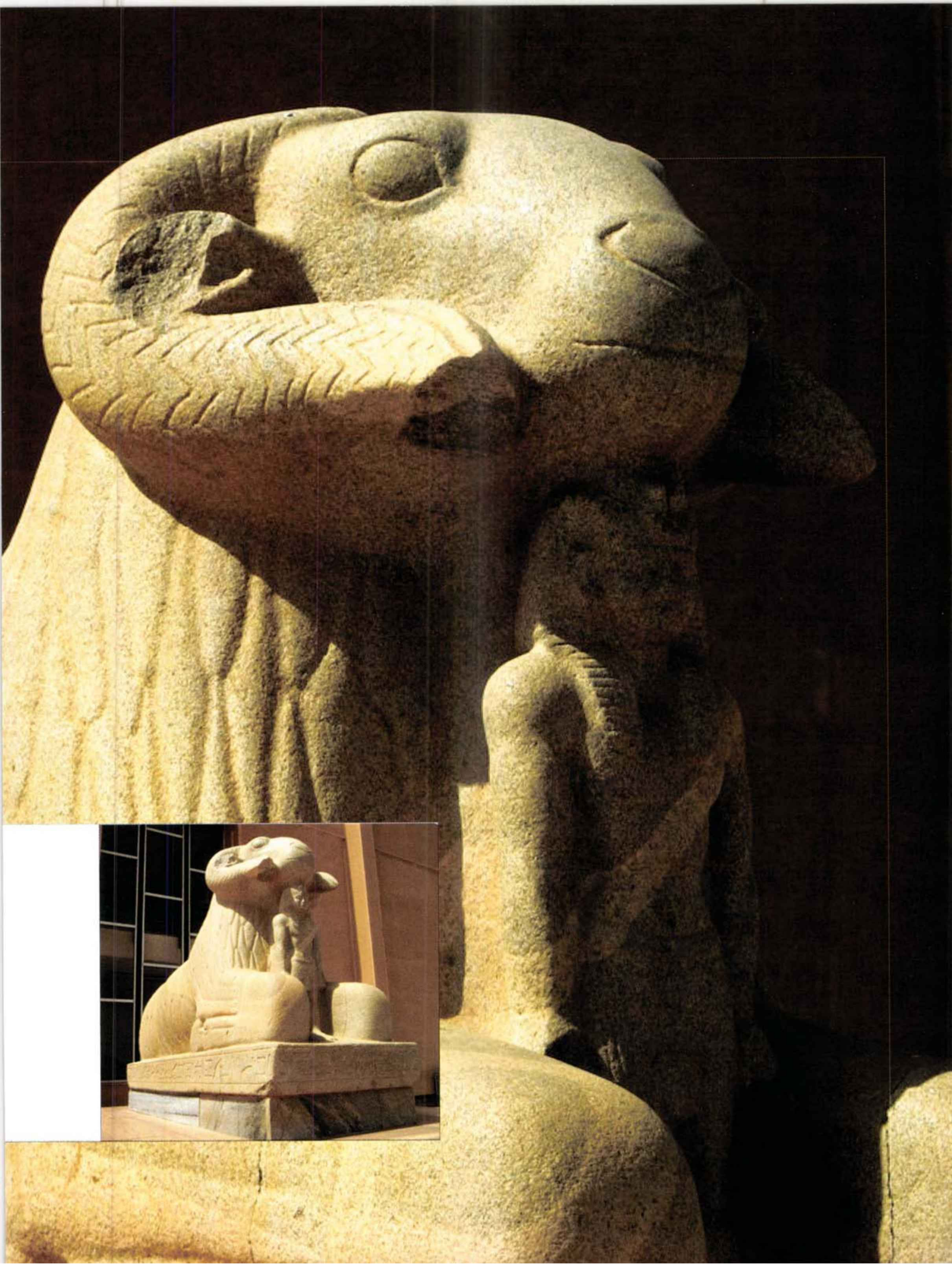
(٦) م. س. ديماند، الفنون الإسلامية، ترجمة: أحمد محمد عيسى، مراجعة: أحمد فكري، ط١، القاهرة: دار المعارف، ١٩٥٨م.

(٧) ثروت عكاشة، تاريخ الفن، مج٣، القاهرة: دار المعارف، د. ت.

(٨) مجلة القافلة السعودية، نوفمبر- ديسمبر ٢٠٠٨م.

(9) Read. H. The Meaning of Art. London: Penguin. 1963.

(10) Scharz. H. Cdour for the Artist. London: stoudio vistar. 1980.



متحف السودان القومي
سياحة في حديقة الآثار

يقع متحف السودان القومي على شاطئ النيل الأزرق عند ملتقى النيلين الأزرق والأبيض بالمقرن، وقد بدأ بناء هذا المتحف عام ١٩٥٦م على مساحة تبلغ ٣١٣٤٨ متراً مربعاً، واكتمل البناء عام ١٩٦٥م، وتم الافتتاح عام ١٩٧١م. ويعد هذا المتحف الوارث الشرعي لمتحف الخرطوم الذي أنشئ في كلية غردون التذكارية -جامعة الخرطوم فيما بعد- بوصفه أول متحف عرفه السودان.





حوى النبي علي صالح
الخرطوم – السودان

يتكون المتحف من شقين: الأول يُعرف بـ(حديقة الآثار)، وهو متحف مفتوح في الهواء الطلق لآثار السودان التي كان يتهددها الغرق؛ ففي أواخر خمسينيات القرن الماضي قرّرت حكومتا السودان ومصر إنشاء سد أسوان العالي لتخزين المياه أيام الفيضان، وقد وجّه هذا السد تهديداً مباشراً بالفناء لعدد كبير من المباني الأثرية المهمة في بلاد النوبة السودانية،

من بينها عدد من المعابد التي بُنيت من الحجر الرملي. وهي معابد عكاشة، وبوهين، وسمنة غرب، وسمنة شرق. وإضافة إلى هذه المعابد كان لابد من إنقاذ عدد من الكتابات الصخرية المهمة، بجانب قبر فريد في نوعه. لذا قرّرت حكومة السودان عام ١٩٦٢م نقل هذه الآثار المهمة ليُعاد بناؤها في ساحة المتحف القومي. وتمّ تشييدها في حديقة المتحف حول بحيرة اصطناعية ترمز إلى النيل: إذ كانت هذه المعابد تُقام في الأصل على ضفاف النيل. وقد وُضعت هذه المعابد على حافة البحيرة بالضبط كما كانت على شواطئ النيل في بلاد النوبة.

أما الشق الثاني من المتحف، فيحتوي على صالتي عرض. تحتوي الصالة الأولى في الطابق الأرضي على آثار ومقتنيات تغطّي حقبة عصور ما قبل التاريخ حتى العصور الإسلامية في السودان. أما الطابق العلوي، فقد خصّص لعرض مقتنيات الحقب المسيحية، إضافةً إلى بعض الآثار الإسلامية.

ونبدأ سياحتنا في هذا المتحف بشرح موجز للآثار المعروضة في فناء المتحف، أو ما يُعرف بحديقة الآثار''.

• البحيرة والضفادع

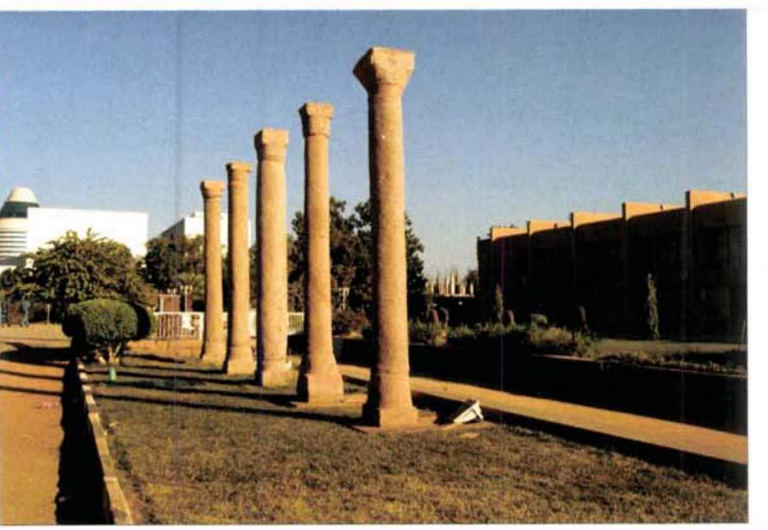
يبلغ طول هذه البحيرة الصناعية المحفورة في حديقة المتحف نحو ٢٠٠ متر، ويبلغ عرضها نحو ١٠ أمتار، ويبلغ عمقها نحو ٨٠ سنتيمتراً. ونجد تمثالاً من الحجر الرملي لضفدعة في الطرف الأول من البحيرة، وآخر في الطرف الثاني منها. ويرجع تاريخ هذه التماثيل إلى عهد مملكة مروي، وتمّ استجلاب هذه الآثار من منطقة تُعرف بالبعضة تقع شرق مدينة شندي.

وتمثّل الضفدعة رمز المعبودة المصرية (حكيت). وقد وجد هذان التمثالان حول خزان قديم للماء (حفير). وربما كان الهدف من وضع تماثيل هذه المعبودة في هذا المكان الاستعانة بها في جلب الأمطار الغزيرة.

• أعمدة فرس

إذا اتجهنا يميناً بعد الدخول إلى ساحة المتحف من المدخل الرئيس نجد أنفسنا أمام أعمدة من حجر الجرانيت أقيمت على حافة البحيرة الصناعية، وقد جلبت هذه الأعمدة بواسطة مصلحة الآثار من كنائس فرس في عام ١٩٦٤م. وكانت فرس هذه قبل أن تغمرها مياه السد العالي هي أول قرية سودانية من شمال السودان بعد الحدود الفاصلة بين السودان ومصر. وتقع فرس على الضفة الغربية لنهر النيل على بعد ٣٨كم شمال مدينة وادي حلفا، وورد اسمها في كثير من النصوص الفرعونية

قاعة المتحف الرئيسة


جانب من حديقة المتحف

القديمة. وكانت تُعرف في العهد المسيحي باسم (باخوراس) و(وبرس). والمعروف أن فرس كانت عاصمة مملكة نوباتيا المسيحية التي كانت تمتد من الشلال الأول شمالاً حتى الشلال الثالث جنوباً. وتم في فرس العثور على بقايا أثرية لعهود غابرة تمتد تواريخها منذ عهد المجموعة الحضارية الأولى (٣١٠٠ ق.م) حتى القرن التاسع عشر الميلادي.

• معبد عكاشة

تقع قرية عكاشة، وهي قرية صغيرة، على الضفة اليسرى لنهر النيل على بعد ٢٠كم شمال مدينة وادي حلفا. وقد بنى الفرعون رمسيس الثاني (١٢٩٠- ١٢٢٤ ق. م) معبداً في هذا المكان من الحجر الرملي تكريماً لنفسه. وعند عملية التنقيب في هذا الموقع عام ١٩٦١م تأكد للآثاريين الحالة السيئة للمعبد، واستحالة إنقاذ المعبد كاملاً من الغرق. عندها تقرّر نقل أهم أجزائه المتمثلة في الجدار الغربي لفناء المعبد الذي كانت توجد فيه نقوش مهمة. فنقلت الحجارة عام ١٩٦٣م، وأعيد بناؤه في هذه الحديقة عام ١٩٦٨م.

وتتمثل أهمية هذا الجدار في النقوش التي توجد عليه: ففي الجزء الشمالي من هذا الجدار (على يمين الزائر) نجد قائمةً بالبلاد التي فتحها الفرعون رمسيس الثاني في الأقاليم الواقعة شمال مصر. وعلى الجزء الجنوبي من الجدار نفسه (على يسار الزائر) نجد بياناً بالبلاد التي قهرها في الجنوب. كذلك نجد في الجزء الشمالي لهذا الجدار مباشرةً بعد المدخل (على يمين الزائر). الذي يفصل الجدار إلى جزأين، تمثالاً للملك رمسيس الثاني وهو يقدم رمز الحق والعدل إلى الإله آمون رع.

نقل الجدار الغربي لمعبد رمسيس الثاني من عكاشة إلى المتحف بعد أن تعذّر نقل المعبد كله لسوء حالته

حصن بوهين بناه فراعنة الدولة المصرية الوسطى في بلاد النوبة، وأعاد بناءه ملوك الأسرة المصرية الثامنة عشرة

• معبد بوهين

تقع مدينة بوهين على الضفة الغربية لنهر النيل على بعد ٢٥كم جنوب عكاشة، وهي إحدى القلاع التي شيّدها فراعنة الأسرة الثانية عشرة (١٩٩١ - ١٧٧٨ ق. م) في بلاد النوبة: لحماية حدودهم الجنوبية، والسيطرة على الطريق البري والنهري بين الشلال الثاني وسمنة على بعد ٦٠كم جنوب مدينة وادي حلفا. وقد كانت لهذه المدينة أهمية تجارية كبرى، كما كان لها أثر فعال فيما يتعلق بالتبادل الحضاري والثقافي بين مصر والسودان.

وعندما ساءت أحوال مصر، وغزاها الهكسوس (١٩٧٥ ق. م)، فقد المصريون سيطرتهم على هذا الجزء من السودان، وانتهز السكان الأصليون فرصة ضعف الدولة المصرية فقاموا بدكّ الحصون المصرية وحرقها. لكن المصريين بعد أن تمكّنوا من طرد الهكسوس التفتوا إلى بلاد النوبة، واستطاعوا إعادة احتلال بوهين والسيطرة عليها، وأعيد تشييد الحصن القديم مرةً أخرى، وبُنيت تحصينات جديدة تحيط بالمدينة على نمط يختلف عن طريقة بناء الحصون في الدولة المصرية الوسطى. واستمرت بوهين مستعمرةً حربيةً مصريةً حتى أفول نجم الإمبراطورية المصرية الحديثة في نهاية الأسرة العشرين (١٠٨٥ ق. م). لكن الاستيطان استمر فيها حتى العهد المسيحي في السودان.

ويعدّ حصن بوهين من الحصون المنيعة التي بناها فراعنة الدولة المصرية الوسطى في بلاد النوبة، وقد وُجد الحصن بحالة ممتازة لم يسبق لها مثيل في بلاد النوبة، وهو مبنى مستطيل (١٧٢×١٦٠ متراً)، وبه سلسلة من التحصينات المحكمة: إذ يوجد سور رئيس ضخم مبنيّ من اللبن يبلغ سمكه نحو خمسة أمتار، وارتفاعه نحو عشرة أمتار، وتعلوه أبراج على مسافات منتظمة، ثم يلي ذلك جدار تتخلّله أبراج مستديرة تشرف

على خندق. وقد استحدثت فيه تفاريج بحيث يمكن أن يسدد من خلالها السهام إلى أيّ مكان في الخندق. وكان لكلّ مدافع ثلاثة تفاريج في المكان الواحد. ويلي هذا الجدار خندق محفور في الصخر يبلغ عرضه نحو تسعة أمتار. وعمقه نحو سبعة أمتار. إضافةً إلى ذلك كان إلى جانب الخندق الخارجي جدار من اللبن يعلوه طريق مسقوف يحمي خط الدفاع الأول. وكان لهذا الحصن مدخلان على الناحية الشرقية تجاه النيل. أما المدخل الرئيس للحصن فكان يقع في الناحية الغربية متجهاً ناحية الصحراء.

كان هذا حال الحصن في عهده الأول عندما بناه فراعنة الدولة المصرية الوسطى. لكن عندما أعاد ملوك الأسرة المصرية الثامنة عشرة بوهين أعادوا بناء الحصن القديم على نمط جديد. فكان الحصن الجديد يتكون من سور رئيس عليه دعامات من الخارج. إضافةً إلى ممر ضيق خارج هذا الجدار رصفت أرضيته باللبن.

وكذلك شهدت بوهين خلال حقبة الاحتلال المصري لبلاد النوبة بناء معبدين: أحدهما المعبد العظيم الذي بُني في عهد الملكة المصرية الشهيرة حتشبسوت (١٤٩٠ - ١٤٦٨ ق. م). وقد شيّد هذا المعبد داخل أسوار الدولة الوسطى على أنقاض معبد قديم. وبُني هذا المعبد وقفاً على الإله حورس الذي كان يُعبد في

الثقافة الحربية في عصر مروي

اشتهر الكوشيون على مرّ العصور والأزمان بأنهم من أمهر الرماة: حتى صارت تسميتهم برماة الحدق. وأظهرت الرسومات والنقوش التي صوّرت المعارك والوقائع الحربية في عصر المملكة المصرية القديمة استعمال القوس والسهم في خضم المعركة. كما عُثر على الأدلة الأثرية التي تؤيد ذلك من عصر كرمة. واحتوت الجبانات المروية على الأسلحة ورؤوس السهام بمختلف أشكالها. كما عُثر أيضاً على الأقواس القصيرة. وكان استخدام الحلقات الحجرية لتصاحب القوس أمراً شائعاً. وكان الغرض منها تأمين موضع السهام لتنطلق بقوة ودقة: لتشكّل الحماية المطلوبة ليد الرامي. وصنعت هذه الحلقات من الحجارة الصلدة والمزركشة. كما عثروا على السيور الجلدية التي ربما استخدمت لتحمي يد الرامي أيضاً. وتعدّ مصاحبة هذه الأسلحة الميت ذات قدر كبير من الأهمية: إذ إنها تعكس المرتبة العالية التي أضفاها المجتمع على الرماة.

صالتا العرض في المتحف تضمان مقتنيات تغطي حقبة عصور ما قبل التاريخ حتى العصور الإسلامية

أقدم وثيقة تاريخية عن احتلال المصريين بلاد النوبة وجدت على صخرة فوق شيخ سليمان بوادي حلفا



بوهين. وكان يسمى (سيد بوهين). ويعدّ هذا المعبد من أجمل المعابد التي بنتها الملكة حتشبسوت في بلاد النوبة وأفخمها.

وأعيد بناء المعبد فيما بعد في عهد الملك تحتمس الثالث (١٤٩٠- ١٤٣٦ ق. م)؛ إذ قام مهندسو هذا الملك بتغيير تصميم المعبد. وأزالوا أسماء الملكة حتشبسوت ونقوشها من جدرانه انتقاماً منها.

• مظلة الكتابات

نستمر في سياحتنا في حديقة الآثار. فندلف قليلاً نحو اليمين بعد خروجنا من معبد بوهين. فنصل إلى مظلة أخرى تمّ فيها عرض بعض الكتابات والنقوش المهمة التي جُلبت من بلاد النوبة.

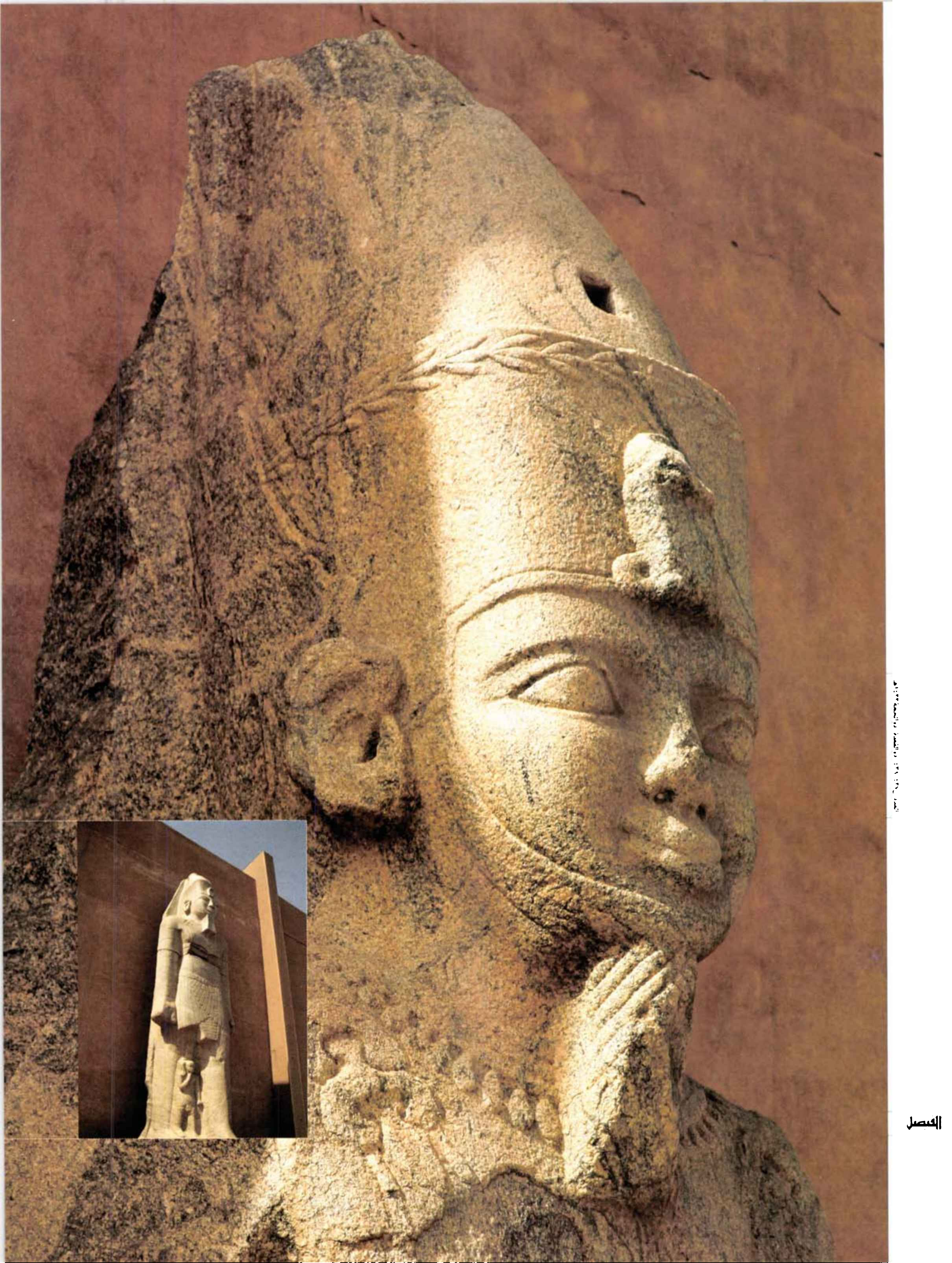
وأول مشهد يقابلنا في هذه المظلة هو الذي نراه على اليمين. وهو نحت لـ(نستاو) الحاكم المصري على بلاد النوبة في عهد الفرعون رمسيس الثاني. وكان هذا النقش في الأصل على الجدار الشمالي لغار حفر في الصخر تمّ اكتشافه في فرس. ونلاحظ أن نستاو يرفع يديه متعبداً. وتقف من خلفه زوجته نفرت موت وهي تمسك بيدها اليمنى ساقاً من نبات البردي. بينما ترفع يدها اليسرى في تعبّد.

يتّجه الزائر بعدها يساراً ليجد نفسه أمام كتابة أخرى وُجدت منقوشة على صخر (أبو صير) المشهور على الضفة الغربية لنهر النيل عند مدخل الشلال الثاني. تقول الكتابة: «العام السادس عشر من حكم صاحب الجلالة الإله الطيب منخبر رع (تحتمس الثالث) وهبت له الحياة». ويُوجد في الكتابة اسم كاتب يُدعى (أمنحتب).

ثم نأتي إلى وثيقة تاريخية مهمة وُجدت منقوشة على صخرة من الحجر الرملي فوق جبل يُعرف بجبل شيخ سليمان يقع على بعد سبعة أميال جنوب مدينة وادي حلفا على الضفة الغربية لنهر النيل. وتعدّ هذه الوثيقة أقدم أثر مسجّل اكتشف حتى الآن يسجل احتلال المصريين هذا الجزء من السودان. ويرجع تاريخ الوثيقة إلى عهد الملك جر ثالث ملوك الأسرة المصرية الأولى (٣١٠٠ ق. م). وتبدو في هذه الوثيقة المحاولات الأولى للتسجيل بالرمز الذي يقترب من الكتابة في أطوارها الأولى.

ويصوّر المشهد معركة نيلية بين الملك المصري والنوبيين. ويظهر في أقصى يمين المشهد قارب مصري في مقدمته أحد الأسرى مربوطاً بحبل. بينما تظهر جثث القتلى وهي تطفو على الماء أسفل المركب. ثم تأتي دائرتان داخل كل منهما خطان متقاطعان عمودياً. فوق أحدهما طائر يشبه الصقر. وفوق الآخر علامة غامضة. وقد عُرفت تلك الدوائر في الكتابة الهيروغليفية بأنها رموز لكلمة مدينة. وعلى يسار هذه العلامة علامة الماء. ولعل المقصود بها أن موقعة حربية بين جنود ملك مصر وأهل المنطقة وقعت في منطقة الشلالات. أو ربما يعني ذلك أن القتال دار في النهر. بعد ذلك نشاهد رجلاً قيّدت يداه وراء ظهره وهو يمسك قوساً (ستي باللغة الهيروغليفية). وهي رمز لتاستي أرض القسي: أي: بلاد النوبة. وخلف هذا الرجل نرى اسم الملك جر فوق ما يشبه واجهة القصر الملكي.

وإذا نظرنا إلى اليسار قليلاً من هذه الوثيقة نجد مذبح الملك السوداني المشهور تهارقا (٦٨٨- ٦٦٣ ق. م). الذي تمّ العثور عليه في معبده الذي شيّده في سمنة غرب على بعد ٦٠كم جنوب مدينة وادي حلفا. وقد كتب على واجهة هذا المذبح باللغة الهيروغليفية: «لقد شيّد ملك الوجه القبلي والبحري تهارقا -أطال الله بقاءه- هذا المعبد لأبيه الإله الطيب خع كاورع (سنوسرت الثالث المؤله)».



- ## معبد سمنة غرب

بعد الفراغ من سياحتنا في مظلة الكتابات نواصل سيرنا نحو اليمين أيضاً لنصل إلى معبد سمنة غرب.

كان التوسع التدريجي الذي مارسه الفراعنة جنوباً في بلاد النوبة قد وصل في عهد الأسرة المصرية الثانية عشرة في القرن العشرين قبل الميلاد حتى سمنة على بعد ٦٠كم جنوب مدينة وادي حلفا. واختار المصريون هذا الموقع الإستراتيجي ليكون الحدود الجنوبية لإمبراطوريتهم في عهد الدولة المصرية الوسطى، وتمّ العثور على لوحة الحدود المشهورة التي أقامها الفرعون سنوسرت الثالث في سمنة في السنة الثامنة من حكمه، ويمنع فيها النوبيين من اجتياز سمنة شمالاً إلا لغرض دبلوماسي، أو هدف تجاري في أكن التي تُعرف حالياً بمرجسا. وتقع على بُعد ٤٠ كم شمال سمنة على الضفة الغربية لنهر النيل.

وقام الفراعنة ببناء حصنين في سمنة غرب، وحصن آخر في سمنة شرق: من أجل تأمين الحدود الجنوبية لملكتهم، وكذلك تأمين الطرق التجارية. وشيدت هذه الحصون بطريقة منيعة ومعقدة دلّت على براعة المهندسين المصريين في فن الهندسة المعمارية للأغراض الحربية، كما دلّت أيضاً على مهارتهم في اختيار المواقع الإستراتيجية لبناء الحصون. وكذلك دلّت الطريقة المنيعة والمعقدة التي بُنيت بها هذه الحصون على قوة أهل البلاد التي شيدت هذه القلاع ضدهم.

وكانت القلعة الشمالية في سمنة غرب من كبرى القلاع التي شيدت في المنطقة. وكان يحيط بها خندق حفر في الصخر، واستخدم هذا الحصن في عهد الدولة المصرية الحديثة، بجانب حصن سمنة شرق، خصوصاً في عهد الأسرة الثامنة عشرة، وكان الملك تحتمس الأول قد بنى في كل من الحصنين معبداً من اللبن استبدل بهما فيما بعد معبدان رائعان من الحجر الرملي. وبُني معبد سمنة غرب في عهد الملك تحتمس الثالث (١٤٥٠ ق.م): تكريماً للإله النوبي ديدوين، وكذلك الملك سنوسرت الذي عُبد في المنطقة في هذا العهد. وزُيّنت جدرانه بالكتابات والرسوم بواسطة أمهر الصناع.

- ## معبد سمنة شرق

نواصل سيرنا، بعد أن نترك معبد سمنة غرب، إلى الناحية الأخرى من البحيرة الصناعية: لنصل إلى معبد سمنة شرق الذي يقع على الضفة الشرقية لنهر النيل تجاه سمنة غرب. بُني هذا المعبد في عهد الملكة حتشبسوت، والملك تحتمس الثالث، والملك أمنحتب الثاني: أي: خلال المدة الممتدة من ١٤٩٠ إلى ١٤١٠ ق. م. وشيّد هذا المعبد وقفاً على الإله خنوم -إله الشلال الأول الذي كان يُعبد على نطاق واسع في بلاد النوبة-. وقد بني هذا المعبد من الحجر الرملي الذي أحضر -كما هو مدوّن في الكتابات التي نراها على جدرانه- من محاجر منطقة تسمى (شاعت): أي: جزيرة صاي الحالية التي تقع على بعد ١١٢كم جنوب سمنة. وكان في الماضي يحيط بهذا المعبد سور من اللبن. وعندما نُقل هذا المعبد إلى الخرطوم أُعيد بناء هذا السور أيضاً من اللبن بالحجم نفسه والارتفاع نفسه الذي كان عليه قبل النقل.

- ## قبر الأمير جحوتيحتب

عند خروجنا من معبد سمنة شرق، وفي أثناء سيرنا نحو اليمين على الضفة نفسها من البحيرة الصناعية، نصل إلى قبر الأمير جحوتيحتب تجاه أعمدة فرس.

والأمير جحوتيحتب هو أمير منطقة سرة، التي كانت تُعرف

أقدم المجموعات الإنسانية في السودان برزت في منطقة بحر الغزال؛ لتؤرخ بذلك لبداية العصر الحجري القديم المبكر في السودان

الثقافة الأشولية هي أقدم ثقافات العصر الحجري القديم المعروفة في السودان

في الماضي بـ(تحخت). ووُجد هذا القبر منحوتاً في جبل صغير يقع على مسافة ميل شرق نهر النيل في قرية يُقال لها: دبيرة. على بعد نحو ٢٠كم شمال مدينة وادي حلفا. وكان جحوتيحتب هذا أميراً نوبياً عاش في عهد الملكة حتشبسوت والملك تحتمس الثالث. وخلفه في الإمارة من بعده أخوه أمنمحات. الذي كان يشغل في بادئ الأمر وظيفة كاتب في بوهين. ووجد قبره في قرية شيخ عويس القرني. التي تقع على الضفة الغربية لنهر النيل. تجاه مقبرة أخيه الأكبر جحوتيحتب.

ويعدّ قبر هذا الأمير من أهم المواقع الأثرية التي كانت مهدّدة بالغرق من جرّاء طوفان السد العالي. كما أن هذا القبر هو أقدم قبر اكتشف في السودان إلى يومنا هذا. ولإنقاذ هذا القبر من الغرق تقرّر في عام ١٩٦٢م قطع الأجزاء المهمة منه ونقلها إلى الخرطوم. وتمّ ذلك بالفعل عام ١٩٦٣م. وأعيد بناؤه عام ١٩٧٠م. كما بُني عليه جبل صناعي يرمز إلى الجبل الذي نُحت فيه في الأصل.

كان الوصول إلى المدخل الرئيس لهذا القبر يمرّ بممر محفور في الصخر. ويفتح في اتجاه الغرب تجاه نهر النيل. ومع أن الكتابات الهيروغليفية التي وُجدت على مدخل القبر كانت بحالة سيئة إلا أننا نجدها تشير إلى حورس سيد بوهين. والمعبودة حتحور سيدة

مقتنيات من مختلف العصور



قائمة الأساقفة من فرس

تعدّ هذه القائمة من أهم الوثائق في التاريخ الكنسي النوبي. وقد عدّ هذا النقش المهم مصدراً قيماً واستثنائياً كخريطة زمنية لتاريخ النوبة في القرون الوسطى. وكُتب على جدران المحراب في غرفة التعميد في الكاتدرائية بفرس الوسطى. وحوى أسماء الأساقفة المتعاقبين على أسقفية (أبرشية) فرس منذ إنشائها في الربع الأول من القرن السابع الميلادي حتى عام ١١٧٠م.

في البدء كان مخططاً لهذه القائمة أن تحوي بيانات عن كل أسقف في خمسة أعمدة معدة لتنزيل المعلومات الآتية: العمود الأول للاسم. والثاني لكلمة (سنوات). والثالث لعدد سنوات ولاية كل أسقف. والرابع والخامس لشهر وفاة الأسقف. وعلى الرغم من ذلك لم يُدرج به أيّ تاريخ بأيّ تقويم من التقاويم المعمول بها في بلاد النوبة.

وكُتب النص على طبقة الجص التالية للطبقة السطحية في ذلك المكان. وأضيفت طبقة الجص الثانية في وقت ما قبل عام ٩٣٩م. كما يدلّ على ذلك نقش يحمل هذا التاريخ محفور على الطبقة ذاتها في الجزء الأسفل من المحراب تحت القائمة. وكتبت القائمة بخط واحد. كما لم يكن هناك اهتمام بعرض الأعمدة. كما تبدو البيانات بشكل ما كأنها ألحقت إلحاقاً.

وسمحت المعلومات المأخوذة من هذه القائمة. عند ربطها بالوثائق النقوشية الأخرى: كشواهد قبور الأساقفة. وبعض الرسومات والنصوص المصاحبة للجداريات. إضافةً إلى معلومات أثرية مختلفة. بتحديد التواريخ الدقيقة لولاية كل أسقف. إضافةً إلى ذلك. فبفضل هذه القائمة تمّ التأريخ لعدد من تصاوير أساقفة فرس المرسومة على جدران الكاتدرائية. وتبعاً لذلك أمكن وضع خريطة زمنية لرسومات فرس. وتضم القائمة نحو ٢٨ أسقفاً. أولهم الأسقف أيثيوس (٦٣٩م). وآخرهم الأسقف أبابيوس الثاني أسقف يخوراس. الذي توفي عن عمر ناهز ٨٨ عاماً. جلس منها على الكرسي نحو ٤٥ عاماً (١١٢٥ - ١١٧٠م).

(*) أعدّ هذه القائمة ستيفان جاكوبلسكي.

أبشك (فرس غرب). وأيضاً أنوبيس رب الجبانة. وكذلك نفهم من الكتابات نفسها أن الأمير جحوتيحتب كان أميراً وابن أمير. وأنه خلف ممتاز لا يعرف التهاون في تنفيذ التعليمات. كما أنه كان أميراً لتحنحت (سرة). وكاتباً في الوقت نفسه.

- **شارع الأسود**

ونحن في طريقنا إلى المبنى الرئيس للمتحف القومي. وبعد أن نعبر الجسر (الكوبري) الموجود على البحيرة الصناعية. نجد عدداً من التماثيل على هيئة أسود تصطفّ على جانبي الطريق المؤدي إلى داخل قاعات المتحف. وقد أحضرت هذه التماثيل من منطقة البعضة التي تقع على وادي الهواد شرق مدينة شندي. وهي مصنوعة من الحجر الرملي. ويرجع تاريخها إلى عهد مملكة مروي. ووجد بعض هذه التماثيل عند مدخل أحد المعابد التي تمّ تشييدها هناك. بينما وجد بعضها الآخر على حافة خزان أثري للمياه (حفير) في الموقع نفسه.

ونستمر في سيرنا ليقابلنا بعد الجسر مباشرةً على يسارنا تمثال عليه اسم أحد ملوك مروي. وهو الملك أمانيخابلي (٧٠- ٥٠ ق. م). أما الأسد الأخير في الصف نفسه. فنراه يفترس رجلاً يمثّل أعداء البلاد. ونذكر أن إله مروي الأعظم (أبديماك) كان على هيئة أسد. كما أن الأسد كان رمزاً مميزاً لحضارة مروي السودانية.

ونرى كذلك على جانبي المصطبة التي تقود إلى داخل المتحف القومي تمثالين مصنوعين من حجر الجرانيت وُجدا في جبل البركل. وهما للإله آمون معبود نبتة على هيئة كبش وهو يحمي الملك السوداني الشهير تهارقا.

ونبدأ سياحتنا داخل صالات المتحف. فندخل الصالة التي تقع في الطابق الأرضي التي تعرض فيها آثار السودان بشكل تسلسل تاريخي للحضارات السودانية منذ أقدم العصور حتى عهد السلطنة الزرقاء. ووضعت هذه الآثار في دواليب زجاجية محكمة الإغلاق (فترينات) ترقد على حوامل حديدية تمكن الزائر من رؤيتها بوضوح.

وعند الدخول إلى هذه الصالة نجد عن يميننا قبل بداية العرض خريطة كبرى توضح المواقع الأثرية في السودان بحضاراتها المختلفة. ونلاحظ تمركز هذه الحضارات على ضفتي نهر النيل. وهذا يعني أن الإنسان في السودان عرف الاستقرار منذ وقت مبكر في حياته.

- **عصور ما قبل التاريخ**

نبدأ السياحة في هذا التاريخ العريق من خلال استنطاق هذه المخلفات التي يبلغ عمرها الاف السنين. وتكون البداية بـ(عصور ما قبل التاريخ) في مراحلها الثلاث: فالسودان هو أحد المواقع المهمة لدراسة أصول الحضارات. واكتشاف البدايات الأولى للمجتمعات الإنسانية. وقد تعثّر ذلك حديثاً بسبب عدم توافر الدراسات التي تبحث في حقب العصور الحجرية: مما أدى إلى قصور في تكوين معالم واضحة لفهم حقيقة الوضع الذي نشأت فيه ثقافة إنسان العصر الحجري في السودان واستيعابها.

- **العصر الحجري القديم**

برزت أقدم المجموعات الإنسانية في السودان في منطقة بحر الغزال: لتؤرّخ بذلك لبداية العصر الحجري القديم المبكر في السودان (مليوني سنة- ٢٥٠٠٠٠ سنة): لنجد أن أقدم الأدوات الحجرية المكتشفة في إفريقية التي يقدّر عمرها بأكثر من مليوني

الفراعنة قاموا ببناء حصنين في سمنة غرب، وحصن آخر في سمنة شرق: من أجل تأمين الحدود الجنوبية لمملكتهم

كانت القلعة الشمالية في سمنة غرب من كبرى القلاع التي شيدت، وكان يحيط بها خندق حفر في الصخر

سنة جاءت من كينيا وإثيوبيا. وتم استخدام الحصى الكبيرة المشكلة والشظايا التي فلقت عنها أدوات للقطع والكسر والحفر والسلخ. وتعرف هذه الأدوات بثقافة (أولدوان). التي عُثر على مثيلاتها في السودان. إلا أن تصنيفها تاريخياً لم يتم حتى الآن.

الثقافة الأشولية هي أقدم ثقافات العصر الحجري القديم المعروفة في السودان. وتمتد جذورها إلى كينيا وتنزانيا. ويؤرّخ لها بنحو مليون ونصف المليون سنة. وقد انتشرت عبر السودان إلى الشرق الأوسط والهند وأوربا. وعرفتها الأخيرة. وظلّت قيد الاستعمال فيها إلى ما قبل ٤٠٠٠٠ سنة. ومن أهم ميزات الثقافة الأشولية الفأس اليدوي المشظّى من جانبيه: ليكون بذلك أداةً قويةً تؤدي كلّ الوظائف. وشكّلت صناعة الفؤوس الحجرية الثورة التقنية الثانية. بوصفها كتلةً ضخمةً من المادة بشفرات واسعة وحادة ومتينة لإنجاز وظائف الحفر والقطع. وتشظية الرقائق الصخرية: لذا صارت الفأس اليدوية أداةً متعددة الاستعمالات مكّنت الإنسان الأول من التحرك بحرية لينتشر من إفريقية إلى أوربا الآسيوية منذ مليون ونصف المليون سنة. ونلاحظ أن الفؤوس اليدوية من المقتنيات الأثرية الشائعة في السودان. والمادة المعروضة في المتحف التي تؤرّخ لهذه المدة عُثر عليها في خور أبو عنجة. ووادي هودي. والبطانة.

• العصر الحجري القديم الأوسط

ثم نصل إلى حقبة العصر الحجري القديم الأوسط (٢٥٠٠٠٠- ٤٠٠٠٠ سنة). الذي يشتمل على عدد من الثقافات. منها الثقافة الأشولية المتأخرة التي حافظت على صناعة الفؤوس اليدوية. إضافةً إلى ذلك برزت تقنية صناعة الأدوات الحجرية بتشكيلها على لبّ المادة الحجرية. ثم فصلها. وقد عُرفت هذه التقنية بالصناعة الليفالوزية. وتضمن العصر الحجري الوسيط ثلاثة ثقافات ليفالوزية أخرى. هي: الماوستيري المسنن الذي انتشرت فيه صناعة الشظايا المسننة. والماوستيري النوبي الذي شهد صناعة الأدوات الحجرية من الشظايا المسننة إلى جانب صناعة المكاشط والأدوات المثلمة والمستدقة الطرف. والخورموسان. وهي حقبة غنية بالصناعات الليفالوزية شاعت فيها الشظايا المستخدمة في النقش والتخديد. وعُثر أيضاً على شظايا مدببة على شكل أوراق الأشجار ربما كانت ذات صلة بثقافات شمال إفريقية.

وشهدت تلك الحقبة الزمنية ظهور الشكل الأول للجنس البشري الحالي المعروف بـ(هوموسابيان). وأيضاً إنسان سنجة (جمجمة) التي من المرجح أن تكون الأولى من نوعها في العالم. وشملت معروضات هذه الحقبة مجموعة عامة من الأدوات الموستيرية من نوري. والكرو. وأدوات حجرية أشولية متأخرة



أقام ستي الأول ورعمسيس الثاني مدينة حديثة في غرب عمارة ظلّت أحد المراكز الرئيسة في كوش حتى نهاية الأسرة العشرين

أخضع الملك النوبي بعانخي مصر، ووسع حدود مملكته حتى ممفيس وبعض أطراف الدلتا شمالاً

من جزيرة صاي، ووادي حلفا، وأدوات موستيرية نوبية تشتمل على أدوات مستدقة الطرف على شكل أوراق الأشجار من خور أبو عنجة، وصفر الوتد، إضافة إلى معروضات أخرى مختلفة.

• العصر الحجري المتأخر

تنتهي هذه الحقبة من عمر الزمن بوصولنا إلى العصر الحجري المتأخر (٢٠٠٠٠- ١٠٠٠٠ سنة)، لنجد أن الثقافة الليفالوزية الغنية للعصر الحجري القديم الأوسط مهدت لنشوء العصر الحجري المتأخر الذي استقى مؤثرات أخرى من الشمال على طول نهر النيل. وجاءت المادة التي تمّ التأريخ لها بهذه الحقبة زاخرة بالأدوات ذات النصال، خصوصاً النصال الدقيقة، وأدوات أخرى تمّت صناعتها على غرار الأولى؛ فإضافة إلى المكاشط والمناقش والأدوات المثلمة والمسننة نجد الأدوات الحادة ذات الظهر التي أعدّت بطريقة يمكن تزويدها بمقبض، فشكّلت بذلك أداة مركبة كرؤوس السهام والمناجل. وإحدى ثقافات هذه الحقبة هي ثقافة حلفا التي شاع فيها استخدام مثل تلك الأدوات وصناعتها، ويؤرّخ لها قبل نحو ١٨٠٠٠ سنة حسب تقديرات الكربون المشع. ويبدو أن بعض المواقع الأثرية لهذه الحقبة في مصر تخصّصت في صيد الأسماك، بينما تمّت في شمال السودان ممارسة صيد الماشية والنيتل الإفريقي الضخم.

وبالمقارنة بين صناعة العصر الحجري القديم الأوسط والمتأخر تمت صناعة الأدوات اعتماداً على النصال والمدى في العصر المتأخر، وليس الشظايا كما كان عليه الحال في صناعة العصر الأوسط، وهذا الأمر أفسح المجال أمام عملية التخصّص، والإنتاج الوافر، وبراعة التقنية في الصنع، وتشكّل هذه الحقبة بداية التخصّص في التقنية والاقتصاد، إلا أنها تبدو أكثر تطوراً خلال العصر الحجري الوسيط اللاحق. واحتوت معروضات هذه الحقبة من تاريخ السودان على أدوات على شكل نصال، بعضها يعدّ من مخلفات الصناعة الليفالوزية من الكربة، ووادي العقب، والدبة، ووادي حلفا، وخور أبو عنجة، وأبو حجار، وأبو صير، وأدوات من الشظايا من الصحراء الشرقية، وجبل كوكان، وأدوات من الشظايا من خشم القربة، وجمجمة لإنسان من جبل الصحابة.

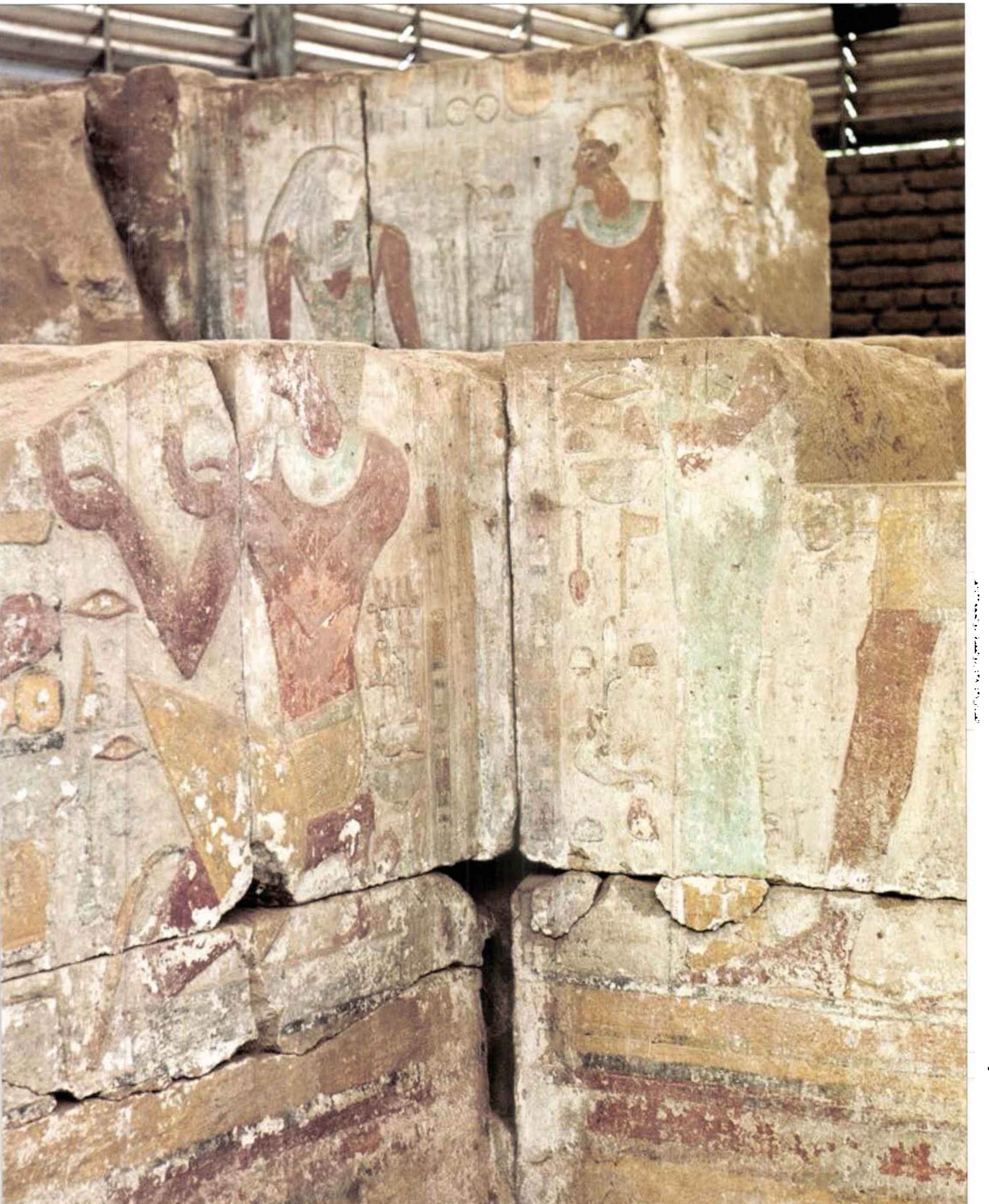
• ثقافة المجموعتين (أ) و(ج) بالنوبة السفلى

نستمر في رحلتنا التاريخية لنصل إلى حقبة عُرفت في تاريخ السودان القديم بحقبة ثقافة المجموعة النوبية (أ) (٣٨٠٠- ٢٩٠٠ ق. م). وجاء ذكر المجموعة (أ) بالنوبة السفلى في النصوص المصرية القديمة؛ إذ عرفت ببلاد القوس (تا ستي). وسكن أهل المجموعة (أ) على ضفتي نهر النيل في مجموعات صغيرة، واعتمدوا في معيشتهم على تربية الحيوانات، وأشكال الزراعة البسيطة، إضافة إلى صيد الأسماك، والتقاط الثمار.

وبلغت ثقافة المجموعة (أ) أوج عظمتها وازدهارها عندما عرفت النشاط التجاري في الذهب والعاج والأخشاب النادرة والماشية، وربما تجارة الرقيق، فتكوّنت بذلك مملكة صغيرة كان مركزها في قسطل بجنوب النوبة السفلى وصعيد مصر في نحو عام ٣٠٠٠ ق. م.

واحتوت مقتنيات القبور على مخلفات غنية اشتملت على أطباق الفخار النوبية الحمراء المصقولة، والطاسات ذات الجدران الرقيقة الملونة باللون الأحمر، وأيضاً جرار الخمور المستجلبة من مصر، وأدوات الزينة الشخصية، إضافة إلى القواقع المستجلبة من البحر الأحمر، والأدوات النحاسية، ولوحات حجر المرو (الكوارتز)، وحجارة الرحى. وزالت ثقافة المجموعة (أ) عن الوجود عندما قام





ملوك مصر الأوائل بالسيطرة على مصادر الذهب. وطرق القوافل التجارية بالصعيد بين عامي ٢٩٠٠ و٢٣٠٠ ق. م. وامتاز عصر هذه المجموعة بندرة المواقع السكنية الدائمة.

بعد نهاية عصر المملكة المصرية القديمة ظهرت ثقافة المجموعة (ج) بالنوبة السفلى بين عامي ٢٣٠٠ و١٥٠٠ ق. م. واستقر الناس بها مرة أخرى. فقامت المواقع السكنية الكثيرة على ضفاف نهر النيل. كما تمّ إنشاء مبانٍ حجرية فوق القبور. واعتمد الناس على الاقتصاد الرعوي وتربية الماشية. إضافةً إلى النشاط الزراعي. وامتازت صناعة الفخار بعمل الطاسات المزخرفة. كما عرفت تلك الثقافة النشاط التجاري: إذ عثر في مخلفات القبور على لقى من صناعة الجنوب. وأخرى من البحر الأبيض المتوسط.

وبلغت هذه الثقافة أوج عظمتها وازدهارها في عصر الاضمحلال الثاني (١٦٧٤- ١٥٥٣ ق. م) جنباً إلى جنب مع حضارة كرمة. وكان مركزها في دنقلة. وكانت قبورهم على شكل المقلاة. وتحوّلت ثقافة المجموعة (ج) إلى الأسلوب المصري في العادات والصناعات خلال عصر المملكة المصرية الحديثة (١٥٥٠- ١٠٠٠ ق. م).

وكان من المخلفات الأثرية المعروضة في المتحف جرار من الفخار المصقول من أبو صير. وسلطانية فخارية سوداء بزخارف هندسية من مينارتي. وسلطانيات فخارية صغيرة من أرقين وفرس. وإناء فخاري يدوي الصناعة من ملك الناصر. وسلطانية من الفخار الأحمر المزخرف جُلبت من الدويشاب. وغير ذلك من المخلفات الأثرية.

• مملكة كرمة

تستمر الرحلة ونحن نتتبع تاريخ هذا البلد القارة ليصل بنا المسير إلى أشهر الممالك السودانية. ونعني بها مملكة كرمة. التي تعدّ إحدى أعظم الممالك الإفريقية الأولى التي دامت أكثر من ألف عام (٢٤٠٠- ١٥٠٠ ق. م). وأدى الموقع الجغرافي لكرمة الدور الرئيس في أن يكون لها القدح المعلّى في السيطرة على النشاط الاقتصادي بوصفها ملتقى طرق القوافل التجارية. وبسبب موقعها في مركز الأراضي الزراعية الخصبة. وبلغت كرمة أوج عظمتها وازدهارها في المدة التي عُرفت بمدة كرمة الكلاسيكية: فقد غطّت حاضرتها مساحةً بلغت ما يقرب من ثلاثين هكتاراً. وأحاطت بها الحصون والقلاع من كل جانب. وتمّ تقسيم المدينة إلى مناطق. امتازت كل منطقة بطراز مختلف في البناء عن غيرها. وكانت الدفوفة هي المعبد الرئيس التي تمركزت حوله الممارسات الدينية. وهناك السقيفة العظيمة. وكانت تمثّل قاعة الاستقبال أو مقرّ إقامة الملك. وأحاطت بهذا البناء سلسلة من الأكواخ أو المخازن الأصغر حجماً. كما عثر على قصر آخر ملوك كرمة الذي كان موضع بنائه إلى جهة الغرب قليلاً. وضاهى في تخطيطه قصور الأمراء بالمملكة المصرية الحديثة. ووضعت بالجانب الجنوبي الغربي في اتجاه نهر النيل المعابد الصغيرة وورش الحرفيين.

وتعدّ الجبانة التي تقع على بعد أربعة كيلومترات إلى الشرق من المدينة الأثرية في اتجاه الصحراء المكوّن الثاني للموقع. وتبلغ مساحتها نحو ١٥٠٠×٦٠٠ متر. وتحتوي على ٢٠ ألف مدفن تقريباً. وكان امتداد الجبانة من الشمال إلى الجنوب. إلا أنها أخذت تتوسع إلى ناحية الغرب في العصر الكلاسيكي لكرمة. وكان ذلك لأسباب تضاريسية بحتة. وجاء تخطيط الجبانة اعتماداً على التوزيع العشائري: إذ يبدو أن الترتيب الطبقي لم يؤثر كثيراً في ذلك التوزيع.

أرسل ملك مروي الجنود لدعم جيوش كسرى التي أرسلها إلى بلاد الإغريق، وأسهم العاج المجلوب من كوش في إقامة القصور الفارسية

اتسعت مملكة الملك النوبي المحارب تهارقا حتى شملت أجزاء من فلسطين

وشملت الآثار المعروضة لهذه الحقبة من تاريخ السودان خناجر مصنوعة من البرونز مثبتة على مقبض عاجي، وُجدت في إحدى مقابر كرمة الوسيطة (١٦٣٠- ١٦٦٠ ق. م). وإناء من الفخار بخمسة فوهات من زمن حضارة كرمة الكلاسيكية (١٥٥٠- ١٧٥٠ ق. م). وغير ذلك من الآثار التي وجدت في المناطق التي سادت فيها هذه الحضارة.

- ## مصر وكوش في عصر المملكة الحديثة

تتواصل جولتنا في أرض كوش لنستعرض العلاقات بينها وبين جيرانها الفراعنة في حقبة من حقب التاريخ المشترك بين البلدين، الذي كثيراً ما تتأرجح فيه العلاقة بين السلم والحرب. فتحدثنا الآثار أن فراعنة مصر قاموا بغزو النوبة السفلى واحتلالها في عصور المملكتين: القديمة، والوسطى على حدٍّ سواء. كما قاموا بتشييد القلاع والحصون لحماية مصالحهم في المنطقة، وكانت حصون سمنة وبوهين أكثرها قوةً ومتانةً. ولم تتوغل جيوش الاحتلال إلى أبعد من ذلك جنوباً إلا بحلول عصر الدولة المصرية الحديثة: إذ زحفت الجيوش المصرية لتأمين حدودها الجنوبية خشية من المملكة الكوشية بكرمة قبل هجومهم على الهكسوس بدلتا النيل. فقاموا ببناء حصن في جزيرة صاي. وكانت تلك حدودهم الجنوبية حتى مجيء تحتمس الأول الذي قام بالهجوم على العاصمة الكوشية، وعمل فيها نهباً وتخريباً. ولم يرضخ الكوشيون إلا على يد الملك تحتمس الثالث، الذي توغلت قواته حتى منطقة الشلال الرابع، ووضع الفرعون في بلاد كوش نائباً له يأتمر بأمره، ويحكم باسمه حتى منطقة الشلال الرابع. كما كان هناك قائد للجيوش عُرف بكبير الرماة الكوشي.

وتم استغلال ثروات البلاد لمصلحة المحتل الأجنبي: ليتم بناء الإمبراطورية المصرية من معادن الذهب بالصحراء الشرقية، إضافةً إلى العاج والأبنوس والصمغ والبخور من سهول البطانة ومرتفعات إثيوبيا.

ومع أن الحدود الجنوبية لجيوش الاحتلال كانت بنبتة والشلال الرابع فقد ترك المصريون حكم الأقاليم الغنية كدنقلة في أيدي الحكام النبتيين يحكمونها كما يشاؤون شريطة تسليم الخراج والثروات إلى الفرعون.

الرسومات الجدارية في حقبة النوبة المسيحية

تضمّن العرض الحالي مجموعة من الرسومات التي تعكس لنا صور القساوسة على جدران الكنائس. وتعدّ كلّ من كنيسة فرس، وسونقي، ومينارتي، أهم ثلاث كنائس في بلاد النوبة. كما يعدّ تصوير القساوسة أحد الموضوعات التي اشتهرت في أزمان متقدمة من ظهور اللوحات الجدارية. وفيما يتعلق بتقنية هذه التصاوير. فقد كان الاعتقاد السائد منذ القدم أن هذه الرسومات ليست لوحات جصية (فرسكو) كما يطلق عليها الآن. وإنما عُدّت تقنيات فردية أو مزاجية. ومعظم هذه اللوحات رُسمت على جصّ (بياض) طيني. ويبدو أن التقنية التي كانت سائدة في العصور الأولى لرسم هذه الجداريات كانت ترسم وتصوّر على الجص الجيري. وهو ما تأكد من خلال اللوحات التي وجدت في منطقتي دنقلة العجوز وبنقنارتي.

والمثير للدهشة أن التقارير الأثرية التي أشارت إلى بداية ظهور الرسومات الجدارية منذ القرن السابع الميلادي أظهرت أن فن الجداريات النوبي تميّز منذ ذلك الزمان بأسلوب ناضج. ويبدو أن الفن المسيحي المبكر في بلاد النوبة لم يرث الطابع القبطي فقط: لأنه ورد عن طريق مصر. بل نجد فيه صفات الطابع البيزنطي الذي دخل بعد الحملات التبشيرية في بلاد النوبة.

انهارت مملكة مروي وخلفتها ثلاث ممالك مسيحية؛ لينتهي عصر دفن الملوك وأصحاب المقامات في مدافن الأهرامات

وتعدّ جزيرة صاي إحدى النقاط المهمة والرئيسة، وأضيفت إليها مدن أخرى إلى الشمال قليلاً. كان أكثرها شهرةً معبد أمنحتب الثالث بصلب. الذي تم تقديسه وعبادته على أنه إله القمر ثوت. كما أقيم لزوجته الملكة تاي معبد بصادنقا سمّي (بيت تاي). ولابنها إخناتون معبد ومدينة محصنة بجزيرة سيسبي. كما قام كلّ من ستي الأول ورعمسيس الثاني ببناء مدينة حديثة في غرب عمارة ظلّت تشغل أحد المراكز الرئيسة في كوش حتى نهاية عصر الأسرة العشرين. وإلى الجنوب أقام توت عنخ آمون معبداً صغيراً بالكوة. وآخر بالقرب من نبتة وجبل البركل. وهي المدينة التي بعثت منها مملكة كوش إلى الحياة مرة أخرى بعد أن غادر المصريون بلاد النوبة.

وشملت معروضات هذه الحقبة من تاريخ السودان القديم إناءً صغيراً من الفخار بقاعدة دائرية جُلب من فرس. ويعود إلى المملكة المصرية الحديثة. وإناءً مزدوجاً من الفخار على هيئة إناء الحجاج كان يستعمل بواسطة الرحالة (يرجع تاريخه إلى المملكة المصرية الحديثة. أحضر من دبيرة شرق). وإناءً من حجر الحية الرمادي اللون (من مخلفات المملكة المصرية الوسطى. جُلب من كرمة). وصحناً من المرمر على شكل سمكة (يعود تاريخه إلى المملكة المصرية الحديثة. أحضر من فادروس). بجانب تعويذة من النحاس المفرّغ صوّر به رأس حتجور أحضرت من سمنة. وتمثالين صغيرين على قاعدة واحدة (يعود تاريخهما إلى المملكة المصرية الوسطى. أحضرا من بنة). وتمثال من الخشب لسيدة تقف على قاعدة بها كتابة (من آثار المملكة المصرية الوسطى. أحضر من مرقسا). وتمثال من الجرانيت الأسود للابن الملكي تاعجا أب. ومن خلفه توجد ثلاثة أسطر لكتابة تحتوي على صلوات للإله أمون رع سيد عروش الأرضين (يعود تاريخها إلى المملكة المصرية الحديثة. جلبت من سمنة). ومرآة صغيرة بيد (تعود في تاريخها أيضاً إلى المملكة المصرية الحديثة. جاءت من سمنة). وغير ذلك من اللقى والتماثيل.

• الأسرة الخامسة والعشرون

تتواصل المسيرة لنصل إلى علامة فارقة في تاريخ السودان القديم: إذ انقلبت الموازين السياسية والعسكرية لمصلحة السودان هذه المرة ليحتلّ مصر. ويبسط سيطرته عليها مثلما فعل كثير من الفراعنة المصريين من قبل: ففي القرون التي تلت انهيار الدولة المصرية الحديثة وتفكّكها نشأت بالسودان مملكة قوية بمنطقة الكرو. لا نعرف كثيراً عن ملوكها الأوائل غير أنهم قاموا بإحياء عبادة الإله الكبش آمون. الذي ساد الاعتقاد بأنه اتّخذ من داخل جبل البركل مكاناً لسكناه (نبتة القديمة).

وأول الملوك المعروفين هم ألارا (نحو ٧٨٥- ٧٦٠ ق. م). وكشتا (نحو ٧٦٠- ٧٤٧ ق. م). الذي قام بتوحيد السودان الشمالي والنوبة المصرية. وهو أول من أدخل استعمال الألقاب الملكية المصرية. وخلف كشتا بعانخي. أو بيي (نحو ٧٤٧- ٧١٦ ق. م). الذي قام بإخضاع مصر (نحو عام ٧٣٦ ق. م). فتمكن بذلك من توسيع حدود مملكته حتى بلغت ممفيس وبعض أطراف الدلتا شمالاً. كما اتخذ شبكا (نحو ٧١٦- ٧٠٢ ق. م) أخو بعانخي من مصر مقراً دائماً له. وعمل على توحيد أرجاء البلاد كافةً. وقد ذكره المؤرخون القدماء بوصفه مؤسس الأمة السودانية. أو مؤسس الأسرة الخامسة والعشرين التي حكمت مصر. وخلف شبكا اثنين من أبناء بعانخي. هما: شبتكو (نحو ٧٠٢- ٦٩٠ ق. م). وتهارقا (٦٩٠- ٦٦٤ ق. م). وقد صار الأخير من أشهر ملوك الأسرة الحاكمة: فقد كان تهارقا ملكاً محارباً خضعت له

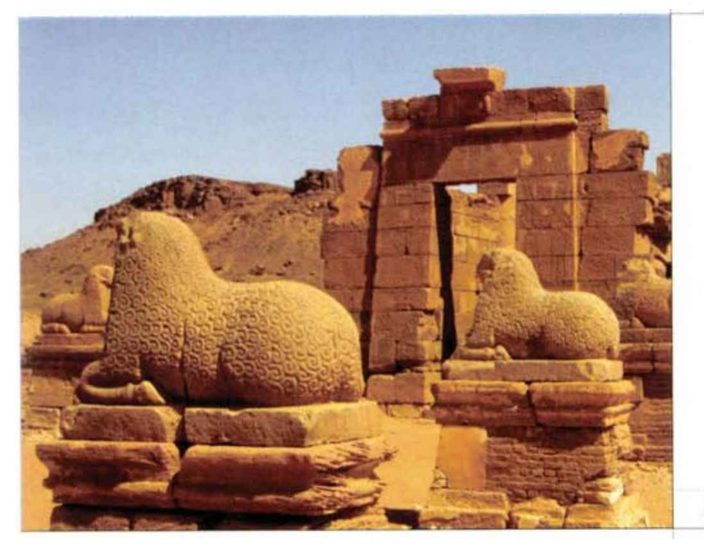
منطقة الواحات بالصحراء الغربية، واتسعت رقعة مملكته حتى شملت أجزاء من فلسطين. وكان ماهراً في البناء، فشيّد المعابد في كل أنحاء البلاد بالسودان ومصر. غير أن خاتمة عهده لم تكن بالسعيدة؛ إذ كانت هزيمته على يد الآشوريين الذين قاموا بعدة غزوات على مصر في ستينيات القرن السابع قبل الميلاد قضت على جيشه في النهاية، ودمرت عاصمته، ونهبت الكنوز والثروات. كما تمّ أسر زوجته الأولى وأبنائه، وأجبر تهارقا على التقهقر إلى نبتة التي لم يمكث بها طويلاً حتى وافته المنية هناك. فدفن في هرم عظيم في نوري. وقد باءت محاولات ابن أخيه تانويت أماني (نحو ٦٦٤- ٦٥٧ ق. م) بعدم النجاح في استرداد ملك عمه، لتتقهقر بذلك حدود الإمبراطورية إلى نبتة، ومنها إلى مروي القديمة، وتستمر في البقاء ما يقرب من ألف عام.

• أهرامات نوري

يعدّ الموقع الأثري للأهرامات الملكية بنوري من أهم مواقع عصر نبتة. وقد قام بتأسيسها الملك تهارقا؛ إذ كان أول من دفن فيها، وحذا حذوه تسعة عشر ملكاً ممن خلفوه على العرش، وأربع وخمسون ملكة. وتم إنشاء الأهرامات على مرتفعين صخريين متوازيين. ويبعد الموقع عن النيل بنحو ١.٥ كيلومتر، ونحو ستة أميال شمال شرق جبل البركل على الضفة المقابلة لنهر النيل.

وهرم الملك تهارقا هو الأكبر حجماً؛ إذ يساوي الضعفين مقارنةً بأهرامات بقية الملوك، وثلاثة أضعاف أهرامات الملكات. والراجح أن عملية توسيع الهرم وزيادته حدثت بعد وفاته. ويبلغ طول أحد جوانبه مئة ذراع؛ أي: ١٧١ قدماً، بزاوية تقدر بـ٦٩ درجة، وارتفاع بلغ ٢٦٠ قدماً. وتم بناء معابد صغيرة للأهرامات من الجانب الشرقي لتقديم القرابين من الطعام والشراب للمتوفى.

وكانت غرفة الدفن قد تم قطعها في طبقة الصخر الصلد تحت بناء الهرم المشيد من الحجارة الصماء. ويتكون مدفن الملك من ثلاث حجرات متصلة معاً. أما الملكة فإن مدفنها يتكون من حجرتين فقط. وكان يتم النقش والتلوين والكتابة في هذه الحجرات بنصوص فرعونية. أما الدخول إلى حجرات الدفن فكان يتم بواسطة سلّم طويل محفور في الصخر يتم دفنه وإخفاؤه. وما عدا اثنين من هذه الأهرامات فإن جميع الأهرامات تم حفرها والتنقيب فيها عامي ١٩١٧ و١٩١٨م بواسطة بعثة متحف الفنون الجميلة بجامعة هارفارد تحت إدارة الدكتور جورج أ. رايزنر. وبحلول القرن الرابع قبل الميلاد انتقلت المدافن



قبر الأمير النوبي جحوتيحتب في قرية دبيرة بوادي حلفا أقدم قبر اكتشف في السودان

شارع الأسود في المتحف يبدأ بالملك أمانيخابلي.. وإله مروي الأعظم كان على هيئة أسد، وهو رمز هذه الحضارة

الملكية إلى جبل البركل. ومن هناك إلى مروي (البجراوية) في منتصف القرن الثالث قبل الميلاد.

وتضم دواليب عرض هذه الحضارة كثيراً من الآثار. منها: تماثيل جنائزية للملك أنلاماني، والملك تهارقا، وأخرى للملك سنكامنسكن. كلها جُلبت من نوري. إضافةً إلى تمثال مزدوج من الفخار للإله بس، أحضر من الكوة (دنقلة)، وتميمة من القاشاني على شكل صقر جاءت من مرجسا، وتميمة من القاشاني للإله بس وعلى كتفيه قردان أحضرت من الكرو، وتعود إلى حقبة نبتة، وقدر عليه تصميم لزهرة اللوتس، وغير ذلك من الآثار التي تؤرخ لهذه الحقبة.

• من نبتة إلى مروي

استمرت العلاقات التجارية بين مصر وكوش، وظهر ذلك جلياً من المقتنيات الأثرية التي عثر عليها في المدافن الملكية بنوري. وليس هناك ما يدلّ على أن الكوشيين حاولوا إعادة فتح الأراضي المصرية مرة أخرى، لكن ربما كان أحد الأسباب التي قادت بسماتيك الثاني إلى شنّ حملة عسكرية على أرض النوبة عام ٥٩٣ ق. م أن تانويت أماني -ابن أخ تهارقا، وخليفته على عرش نبتة- أعاد الكرة لاستعادة ملك أجداده؛ فقد تم توثيق واقعة بسماتيك رسمياً؛ إذ ترك الجنود الإغريق بعض الكتابات في أبو سمبل وبوهين، كما قام المؤرخ الإغريقي هيرودوت بتدوين أحداث المعركة التي توغلت فيها الجيوش في داخل الأراضي النوبية، واشتبكت القوات من الطرفين في بنويس (جزيرة أرقو)، والراجح أن الجيوش المصرية وصلت إلى نبتة، وعملت فيها نهباً وتخريباً، وقد عثر على تماثيل الملوك المنصوبة في المعابد بجبل البركل داخل حفرة بعد أن تم تحطيمها، ويرى بعض علماء الآثار أن التماثيل تم تحطيمها في تلك الحقبة تبعاً لأحداث الموقعة، وكان الملك أسبلتا آخر ملوك تلك الحقبة.

منذ تلك الحقبة تقهقرت إقامة الملوك بمروي، واقتصرت زياراتهم إلى الشمال على إقامة مراسيم التتويج في نبتة، والاحتفالات الدينية بالمدن الأخرى في سهول دنقلة، واقتصرت المدافن الملكية على نوري؛ لتستقر بها أجسادهم. وعلى الرغم من ندرة النصوص المكتوبة من تلك الحقبة (٥٩٠- ٣٠٠ ق. م) إلا أن الصلات بين البلدين لم تنقطع، بل ربما تحسنت كثيراً، خصوصاً بعد الفتح الفارسي لمصر عام ٥٢٥ ق. م. ومن المتواتر أن ملك مروي قام بإرسال الجنود لتدعم جيوش كسرى التي أرسلها إلى بلاد الإغريق عام ٤٨٠ ق. م. كما عُرف أن العاج المجلوب من كوش أسهم في إقامة القصور الفارسية. وقد خلفت لنا المدافن الملكية بنوري قائمة بأسماء ملوك كوش. كما ترك لنا الملك إيريك أمانتوري نصاً منقوشاً أسهب في كتابته بمعبد الكوة، وترك مارسيوتف (نحو عام ٣٨٠ ق. م). ونستاسن (نحو عام ٣٣٠ ق. م) مسلتين في معبد جبل البركل. واحتوت هذه النصوص على وقائع الهجمات التي قام بها بدو الصحراء على مدن دنقلة ومروي. وقد أرّخت تلك الحقبة لمتغيرات كثيرة في عمر الحضارة الكوشية، كان آخرها انتقال المدافن الملكية من نوري إلى مروي (البجراوية).

• عصر مروي

يقول علماء الآثار: إن تاريخ مدينة مروي القديمة (البجراوية) يعود إلى عصر نبتة، وقد عثر على مقابر زعماء المدينة في الجبانة الجنوبية التي يرجع تاريخها إلى عهد الملك بعانخي (٧٤٧- ٧١٧ ق. م). وأشار إلى مدينة نبتة المؤرخ

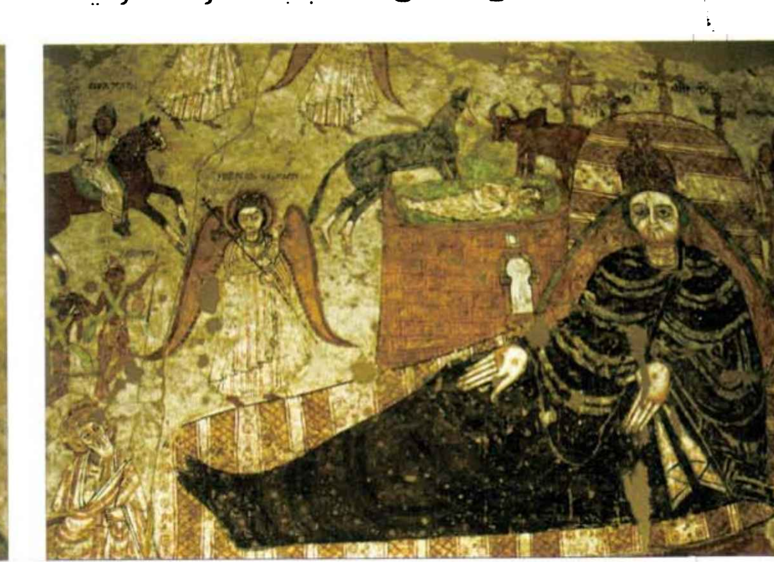


تماثيل ملكية خارج دواليب العرض

خلال جولتنا داخل المتحف وجدنا عدداً كبيراً من التماثيل الضخمة خارج دواليب العرض الزجاجية: ففي الجهة الشرقية داخل هذه الصالة تُعرض لوحة كبيرة من الجرانيت خاصة بالملك سنوسرت الثالث -أحد ملوك الأسرة الثانية عشرة في المملكة المصرية الوسطى- عليها تسعة عشر سطراً أفقياً من الكتابة الهيروغليفية جُلبت من أورونارتي. وكذلك تمثال جالس من الجرانيت فاقد الرأس للملك نفسه. كما وجدت بالقرب منهما لوحة جنائزية من الجرانيت الأسود للكاتب الملكي أمنمحات من الأسرة الثامنة عشرة. ويُرى جالساً مع زوجته يتقبّلان القرابين من ابنته وابنه. والنقوش الغائرة ملونة باللون الأصفر. وتحتها عشرة أسطر من الكتابة الهيروغليفية. أحضرت من دبيرة غرب. كما وقفنا أمام لوحة كبرى تصوّر الملك بعانخي (٧٤٧- ٧١٦ ق. م) وهو يلبس التاج الكوشي المزدوج (الكوبرا). ويقدم القرابين إلى الإله المتوّج أمون. ويظهر امون رع بالمظهر النوبي. وهو يمثّل الملك في مصر وكوش. وفي عصر الملك الكوشي أحكم بعانخي سيطرته على مصر. وأصبح يسمى باسم حورس. وتتوالى التماثيل لنقابل تمثال الملك أتلانيرسا (٦٥٣ - ٦٤٣ ق. م). وهو ابن الملك تهارقا الشهير. وهو مصنوع من الجرانيت. وجلب من محاجر تمبس بالقرب من كرمة. ووجد عند معبده في جبل البركل.

واتجهنا غرباً في تجوالنا في صالة العرض لنقف أمام تمثال الملكة أماني ماليل زوجة الملك سنكامانسكن. وتمثّل هذه اللوحة إحدى روائع مملكة نبتة. التي تدمج نمطاً من أنماط تماثيل مصر القديمة مع أسلوب مستقل. وتحمل الملكة في يدها اليسرى الطفل حورس. وقدّمت نفسها من النقوش بوصفها محبوبة أمون نبتة الذي يعيش في الجبل المقدس.

تم استغلال ثروات البلاد لمصلحة المحتل الاجنبي؛ ليتم بناء الامبراطورية المصرية من معادن الذهب بالصحراء الشرقية





هيرودوت في كتاباته على أنها عاصمة الأحباش التي تدين بديانة أمون وأوزريس. وكان معبد الإله أمون في المدينة الملكية قد أقيم بين القرنين الثاني والأول قبل الميلاد: مما يشير إلى أنها كانت عاصمة لمملكة نبتة ومدينة معابد العصر نفسه. أطلق المرويون على مروي اسم (بروة). وكان أول ظهور للاسم في النقوش والكتابات التي خلفها الملك أريك أمانوتوتن بالكوة في النصف الثاني من القرن الخامس قبل الميلاد. وجاءت أولى الكتابات في المدينة من معبد أبادماك. ومنذ عام ٢٥٠ ق. م صارت المدينة الملكية حاضرةً للمملكة، وهو تاريخ المدافن الملكية المروية نفسها في جبانة الأهرامات الجنوبية.

امتاز العصر المروي الوسيط (٣٠٠ - ١٠٠ ق. م) بنشاط ملحوظ لحركة البناء والتعمير، واستقبلت واجهات المعابد الجهة الشرقية، ومن الراجح أنها اتجهت نحو أحد فروع النيل القديمة التي جفّت، وكان موقعها بالقرب من الخط الحديدي الحالي. وإلى الشرق قليلاً نجد الجبانات المروية والجبانات التي تنتمي إلى عصر ما بعد مروي. كما امتازت الحقبة المروية المتأخرة (١٠٠ - ٣٥٠م) بإقامة القصور بالمدينة الملكية، وإضافات إلى المعابد التي كان آخرها مسلة الملك يسبوخي أماني في معبد أبادماك في أواخر القرن الثالث الميلادي.

بلغت مدينة مروي أوج عظمتها في عهد الملك نتكا أماني وشريكته في الملك الملكة أمانيتوري في منتصف القرن الأول الميلادي، اللذين شهد عهدهما نشاطاً تعميرياً واسعاً في كل من: مروي، والنقعة، والمصورات الصفراء، والبركل، وعمارة، وكشف أسلوب البناء عن ذوق رفيع في فن العمارة، ومجتمع اتّسم بالرقيّ والتحضّر. وصارت مروي مركزاً مهماً للتعدين وصناعة الخزف الجميل والزجاج، كما سيطرت المدينة على طرق القوافل التجارية والنشاط التجاري في القارة الإفريقية، وعلى طول ساحل البحر الأحمر. وتوطدت العلاقات الثقافية والتجارية بين مملكة مروي وجيرانها في الإمبراطورية الإغريقية الرومانية ودول حوض البحر الأبيض المتوسط.

وكانت نهاية هذه المملكة على يد مملكة أكسوم الحبشية، وقبائل النوبة بساحل البحر الأحمر، بعد معارك ضارية بين الطرفين. وعُثر على كتابات الملوك الأكسوميين التي سجّلت وقائع المعارك وأحداثها بمروي، وأرّخت للمدة بين القرنين الثالث والرابع الميلاديين. ودفن آخر ملوك مروي عام ٣٦٠م. وتشير بعض الكتابات التي عثر عليها في أكسوم إلى أن ملوكها تركوا تابعين لهم يأتمرون بأمرهم.

وفي منتصف القرن الرابع الميلادي قام الملك الأكسومي عيزانا بتسيير حملة لإخماد آخر محاولات الثورة المروية، وأنزل الخراب بالمدينة الملكية، واستقر بعض أفراد قبائل البحر الأحمر التي صاحبت الحملة بالمدينة الملكية، وكانت مساكنهم أكواخاً من القش (قطاطي) في غير نظام أو ترتيب. وعثر على مدافنهم بين القصور والخرائب. وقد أرّخت جبانات عصر ما بعد مروي للمدة التي أتت بعد ذلك، وكشفت مصنوعاتهم عن قلة في المهارة لم تمكّنهم من حذق المصنوعات التي عرفتها مروي وإتقانها.

وتزعم النصوص والكتابات المكتشفة في كلبشة أن مملكة لها سمات الحضارة المروية نفسها عاشت في ذلك العصر حول قسطل بين عامي ٣٧٠ و٤٢٠م، وفي بلانة عام ٥٠٠م.

• المتغيرات الثقافية في وادي النيل

شهدت القرون الرابع والخامس والسادس الميلادية تطوراً سياسياً سريعاً، خصوصاً في الأجزاء العليا من النيل، وكان من

لوحة الحدود أقامها الفرعون سنوسرت الثالث في سمنة ليمنع النوبيين من اجتياز سمنة شمالا

المتحف يضم آثارا من عصور ما قبل التاريخ، وصناعات تبين التصاعد الحضاري

ضمن هذه التحولات السياسية تفكّك مملكة مروي وانهيارها؛ ليخلفها ثلاث ممالك مسيحية في الجوار. كما أن المادة التاريخية، والأدلة الأثرية، اقتصرتا على العادات الجنائزية. وصارت القبور وما احتوت عليه من مخلفات ولقًى أثرية هي المرجع الوحيد للتاريخ للعصر المروي المتأخر؛ إذ أصبح من النادر العثور على المعابد والقصور والنصوص المروية، فاختفت بذلك مدن برمّتها. وبحلول القرن الرابع الميلادي انتفت عادة دفن الملوك وأصحاب المقامات الرفيعة في مدافن الأهرامات؛ إذ هجرها الناس، واتجهوا إلى استخدام الروابي (الكومة) الضخمة لدفن ملوكهم وأعيانهم: مثل: جبانة بلانة بأرض النوبة، ومدافن الهوبجي بالقرب من شندي.

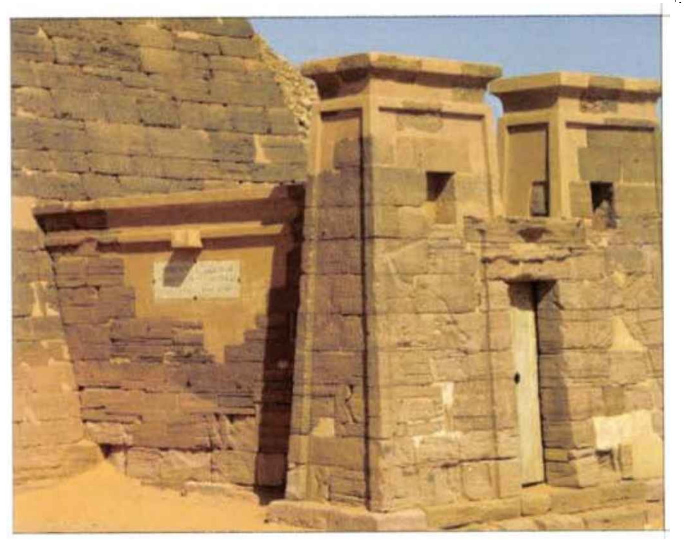
ومن بين آلاف الجبانات التي انتمت إلى ذلك العصر عُثر على تلك الكومات الضخمة في داخل حدود المملكة القديمة. وهي من الشمال إلى الجنوب: بلانة، وقسطل، وجمي، وفركة، وكوشة، وواو، والزومة، وتنقاسي، وحجر البيضاء، والبجراوية، والهوبجي، وجبل قسي، والنوفلاب.

• الحقبة المسيحية في السودان

بعد أن أكملنا جولتنا في الصالة الأرضية أخذنا طريقنا إلى الصالة العلوية التي تختصّ بالآثار المسيحية؛ لنكمل جولتنا في هذا المرفق الكبير. ولعلنا نحتاج إلى نبذة تاريخية مختصرة من دخول المسيحية إلى السودان قبل أن نستعرض الآثار التي خلّفتها هذه المدة في السودان.

من أهم العوامل التي أدت إلى دخول المسيحية إلى أرض السودان هو اعتناق الدولة الرومانية الدين المسيحي في أوائل القرن الرابع الميلادي، وجعله الدين الرسمي للدولة بعد أن ناصبته العداء في أول الأمر، ونكلت بالمسيحيين، خصوصاً في مصر. وكان ذلك في عهد الإمبراطور قسطنطين. وأدى ذلك إلى انتشار المسيحية في مصر التي كانت جزءاً من الإمبراطورية الرومانية. ودخلت الديانة المسيحية بعد ذلك إلى أرض السودان الذي كان يقع في ذلك الوقت خارج سيطرة الإمبراطورية الرومانية.

وقامت في بلاد النوبة ثلاث ممالك مسيحية، هي من الشمال إلى الجنوب: مملكة نوباطيا الواقعة بين الشلالين الأول والثالث وعاصمتها فرس، ومملكة المقرة التي تنتهي حدودها الجنوبية عند مكان يعُرف بـ(الأبواب) عند الكتاب العرب، ويظنّ أنه بالقرب من كبوشية جنوب مدينة مروي القديمة بقليل. وكانت عاصمتها دنقلة العجوز. ومملكة علوة



متحف السودان يشتمل على معابد كاد يقضي عليها السد العالي

مملكة كرمة إحدى اعظم الممالك الافريقية، ودامت اكثر من ألف عام

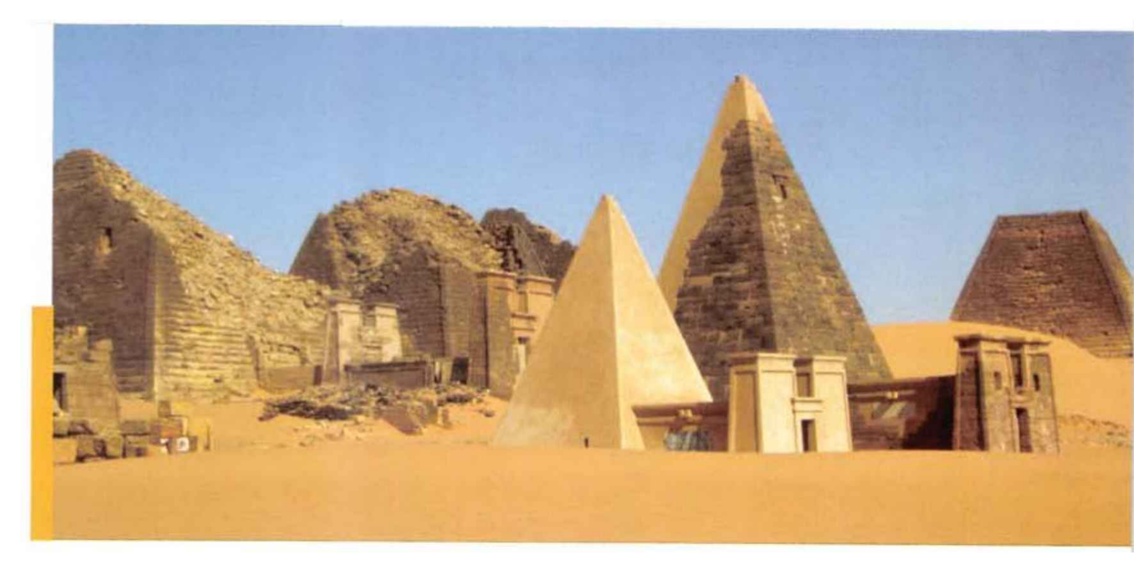
التي تمتد من الشلال الخامس إلى ملتقى النيلين الأزرق والأبيض وجزء من الجزيرة، وعاصمتها سوبا.

وعلى حسب ما ورد في كتابات يوحنا الأفوسي، فإن بعثتين غادرتا القسطنطينية في طريقهما إلى بلاد النوبة نحو عام ٥٤٠م: إحداهما تمثّل المذهب الملكاني تحت رعاية الإمبراطور جستنيان، والأخرى على مذهب اليعاقبة، وتساندها الإمبراطورة ثيودورا. واستطاعت الإمبراطورة ثيودورا أن تؤخر البعثة الأرثوذكسية بتهديد الحاكم البيزنطي صعيد مصر مما مكّن بعثتها، التي كانت برئاسة القس يوليانوس، من الدخول إلى بلاد النوبة قبل بعثة زوجها الإمبراطور قسطنطين، وبذلك استطاع يوليناوس أن ينشر المسيحية في مملكة نوباطيا. ثم رجع يوليان إلى القسطنطينية، وخلف بعده في رئاسة البعثة القس لونجينس الذي سعى إلى تنظيم الكنيسة في مملكة نوباطيا، فرسم كهنة، وأقام شمامسة، وأنشأ أديرة، واستقدم كتباً للصلوات الطقسية باللغة اليونانية. ثم سافر إلى الجنوب عام ٥٨٠م بعد أن ترجّاه ملك علوة لنشر المسيحية في مملكته. واستطاع لونجينس أن ينشر المسيحية في مملك علوة في مدة وجيزة، وبذلك أصبحت المسيحية هي الديانة الرسمية للسودان عام ٥٨٠م.

وجمعنا أوراقنا، وعُدنا أدراجنا من هذه الرحلة التاريخية المثيرة. ولا أظنّ أننا أوفينا الموضوع حقه من الدراسة والبحث والتقصّي؛ فما زالت مخازن المتحف القومي نفسه تزخر بالكثير المثير من الآثار التي لم تر النور بعدُ، إضافة إلى عشرات بل مئات المواقع الأثرية المدفونة تحت التراب تنتظر البحث والتقصّي. وقد نصحو في يوم من الأيام على اكتشاف أثري جديد يقلب كثيراً من الحقائق التاريخية التي كانت من المسلّمات رأساً على عقب، ويدحض كثيراً من النظريات التي يتغنّى بها كثير من المؤرخين.

الهوامش

(١) اعتمدنا في وصفنا المتحف الذي نصب في فناء مبنى المتحف القومي على كتاب نجم الدين محمد شريف، متحف السودان القومي: الدليل الموجز لحديقة الآثار، الخرطوم، مصلحة الآثار، د. ت، ص٢٦. والمرحوم البروفيسور نجم الدين محمد شريف (١٩٢٩ - ١٩٩٥م) هو أستاذ التاريخ وعالم الآثار السوداني المعروف، تقلّد منصب مدير عام الآثار والمتاحف القومية في المدة (١٩٧٢ - ١٩٨٨م)، وترك عدداً كبيراً من الكتب والبحوث العلمية والمذكرات في مجال الآثار. ولمزيد من المعلومات عن هذه التماثيل التي تضمها هذه الحديقة يمكن الرجوع إلى الكتاب المذكور.



أهرامات البجراوية

آرني جرين



مشروع «دارة الفيصل» قربني من الملك فيصل

العددان ٤٢٧-٤٢٨/ ذو القعدة - ذو الحجة ١٤٣٢هـ

حوار: عبدالله الكويليت

ترجمه إلى العربية: يوسف باش أعيان

يتواصل اهتمام مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية بشخصية الملك فيصل بن عبدالعزيز رحمه الله، فتعددت الدراسات التي نشرها المركز عن حياته ومواقفه وإسهاماته المتعددة في محيطه المحلي والعربي والإسلامي والدولي. وكان آخر جهود المركز في هذا الشأن هو إنشاء إدارة مستقلة تضم كل ما يتعلق بالملك فيصل من دراسات ووثائق وصور وأفلام وثائقية لخطبه وزياراته ورحلاته منذ طفولته حتى آخر مراحل حياته، إضافة إلى المقتنيات التي تركها من تحف وساعات وهدايا وملابس وأسلحة وسيوف ودروع كانت تضمها قاعة الملك فيصل التذكارية. ولم يجد القائمون على المركز اسماً لهذه الإدارة أفضل من (دارة الفيصل)؛ ذلك الاسم النابع من تراث المملكة. وكان باكورة عمل دارة الفيصل هو مشروع رقمنة جميع المواد الممكنة عن حياة الملك فيصل وحفظها وإتاحتها للباحثين والمهتمين.

التقت (الفيصل) الخبير الأمريكي القائم على هذا المشروع، وهو الدكتور آرني جرين، الذي جاء إلى الرياض بصحبة زوجته متطوعاً للمساهمة في إنجاز مشروع يُضاف إلى سجله الأكاديمي الطويل في الاهتمام بالشرق الأوسط وقضاياه. ذلك السجل الذي خرج منه بقراءة عميقة عن الملك فيصل جعلته يعدّه واحداً من الشخصيات الكبيرة التي ألهمت حياته: كصلاح الدين الأيوبي، وابن خلدون، وإبراهام لينكولن، وتوماس جيفرسون.

*** فلنبدأ بشيء عن خبرتك العلمية والعملية؟**

- درست تاريخ الشرق الأوسط الحديث، وحصلت على درجة الدكتوراه من جامعة كاليفورنيا. وقمتُ بالتدريس في ميامي عاماً واحداً، ثم قضيتُ عاماً آخر في اليمن. وكان موضوع أطروحتي يدور حول جامعة الزيتونة في تونس. ثم قمتُ بالتدريس في الجامعة الأمريكية بالقاهرة أحد عشر عاماً، ثم في بريجهام يونج خمسة وعشرين عاماً. فأعطيت دروساً في تاريخ الشرق الأوسط. وعاصرت تاريخ الشرق الأوسط بشكل جيد: فقد كنت في تونس عندما توفي جمال عبدالناصر. وكانت سوزان ثابت -زوجة الرئيس المصري المخلوع محمد حسني مبارك- إحدى طالباتي في الجامعة الأمريكية في القاهرة. وكذلك نهى السادات ابنة الرئيس الراحل محمد أنور السادات. وعندما قُتل السادات كنت في القاهرة. وقامت جامعة بريجهام يونج، التي كنت أعمل فيها، بافتتاح مركز خارجي للدراسات في جبل الزيتون في القدس المحتلة. وكنت في القدس في أثناء الانتفاضتين الأولى والثانية. وكنت في اليمن عندما خُلع القاضي الأرياني، واستولى الجيش على السلطة.

*** إنها رحلة حافلة! ترى ما الذي أثار اهتمامك بالشرق الأوسط؟**

- لا أدري، لكنني عندما كنت طالباً كنت أستخدم التاريخ في محاولة فهم المشكلات القائمة في الحاضر: كالصراع الدائر في الشرق الأوسط بين العرب واليهود. فرجعت إلى التاريخ لأعرف أسباب هذا الصراع وقضاياه، ومن هي الشخصيات المحورية التي تحرّكه وتوجّهه. وكنت في فرنسا



في أثناء الحرب الجزائرية. وقابلت كثيراً من الفرنسيين العائدين من الجزائر. وأردت معرفة أسباب هذا الاستعمار. ولماذا عاد الفرنسيون. فكانت دراسة التاريخ طريقة جيدة لفهم الواقع. واستكمالاً لاهتمامي بالشرق الأوسط أعمل الآن في مشروع خاصّ بحياة الملك فيصل بن عبدالعزيز ينفّذه مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية بالرياض.

*** ما طبيعة هذا المشروع وأهدافه؟**

- يسعى هذا المشروع إلى رقمنة جميع المواد الممكنة عن حياة الملك فيصل بن عبدالعزيز وحفظها وإتاحتها للباحثين والمهتمين: حتى تتمكن الأجيال الشابة من تعرّف حياته وتاريخه وإنجازاته. ويتمكن العلماء والباحثون من الوصول إلى تلك المواد بسهولة ويُسر. بدأ الموضوع قبل ست سنوات أو سبع عندما قرّر مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية إنشاء معرض يتناول حياة الملك فيصل. وهُيِّئ هذا المعرض ليُقام بعدة مدن سعودية. وبالفعل تمكّن فريق العمل من الحصول على عدد كبير من الصور والوثائق والمجلات والصحف. وقام الفريق بجولة شملت الرياض وجدة والدمام والمدينة والقصيم. بعدها قرّر الفريق أن يجعل هذا المعرض معرضاً دائماً. وهو ما يستوجب عمل نسخة رقمية من أرشيف الصور والوثائق: ليتمكن الزوار من الوصول إلى هذا الأرشيف بسهولة ويُسر: مما يساعد على التعريف بشخصية الملك فيصل بشكل أفضل. فقام المركز بالبحث عن جامعات يمكنها المساعدة على إنجاز مثل هذا العمل. وبالفعل تم الاتصال بعدة جامعات. وعلى رأس تلك الجامعات جامعة جورج تاون التي تخرّج فيها الأمير تركي الفيصل. لكن الجامعة طلبت ثمناً باهظاً للمساهمة في العمل. فاستمر

عاصرت تاريخ الشرق الأوسط بشكل جيد: فقد كنت في تونس عندما توفي جمال عبدالناصر، وكنت في القاهرة عندما قتل السادات

د. جرين مع معاونيه من موظفي المركز





د. جرين منهمكاً في العمل

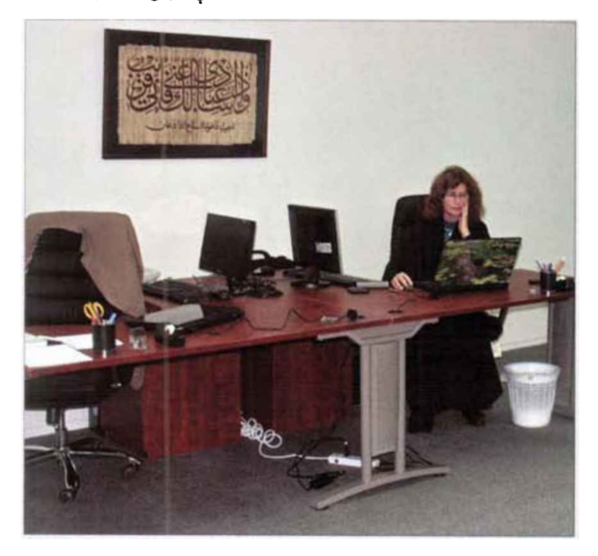
المركز في البحث حتى وقع اختياره على الجامعة التي تقاعدت مؤخراً من العمل فيها، فاعتذرت الجامعة عن إيفاد أيّ من الأكاديميين الحاليين، إلا أن الجامعة قامت بترشيحي للمركز؛ لكوني متقاعداً عن العمل. وبالفعل قامت الجامعة بتدريبي على استخدام الحواسيب، ومعدات التصوير الرقمية، وقام المسؤولون في الجامعة بسؤالي عما إذا كنت على استعداد للقيام بهذا العمل من دون مقابل، فأكدت قبولي من دون تردّد، وأتيتُ إلى هنا متطوعاً للمساهمة في إنجاز هذا المشروع، وآمل أن يستمر هذا المشروع مدة طويلة؛ لأن هناك عدداً كبيراً من المواد لم نتمكن من الحصول عليها بعد؛ كالوثائق والصور الموجودة في الوزارات والدوائر الحكومية. هذه فقط هي البداية؛ فوجودنا هنا ليس لإنجاز المشروع، بل لتثبيت القواعد التي سينطلق من خلالها، وبالفعل خلال عام ونصف العام تمكّنت من تدريب كادر سعودي جيد، على رأسهم السيد محمد الحسين، إضافةً إلى الأستاذ قاسم التنازفتي صاحب الخبرة التي تفوق عشرين عاماً في العمل مع مطبوعات المركز، وأنا على تمام الثقة أن هذا الكادر بإمكانه مواصلة العمل عقب مغادرتي.

اهتمامي بالشرق الأوسط دفعني إلى العمل في مشروع خاص بحياة الملك فيصل ينفّذه مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية بالرياض

* هل من عوائق واجهتموها في بداية عملكم؟

- كان العمل حثيثاً في البداية؛ إذ يوجد أشخاص كثيرون يمتلكون مواد تخصّ الملك فيصلاً، لكنهم يفضّلون الاحتفاظ بها لأنفسهم؛ لذا تطلب الأمر بدايةً بناء جسر متين من الثقة بيننا وبينهم مكّننا من الحصول على مجموعة من الصور والوثائق من أكثر من شخص، منهم صاحب السمو الملكي الأمير خالد الفيصل أمير منطقة مكة المكرمة، والأمير سعود الفيصل وزير الخارجية، كلّ ذلك من أجل البدء بتكوين مجموعة من الصور والوثائق.

لاني جرين في مكتبها بالمركز



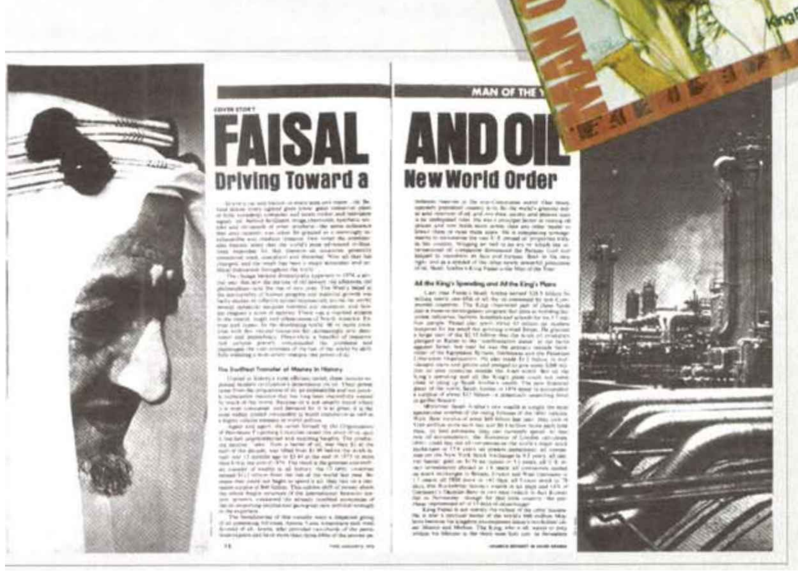
* كيف قضيتم مدة مكوثكم في المركز؟

- في بداية رحلة عملنا في المركز التقيت أنا وزوجتي لاني

القائمين على المركز، والأستاذة منى حمدي، والأستاذ هاني الرويشد: من أجل مناقشة المشروع، وآليات العمل، والأهداف التي نطمح إلى الوصول إليها قبل مغادرتنا، وقمنا بزيارة المركز، وتعرّف أقسامه. ثم قمنا بعد ذلك بجولة في المنطقة المهيأة لوضع التجهيزات والمعدات اللازمة لبدء المشروع، التي تتضمن المكاتب وغرفة التصوير. وبالفعل تم تأثيث المنطقة بالمكاتب، والكراسي، والطاولات الكبيرة، وطاولات القهوة، وخزائن الكتب، والأرائك، والحاسبات، والثلاجة، ومبرّد المياه. وقامت الأستاذة منى حمدي بتأمين شحن معدات التصوير من شركة فاميلي سيرتش بولاية يوتاه الأمريكية إلى مقرّ مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية بالرياض.

والتقينا بعد ذلك كلاً من: الأستاذ حبيب آدم من قسم الترميم، والأستاذ محمد الحسين من الأرشيف الفوتوغرافي. ثم قمنا أنا ولاني -بعد ذلك بأيام- بجولة في معرض المخطوطات النادرة في دارة الملك عبدالعزيز برفقة الأستاذ عبدالعزيز الراجحي. تلا ذلك الحصول على جميع المواد المتوافرة عن حياة الملك فيصل الموجودة في مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، التي تضمّنت منشورات باللغات: العربية، والإنجليزية، والفرنسية، وقمنا أنا ولاني بقراءة الكتب، ووضع الخطوط العريضة للتقسيم الزمني لحياة الملك فيصل: لاستخدامه في الرقمنة والأرشفة. أعقب ذلك وصول معدات التصوير الرقمي إلى

أتيتُ إلى الرياض متطوعاً للمساهمة في إنجاز مشروع دارة الفيصل، وأمل أن يستمر هذا المشروع مدةً طويلة



اهتمام عالمي بالملك فيصل وسياساته





المشروع يسعى إلى رقمنة جميع المواد الممكنة عن حياة الملك فيصل وحفظها وإتاحتها للباحثين والمهتمين

المركز، وتمّ وضع الترتيبات لتسهيل وصول الخبير الألماني أولاف زاندر الذي يعمل لحساب فرع شركة فامياي ـ يرتش في فرانكفورت الألمانية، والذي سيقوم بتجهيز معدات التصوير، والتأكد من عملها بالفاعلية المطلوبة. وكلّف المركز الأستاذ قاسم التنازفتي بالانضمام إلى المشروع؛ للمساهمة في الفرز والجرد، وتمّ تدريبه على تشغيل معدات التصوير الرقمي.

في الوقت ذاته، استقبل مكتب الأمين العام لمركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية ٢١ صندوقاً من المواد التي سيتم تخزينها في الأرشيف قبل بدء عملية الفرز والرقمنة.

* ما الذي اشتملت عليه هذه الصناديق؟

- مرّت عملية فرز هذه الصناديق بستّ خطوات رئيسة، هي: الخطوة الأولى إعطاء رقم لكل صندوق من الواحد والعشرين صندوقاً، والخطوة الثانية تحديد محتويات كلّ صندوق بشكل واضح، ولوحظ أن المواد تكوّنت من ٦ عناصر أساسية، هي: مجلات، وصحف، وأوراق، وأقراص رقمية (صور، وأفلام وثائقية)، وتذكارات أو قطع أثرية، ومتفرّقات، والخطوة الثالثة دمج الكتب وجردها وترتيبها حسب الترتيب الزمني، والخطوة الرابعة دمج الصحف وجردها وترتيبها حسب الترتيب الزمني، والخطوة الخامسة إعداد قائمة مرقّمة ومرتّبة حسب الترتيب الزمني من المجلات تحتوي على: الاسم، والإصدار، والرقم، والصفحات؛ سعياً إلى بدء عملية الرقمنة، وكانت الخطوة السادسة هي دمج الصحف وجردها وترتيبها، والحصول على قائمة من الصحف المرقمة والمرتبة حسب الترتيب الزمني تحتوي على: التاريخ، والاسم، والمقالة؛ بهدف بدء عملية الرقمنة.

بعد ذلك قامت إدارة المركز والأستاذة منى حمدي بمناقشتنا حول إمكانية استخدام معدات التصوير الرقمي لتصوير المخطوطات النادرة، وجعلها صالحةً للنشر؛ بغية إهدائها إلى الفائزين بجائزة الملك فيصل العالمية. أعقب ذلك وصول الخبير الألماني أولاف زاندر، وإشرافه على إعداد غرفة التصوير، وتم ضبطها، وزوّدت الغرفة بشبكة اتصال بالإنترنت، وتمّ وضع أضواء علوية قوية في أمكنة متفرقة من الغرفة. واستعرض أولاف إجراءات الرقمنة الأساسية مع الدكتور جرين والأستاذين قاسم التنازفتي ومحمد الحسين، واستعرض إجراءات التدقيق مع السيدة لاني جرين. وتمّت رقمنة بعض المواد تجريبياً بهدف تحديد الإعدادات المثالية لمعدات التصوير والحواسيب.

أعدّت بعد ذلك قائمة مبدئية من الصحف والمجلات مرتبةً حسب الترتيب الزمني، وتمّ إعداد القوائم حسب الترتيب الزمني الذي ستتم رقمنتها به. وتدرّبت أنا وقاسم التنازفتي ومحمد الحسين على استخدام معدات التصوير وفق إعدادات مختلفة.

وفي الثلاثين من مارس عام ٢٠١١م بدأنا بعملية رقمنة المجلات فعلياً. وانتهت لاني جرين من تدقيق جميع المجلات للتأكد من التواريخ والأسماء والأرقام. عقب ذلك اجتمعنا مع الدكتور خالد الجبري لتحديد المتطلبات المستقبلية لاستمرار المشروع. وبحلول العشرين من إبريل ٢٠١٢م تمّت رقمنة ٨٠٠ صورة من مجلات مختلفة وتدقيقها وتصحيحها.

* كيف يمكن الإفادة من هذا المشروع على نطاق واسع؟

- تكمن الأهداف البعيدة المدى في إنشاء الجزء الأساسي من المواد المرقمنة عن حياة الملك فيصل، وأرشفة المادة الحية بهدف البحث والعرض، ووضعها بالصيغة التي تسهل عملية وضعها مستقبلاً في مواقع إلكترونية، وجعلها قابلةً للبحث. أما الأهداف الآنية، فنحن نسعى حالياً إلى رقمنة جميع المواد التي بحوزتنا وتدقيقها؛ وذلك للحصول على صور رقمية ذات جودة عالية، وإخضاع هذه المواد لنظام أرشفة مناسب بتسميات باللغتين العربية والإنجليزية؛ بغية حفظها وجعلها قابلةً للبحث، إضافةً إلى تدريب العاملين في مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية على رقمنة المواد وتدقيقها وضغطها وحفظها. كما نسعى إلى ضغط الصور وتحويلها؛ لجعلها قابلةً للرفع على المواقع الإلكترونية المناسبة. وإيجاد سبل متعددة وفاعلة لتخزين الصور على المدى البعيد. ونسعى أيضاً إلى تجهيز نظام يتيح الإضافات والتعديلات المستقبلية؛ كرقمنة الصور وضغطها وأرشفتها وحفظها.

* وكيف تتم عملية الرقمنة؟

- يتم تسلّم المواد ذات العلاقة من المصدر، وتتضمن

عندما كنت طالباً كنت أستخدم التاريخ في محاولة فهم المشكلات القائمة في الحاضر: كالصراع الدائر في الشرق الأوسط بين العرب واليهود

الملك فيصل على أغلفة مجلات عربية وأجنبية





الملك فيصل في الأمم المتحدة

٨٥٪ من الصور من داخل المملكة، وهناك مجلات وصحف وصلتنا من بيروت والقاهرة اللتين تعدان أهم مدن النشر في العالم العربي

هذه المواد صوراً ومجلات وصحفاً ووثائق، وبعد ذلك يتم جرد المواد وتصنيفها حسب الترتيب الزمني، وعقب ذلك تشغل آلة التصوير الرقمية والحواسيب التي ستقوم بتصوير هذه المواد وحفظها، ويتم تخزين الصور الكبيرة بدايةً على صيغة TIFF، ثم تعاد رقمنة بعض المواد، بعد ذلك يقوم فريق العمل بحفظ المواد وتنظيمها حسب الترتيب الزمني، ويتم تدقيق الصور على صيغة الـTIFF؛ للتأكد من أن درجات الوضوح والسطوع تلبّي المعايير المطلوبة، ثم يتم ضغط الصور التي بصيغة الـTIFF من أجل تحويلها إلى صيغة الـJPEG؛ حتى تكون ملائمة للرفع عن طريق الإنترنت، والتداول عبر برامج التشغيل الشائعة الاستخدام. ويتم عقب كلّ ذلك تخزين الصور على صيغة الـTIFF، وتجهّز الصور على صيغة الـJPEG؛ حتى تكون قابلةً للنشر الإلكتروني، وفي المرحلة النهائية يتم رفع الصور إلى موقع مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية على الإنترنت www.kfcris.com. وفي مراحل لاحقة سيتم تصوير جميع مقتنيات الملك فيصل الشخصية، وتتضمن تلك المقتنيات تحفاً، وساعات، وهدايا، وملابس، وأسلحة، ودروعاً، إضافةً إلى مجموعة من الصور الخاصة التي تتضمن زيارات رسمية وغير رسمية، وصوراً وأفلاماً وثائقية للملك فيصل منذ طفولته حتى آخر مراحل حياته.

* من أين تأتيكم معظم المواد؟

- ٨٥٪ من الصور من داخل المملكة، وهناك مجلات وصحف وصلتنا من بيروت والقاهرة اللتين تعدّان أهم مدن النشر في العالم العربي. لكن ليس لدينا أيّ شيء من المغرب العربي والعراق، ولدينا بعض الصور من أوربا: ألمانيا، وفرنسا، وإيطاليا، والمملكة المتحدة.

* ما المجموع الكلي للصور؟

- مجموع الصور الموجودة حالياً سبعة آلاف صورة، فُهرس منها ستة آلاف صورة، وأدخل إلى الجهاز ٤٨٠٠ صورة مُفهرسة حتى تاريخ إعداد هذا الحوار.

* كيف كان تصورك لشخصية الملك فيصل قبل العمل في المشروع؟ وماذا بعد أن عملت فيه؟

- عندما تعيش داخل مجتمع ما فإنك تكون محكوماً بثقافة هذا المجتمع، متأثراً بوجهات النظر العامة والصور النمطية التي تعطي انطباعاً معيناً عن موضوع معين: فعندما ذهبت إلى القدس تغيّر كثير من المفاهيم لديّ، وتفهمت وجهة النظر الفلسطينية، وأن لدى الفلسطينيين قضية قوية يدافعون عنها، وأنهم هُجّروا، وأن لديهم الحق في إقامة دولتهم. فهناك كثير من وجهات النظر التي تسيطر عليك

وتحكمك من خلال المجتمع أو المدرسة أو الوالدين أو المعتقد الديني. وعندما تخوض التجربة يتغيّر كثير من تلك المفاهيم: فعندما كنت في الولايات المتحدة كان تصوّري عن الملك فيصل أنه مهندس قطع إمدادات النفط عن أمريكا. وأنه حاول أن يؤسّس تجمعاً للبلدان الإسلامية يمثّل القوة الثالثة في أثناء الحرب الباردة. ويكون لدينا ثلاثة أقطاب: قطب شيوعي، وقطب رأسمالي، وقطب إسلامي يسعى الملك فيصل إلى تأسيسه. هذا كلّ ما كنت أعرفه عن الملك فيصل. لكنني عندما بدأت بالقراءة عنه وجدت نفسي أتعرّف إليه أكثر، ووجدت شخصاً متّصلاً بصورة وثيقة بثقافته وقيمه ومبادئه، ومهما عمل فإنه كان يريد أن يرى قيمه ومبادئه تتبلور على نحو وطني وعالمي يحمي هذه المبادئ التي كان يؤمن بها، وأصبح بعد قراءتي العميقة عنه واحداً من الأبطال الذين يلهمونني: ففي التاريخ تتكون لديك قائمة من الشخصيات الملهمة: كصلاح الدين الأيوبي، وابن خلدون، وإبراهام لينكولن، وتوماس جيفرسون، والملك فيصل بن عبدالعزيز أحد هؤلاء.

عندما كنت في الولايات المتحدة كان تصوري عن الملك فيصل انه مهندس قطع إمدادات النفط عن أمريكا، واصبح بعد قراءتي العميقة عنه واحدا من الأبطال الذين يلهمونني

*** هل أنا محق في أن العمل التطوعي يعد جزءاً من عقيدة المورمون؟**

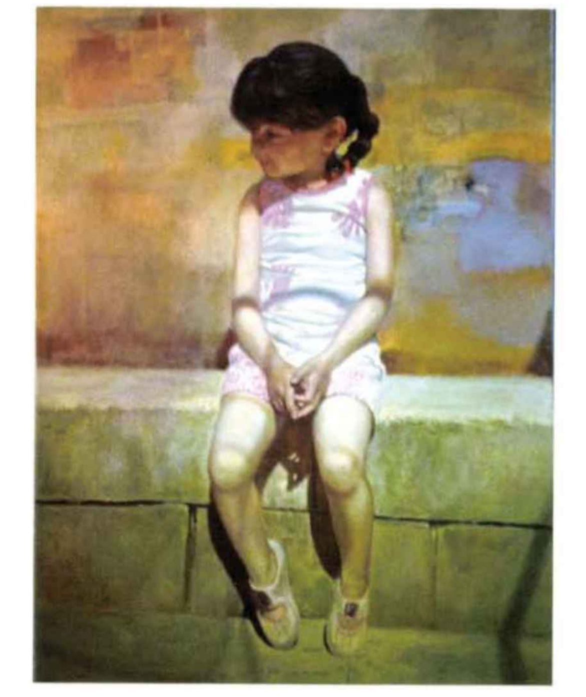
- نعم، هو جزء من عقيدتنا كمورمانيين، وهي أن نعمل عملاً تطوعياً في جزء من حياتنا، سواء أكنا في سنّ الشباب أم عقب التقاعد. وأحد جيراني في الولايات المتحدة الأمريكية كان يعمل محامياً يقوم الآن بعمل تطوعي في منغوليا. لكنني حقيقةً لا أدري ماذا يفعل فيها بالضبط.


الملك فيصل في جولة تفقدية ويبدو في الصورة الملك عبدالله بن عبدالعزيز


الملك فيصل يصلي في المسجد الأقصى وإلى جواره عاهل الأردن الراحل الملك حسين

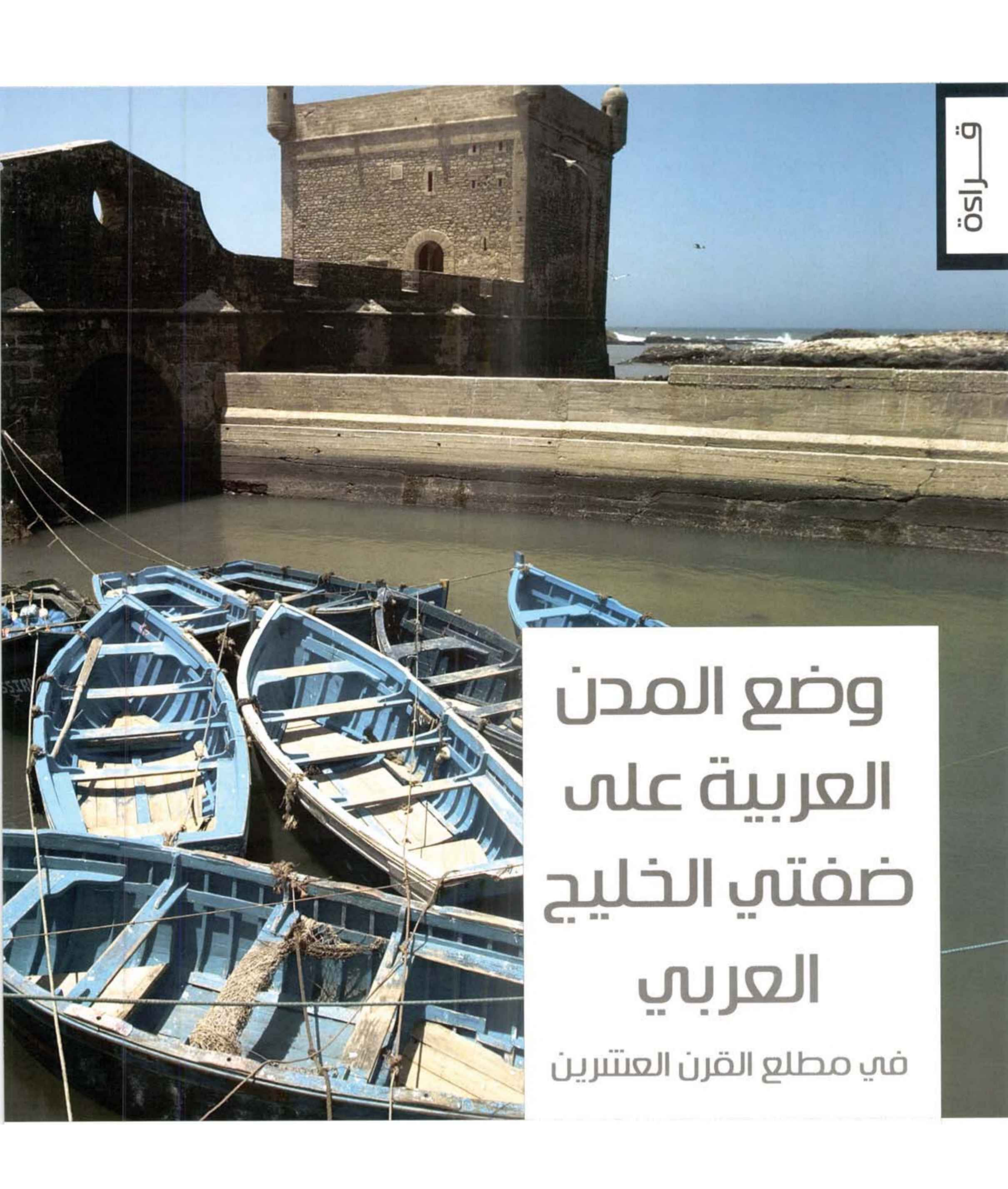
دينا الشهوان
الرياض - السعودية

حلوةٌ



مرّت بالبال
تجلس على حافة العمر
ترسم بعينين من ذهب
تدندن تراتيل سماء
براءةً
تفتش عن لعبة..
ترسم لوحةً في السماء..
تقطف عنقود بالونٍ هارب!
تجمع ألف.. باء.. وياء
طفلة
مرّت ببالي
ضفيرتها شقية سوداء
وردةٌ سكنت بليلها
عذبة البسمة.. هناء
عذبة
تنسج خيالي
حكايا حبّ أول الشتاء
ثمة لون هارب من دفترٍ
ربما عنقود بوح فيه هاء!
لوحة
سكنت في قلبي
مرسومةٌ بلونٍ من حنان
انثنت كل الزوايا
لم يبق لا لون ولا ماء

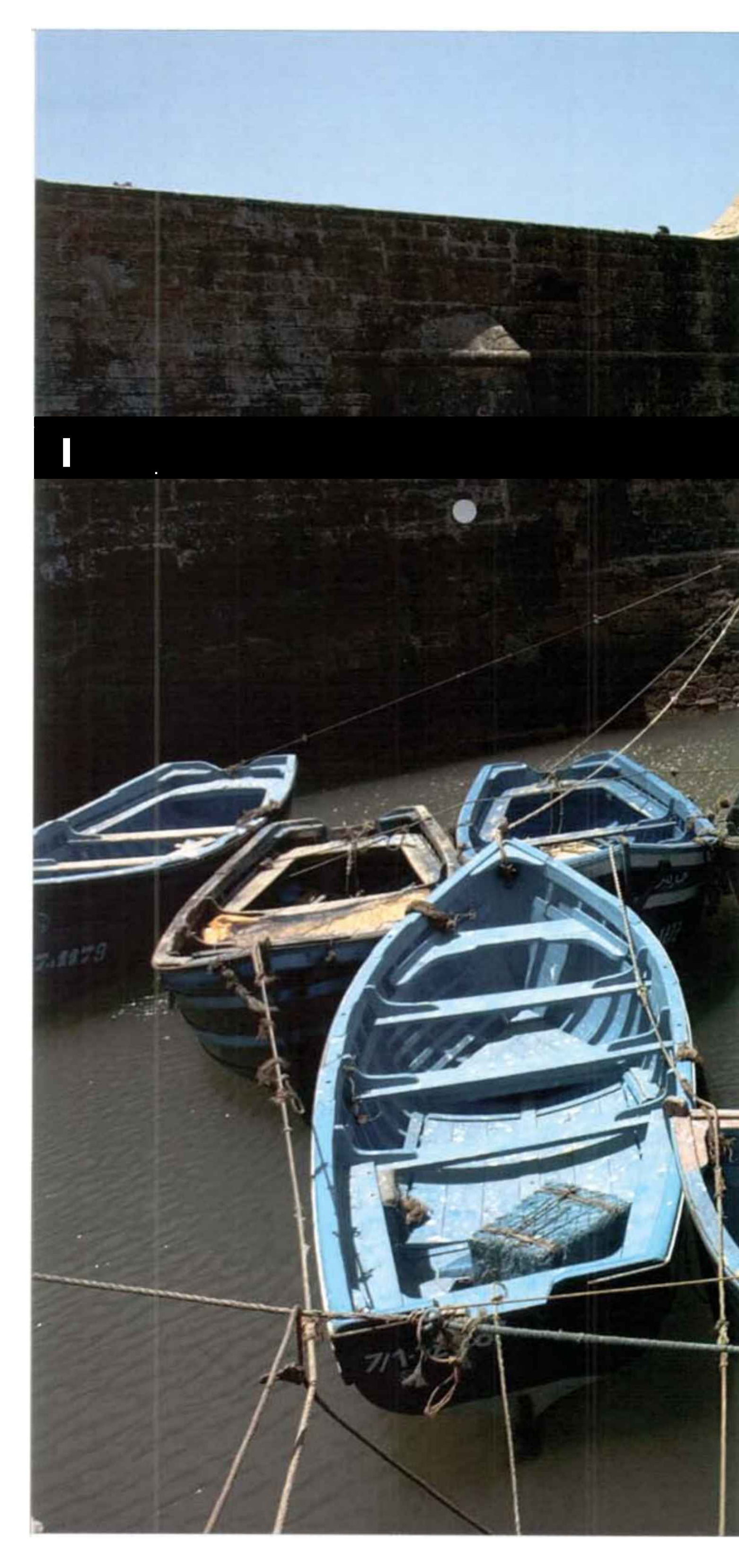




قــراءة

وضع المدن العربية على ضفتي الخليج العربي

في مطلع القرن العشرين

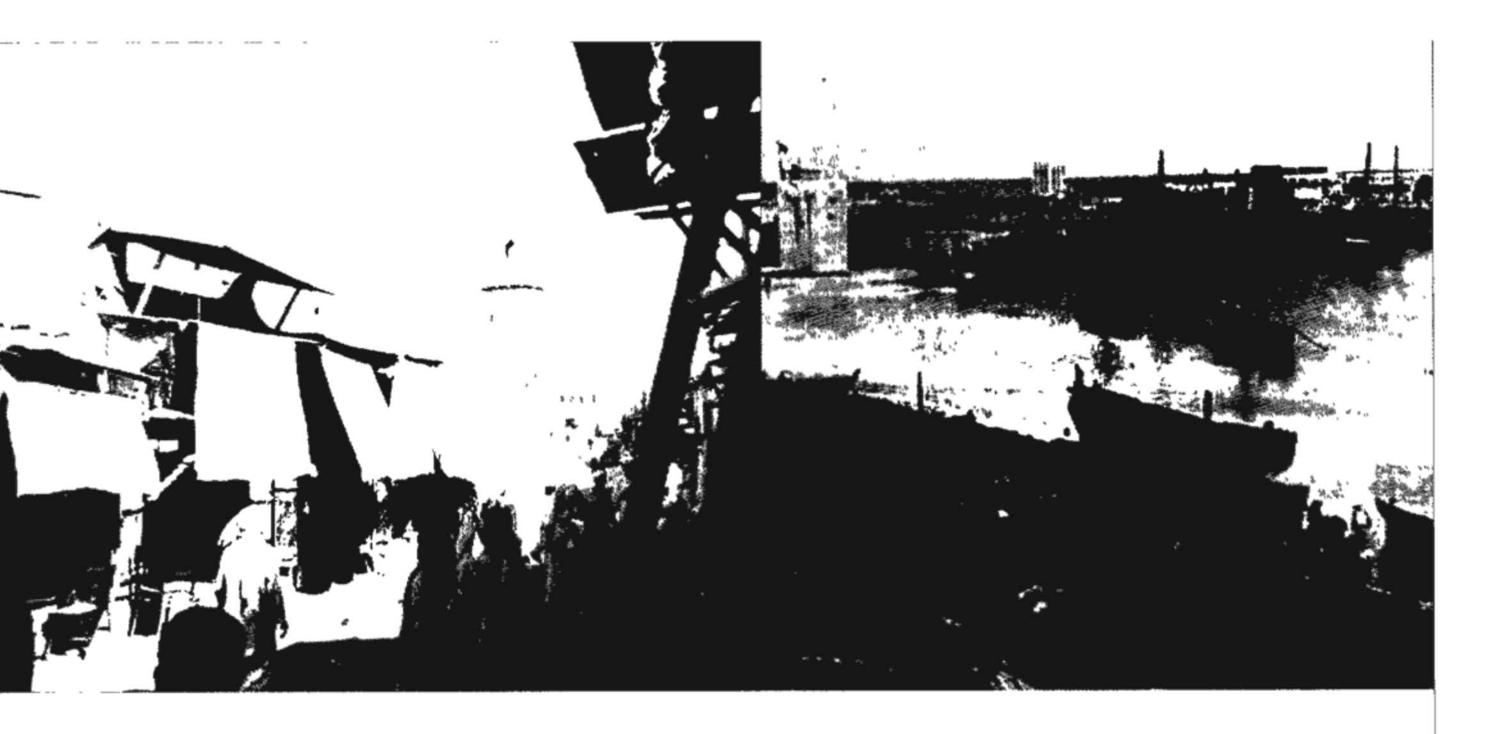


هزاع بن عيد الشمري
الرياض - السعودية

كانت الامبراطورية الروسية في أواخر القرن التاسع عشر الميلادي تواقة إلى وجود بحري في منطقة الخليج العربي لأمرين: سياسي، وتجاري؛ لمنافسة القوى الغربية المتمثلة في بريطانيا وفرنسا اللتين أثبتتا وجودهما هنا، وأرستا أقدامهما في مياه الخليج العربي، ووجد رحالها في المدن العربية على ضفتي الخليج الشرقية؛ مثل: لنجة، وبوشهر، وبندر عباس، والمحمرة، والبصرة، على الرغم من الوجود العثماني في المدينة الأخيرة، والعربية؛ مثل: الكويت، والبحرين، ومسقط.

في عام ١٨٩٩م أبحرت السفينة الروسية غيلياك. وهي من سفن الأسطول الحربي. وكانت تعمل في حضر السواحل الروسية. وقائدها المقدم البحري أندرينيوس. إلى مدينة بندر عباس على الضفة الشرقية من الخليج العربي بعد أن قطعت ١٤٥٠ ميلاً. فجالت بين المدن على الضفتين. وفي عام ١٩٠١م قامت بزيارة هذه الموانئ سفينة كورنيلوف من ٣ شباط/ فبراير إلى ١ أيار/ مايو. وهي تابعة للشركة الروسية للملاحة والتجارة (كلاسينغ). وفي ٢٢ أيلول/ سبتمبر عام ١٩٠١م تلقى الطراد الثقيل (فارياغ) أمرا بزيارة موانئ الخليج العربي وهو في طريقه إلى المحيط الهادي. ويقوده العقيد البحري بير. فوصل إلى مسقط في ٢٧ تشرين الثاني/ نوفمبر.

وفي ١٥ تشرين الأول/ أكتوبر عام ١٩٠٢م أمر رئيس الأركان البحرية العامة قائد الطراد الثقيل (إسكولد) أيضا بزيارة موانئ الخليج العربي وهو في طريقه إلى المحيط الهادي كذلك. فوصل



يصف قائد الطراد بويارين مدينة الكويت بأنها تمثّل لوحة جميلة جداً، ولاسيما الساحة التي تؤمها القوافل المقبلة من الصحراء، وتنطلق منها القوافل عائدة

إلى مسقط في ١٩ تشرين الثاني/ نوفمبر، وجال هذا الطراد في موانئ المنطقة الغربية والشرقية، وكان يقوده العقيد البحري رايتسنشتاين. وفي ١٠ شباط/ فبراير عام ١٩٠٣م رسا الطراد الخفيف (بويارين) في مسقط، ثم جال في الخليج العربي، وزار الموانئ الموجودة على ضفتيه، وكان يقوده المقدم البحري ساريشيف. وأرسل كلّ هؤلاء تقارير وبرقيات مطوّلة إلى قيادة الأسطول الروسي في سان بطرسبرغ، تتناول مشاهداتهم، ووصفاً مهماً للمدن التي زاروها، وآراءهم حيال تلك الزيارة، وأظنّ أن تلك الآراء صدّت روسيا عن الوجود في منطقة الخليج العربي، وصرفت الأهواء، خصوصاً أن الدول الكبرى قد سبقتها حينذاك.

المهم في تلك التقارير، التي نُشرت أول مرة بالعربية عن دار التقدم في موسكو عام ١٩٩٠م تحت اسم (سفن روسية في الخليج العربي ١٨٩٩- ١٩٠٣م)، هو المشاهدات والانطباعات التي سجّلها قادة هذه السفن عن المدن التي زاروها في منطقة الخليج العربي في ضفتيه الغربية والشرقية، وهذه المدن هي:

الجانب الغربي للخليج العربي: مدينتا مسقط والكويت

مدينة مسقط:

استولى عليها البرتغاليون عام ١٥٠٨م، وظلت في أيديهم حتى عام ١٦٤٨م، وأصبحت عاصمة عُمان عام ١٧٤١م. لون علم عُمان هو اللون الأحمر المربع[1]. وكان وقتها يحكم مسقط السلطان فيصل بن تركي، وكان عمره ٣٨ عاماً، وهو يعطي انطباعاً ساراً في النفس، سواء من حيث مجاملته ولطفه أم من حيث مستواه الثقافي[2]. وسلطته الفعلية تنبسط على مسقط فقط. أما سائر قبائل البدو القاطنة





العدد المزدوج ٤٣١- ٤٣٢

الجماديان ١٤٣٣هـ

الفائز الأول:	مريم عبد الرحيم عبد الكريم غلام - مكة المكرمة - السعودية.
الفائز الثاني:	شيماء فتحي إبراهيم محمد - القاهرة - مصر.
الفائز الثالث:	تهاني علي المعلم - صنعاء - اليمن.
الفائز الرابع:	منى محمود كريم - عمان - الأردن.
الفائز الخامس:	عبد الرحمن بن محمد عبا - الدروة - المغرب.
الفائز السادس:	أمل نبيل البواب - المنستير - تونس.
الفائز السابع:	محمد حسام أبو جبارة - الشارقة - الإمارات.
الفائز الثامن:	عبد الله الرشيد محمد - الدوحة - قطر.

حل مسابقة

العدد المزدوج ٤٣١- ٤٣٢

الجماديان ١٤٣٣هـ

١- المرض الوبائي الذي يُعرف بالهواء الأصفر هو الكوليرا.

٢- أول رئيس أمريكي سكن البيت الأبيض هو جون أدامز.

٣- يُطلق القرن الإفريقي على الصومال وكينيا وإثيوبيا وجيبوتي.

CUT IT OUT

أسئلة مسابقة

العدد المزدوج ٤٣٧- ٤٣٨

ذو القعدة - ذو الحجة

١٤٣٣هـ

(١) ماذا تعني كلمة (بعلبك)؟

....

(٢) ما الاسم الحقيقي للشاعر تأبّط شراً؟

....

(٣) متى حوِّلت القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة المشرفة؟

....

الاسم: .... المدينة: .... ص.ب: .... هاتف: ....

العنوان: .... الدولة: .... الرمز البريدي: .... ناسوخ: ....

شروط المسابقة

- الإجابة عن جميع الأسئلة بشكل صحيح.
- لا تقبل إلا الإجابات المدونة على هذه القسيمة.
- إرسالها خلال ٤٥ يومًا من بداية الشهر العربي الذي صدر فيه العدد.
- أن يكتب المتسابق اسمه وعنوانه كاملاً داخل القسيمة.
- أن يكتب على الظرف (مسابقة العدد ......)

طريقة اختيار الفائزين

- تفرز جميع القسائم التي ترد من القراء.
- يتم استبعاد القسائم التي تكون ناقصة الإجابات.
- تجمع الإجابات الصحيحة، وتعمل قرعة بينها للفائز الأول، وقرعة أخرى للفائز الثاني، ثم قرعة ثالثة للفائز الثالث، وهكذا إلى الفائز الثامن.
- ترسل الجوائز إلى أصحابها فور الوصول إلى النتيجة، وتدفع بالريال السعودي أو ما يعادله بالدولار الأمريكي.

نأمل من الإخوة الذين يشاركون في المسابقة من خارج المملكة العربية السعودية كتابة أسمائهم بالحرف اللاتيني؛ لأن المصارف (البنوك) تصدر الشيكات الخارجية باللغة الإنجليزية.

مضاعفة جوائز المسابقة

فقد تم رفع قيمة الجائزة الأولى من ١٥٠٠ ريال إلى ٢٥٠٠ ريال، والجائزة الثانية من ١٠٠٠ ريال إلى ٢٠٠٠ ريال، والجائزة الثالثة من ٧٠٠ ريال إلى ١٥٠٠ ريال، والجائزة الرابعة من ٥٠٠ ريال إلى ١٠٠٠ ريال.، والجائزة الخامسة من ٣٥٠ ريالاً إلى ٧٠٠ ريال، والجائزة السادسة من ٢٥٠ ريالاً إلى ٥٠٠ ريال، والجائزة السابعة اشتراك مدة عام في المجلة، والجائزة الثامنة بعض إصدارات دار الفيصل الثقافية ومركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية.

والفيصل، مع شكرها لكل الإخوة الذين يشاركونها الرأي في تطوير أبوابها، تأمل أن تكون عند حسن ظنهم دومًا، مع تمنياتنا حظًا وافرًا لجميع القراء الأعزاء.

تنويه

نفيد الإخوة المتسابقين أن المجلة ستراعي ما حدث من تأخر في مواعيد صدور الأعداد الأخيرة لظروف فنية خارجة عن الإرادة، ولهذا فقد تم مدّ فترة تلقي المشاركات في المسابقات شهرين بدلاً من ٤٥ يومًا.



قسيمة اشتراك أفراد (مخفضة)



الاسم: ....

العنوان: ....

المدينة: ....

الدولة: ....

ص.ب: .... الرمز البريدي: .... هاتف: .... ناسوخ: ....

- قيمة الاشتراك السنوي لـ (١٢ عددًا) ١٠٠ ريال سعودي أو ما يعادلها بالدولار الأمريكي خارج المملكة العربية السعودية.
- ترسل قيمة الاشتراك بشيك مصدق لأمر مجلة الفيصل الثقافية، أو يتم توريدها في حسابنا رقم (٠٠١ ـ ٠٥٥٥٠٥ ـ ٠٠٤) في البنك السعودي البريطاني. شارع العليا العام ـ الرياض. أيبان: ٥٠٠١ ٥٥٥٠ ٠٠٤٠ ٠٠٠٠ ٤٥٠٠ ٠٠٠٠ ASV٩
- يشترط إرفاق القسيمة مع طلب الاشتراك.

ص.ب (٣) ـ الرياض ١١٤١١ ـ المملكة العربية السعودية ـ هاتف: ٤٦٥٢٢٥٥/٤٦٥٣٠٢٧ ـ ناسوخ: ٤٦٤٧٨٥١

في عُمان فهي تُوجد في تبعية ضعيفة جداً للسلطان؛ فهو يعقد معها اتفاقيات، بل حتى يدفع لها بعض المبالغ من أجل الحفاظ على السلم والسكينة[٣]. وذكر قائد الطراد فارياغ أن السلطان نفسه قدّم لهم هدية هي ٤ بقرات متوسطة الوزن، ونحو ٢٠ بوداً، ومن الخضار: البصل، والقرع، والليمون، والرمان، والبادنجان[٤]. ويقول قائد الطراد إسكولد: إنه لا وجود في مسقط للمحلات التجارية، ولاسيما الفنادق[٥]. ويضيف قائلاً: إن عدد الأوربيين القاطنين في مسقط لا يتعدى سبعة أشخاص، بمن فيهم القناصل البريطاني والأمريكي والفرنسي[٦]. أما من حيث الاستيراد في مسقط، فيذكر قائد السفينة كورنيلوف أنه غير كبير البتة، ويتألف في الأغلب من السكر والدقيق والبترول والأخشاب، سواء منها خشب البناء أم خشب لصنع صناديق التمر. أما التصدير فيصفه بأنه واسع جداً، وهو يتألف في الأغلب من التمر الذي يصدر منه من أيلول/سبتمبر حتى كانون الثاني/ يناير نحو ٤٠ ألف طن إجمالاً، ويقسم ثلاثة أصناف: الصنف الأول في صناديق وأكياس، ويصدر منه نحو ١٠ آلاف طن، والصنف الثاني من أكياس فقط، ويصدر منه نحو ١٠ آلاف طن، والصنف الثالث الذي يستخدم من أجل التقطير فقط، ويصدر منه نحو خمسة آلاف طن، وتوجد أيضاً تمور مجفّفة يصل مقدار تصديرها إلى ١٥ ألف طن. وثمن الصنف الأول في صناديق ١٥٠ روبية للطن الواحد، ويتألف الطن من نحو ٣٠ صندوقاً، علماً أن ثمن الصندوق الفارغ روبية واحدة. وثمن الصنف الأول في أكياس نحو ٧٥ روبية، والصنف الثاني نحو ٥٠ روبية، والصنف الثالث نحو ٤٠ روبية للطن الواحد. والتمور الجافة صنفان، ثمن الصنف الأول نحو ٢٠٠ روبية، والصنف الثاني نحو ١٥٠ روبية للطن الواحد. وأفضل أنواع التمور هي التمور الصفراء، وهي تنضج في مسقط قبل شهرين من نضجها في البصرة. ويصدر الصنف الأول إلى أوربا فقط، والأصناف الباقية إلى جميع أرجاء الدنيا.

ومن بين المواد الثانوية يُصدر بكميات غير كبيرة الليمون الجاف، والصدف المحلي المجلوب من جزيرة سقطرة. ويذهب الليمون الجاف في الأغلب إلى البصرة وبغداد، ويصدر منه نحو ٢٠٠ طن، ثمن ٥٠,٨ الكيلوجرام الواحد يساوي ١١٢ جنيهاً إنجليزياً؛ أي: نحو ٢٥ روبية. أما الصدف فنوعان: كبير وصغير، ثمن ٥٠,٨ الكيلوجرام الواحد من الصدف الكبير نحو ٦٠ روبية، أما الصغير فنحو ٥٠ روبية[٧].

وتقوم إحدى الطرادات الروسية بزيارة البحرين، لكن قائدها لا يذكر إلا المجاملة فقط، ولم يُعطِ تقريراً مفصّلاً مثل تقرير مسقط أو الكويت أو المدن الأخرى على ضفته الأخرى.

مدينة الكويت:

كما يذكر قائد الطراد الثقيل (فارياغ): بعد وصولنا الكويت بعد يوم جاء في زيارة للطراد النجل الأكبر لشيخ الكويت جابر، الذي يدير شؤون البلاد في غياب والده الشيخ مبارك، وجلب معه إلى الطراد هدية من ١٠ خراف باسم شيخ البلاد[٨]. ويضيف: أن المدينة من حيث منظرها الخارجي، شأنها شأن جميع مدن هذا الخليج، هيئة غير جذابة البتة[٩]. ويضيف قائد الطراد إسكولد: أما مدينة الكويت نفسها فتقع على طول الشاطئ، وقلما تمتد إلى عمق البر، وبيوتها مبنية من التربة المحلية للحجر الرملي الصلب[١٠] ومجصّصة، ودلّونا على بيتين أو ثلاثة مبنية من الحجر، بوصفها أمراً نادراً جداً؛ لأنه ليس في مستطاع السكان المحليين دفع تكلفتها، وهي فقط من نصيب العوائل التي هي الأكثر غنى من غيرها. وعند طرف المدينة المحاذي لليابسة توجد سوق تتداح أمامها ساحة فسيحة يؤمّها العرب من الصحراء جالبين معهم الخيول والثيران والخراف لبيعها. وفي السوق المؤلفة من عدد كبير من الحوانيت

استولى البرتغاليون على مدينة مسقط عام ١٥٠٨م، وظلت في أيديهم حتى عام ١٦٤٨م، وأصبحت عاصمة عمان عام ١٧٤١م



الصغيرة القائم بعضها الى جانب بعض يشاهد المرء جميع الاشياء الضرورية للحياة العربية اليومية. كوفيات، واقمشة لصنع العباءات والملاحف، وتبغا، وبنا، واشرعة وحبالا واواني صغيرة، ومصابيح صغيرة.

ويضيف قائد الطراد بويارين: بعد قيامنا بهذه الزيارة شاهدنا المدينة والسوق التي تمثل لوحة جميلة جدا. ولاسيما الساحة التي تؤمها القوافل المقبلة من الصحراء، وتنطلق منها القوافل عائدة. وتصدر الكويت بالدرجة الرئيسة اللؤلؤ مع اصدافه، والخيول المرسلة الى الهند. ويتراوح عدد سكان الكويت بين ١٥ و١٨ الف شخص. وتنحصر مهنتهم الاساسية في صيد السمك، وصيد اللؤلؤ في الارخبيل البحراني.

وحول بناء السفن في مدينة الكويت وعددها يذكر لنا قائد الطراد اسكولد في تقريره: الجزء الرحراح من كل ساحل المدينة (الكويت) يشكل اذا صح التعبير ترسانة لبناء السفن واصلاحها، فقد امتلأ الشاطئ كله اما بسفن يجري بناؤها، واما بسفن سُحبت لاجل التصليح. وتصل حمولة كبرى السفن حتى ١٠٠ - ١٢٠ طنا. وجميعها من طراز واحد، ومتينة البناء من حيث المالانار. ولدى جميعها شبكة مستقيمة من دون اي اعوجاجات مصنوعة من العوارض المتينة، ومركبة بزاوية ٤٥ درجة الى الارضية. ومؤخرة مرتفعة قليلا توجد تحتها ارصفة خشبية. وجميعها مزودة بصهاريج خشبية من اجل مياه المطر.

ان اساليب بناء السفن غير معقدة. وكل الاهتمام ينصب على متانة التركيب. مع ان لدى بعض السفن بعض التزيينات في مقدمتها. حتى إن لدى يخت الشيخ المطلي باللون الابيض منظرا جلابا من حيث خطوطه. ومن حيث نظافة الصنع على حد سواء. ولكل سفينة سارية واحدة بشراع.

على هذه السفن التي يصل عددها في الوقت الحاضر الى الف سفينة يقوم السكان المحليون بصيد السمك على مدار السنة تقريبا. وصيد اللؤلؤ في الارخبيل البحراني من ايار/ مايو حتى تشرين الاول/ اكتوبر. ويزاولون التبادل التجاري، سواء مع البصرة وبوشهر ام مع المدن البعيدة مثل كراتشي، وبومباي.

الجانبان الشمالي والشرقي من الخليج العربي

يتحدث التقرير عن مدن المحمرة، وبوشهر، ولنجة، وبندر عباس. وهي مدن عربية في الاصل وقد احتلتهن السلطات الايرانية بسلطتها منذ عهد الشاه عباس حتى اوائل القرن العشرين.

مدينة المحمرة:

ابدل اسمها بعد احتلال إيران لها الى (خرمشهر). وهي المدينة الرئيسة في عربستان الفارسية - حسب التقرير - وهي الاحواز. ويحكمها شيخ عربي يوجد في تبعية اقطاعية لايران، التي يدفع لها إتاوة معينة. لكنه مستقل ومطلق التصرف بصدد الادارة الداخلية لقبائله واراضيه. والحكومة الايرانية لا يروق لها ابدا استقلال كهذا. وحاولت عدة مرات تقييده. لكن دون نتيجة بسبب ضعفها. واثار مطمع ايران ارتيابا شديدا في نفس الشيخ. ويعيش في قصره حرس قوامه الف شخص مدججين بالسلاح الابيض والناري. ومن هذا الحرس يرافقه دائما بضعة افراد، فعند كل باب مثلا يقف شخصان. وخلف الكرسي الذي يجلس

عليه الشيخ مستقبلا الضيوف يقف حارسان. وعلى العموم فأينما يسر الشيخ داخل القصر او خارجه يتبعه دائما أشخاص من الحرس.

وخوفا من أن يُختطف سرا لم يسافر الشيخ قط على متن السفينة الإيرانية بيرسيبوليس. وهي السفينة الحربية الإيرانية الوحيدة. وبسبب ذلك لا يزور السفن الحربية للأمم الأخرى أيضا (تقرير السفينة غيلياك).

ويضيف قائد السفينة كورنيلوف في تقريره: يدير المدينة شيخ يتمتع ببعض الاستقلال مع أنها تُعد ضمن الممتلكات الإيرانية. ويعيش الشيخ في المحمرة على مسافة ميلين من المحمرة بمحاذاة نهر شط العرب. ومن حيث منظر المحمرة الخارجي فهي كريهة الرائحة وقذرة كسائر مدن الخليج العربي. غير أنه في وسعها من حيث موقعها الجغرافي المناسب عند ملتقى نهري شط العرب ونهر قارون أن تقوم بتجارة تسليم واسعة عبر نهر قارون.

في عام ١٨٩٩م ابحرت السفينة الروسية غيلياك الى مدينة بندر عباس على الضفة الشرقية من الخليج العربي بعد ان قطعت ١٤٥٠ ميلا

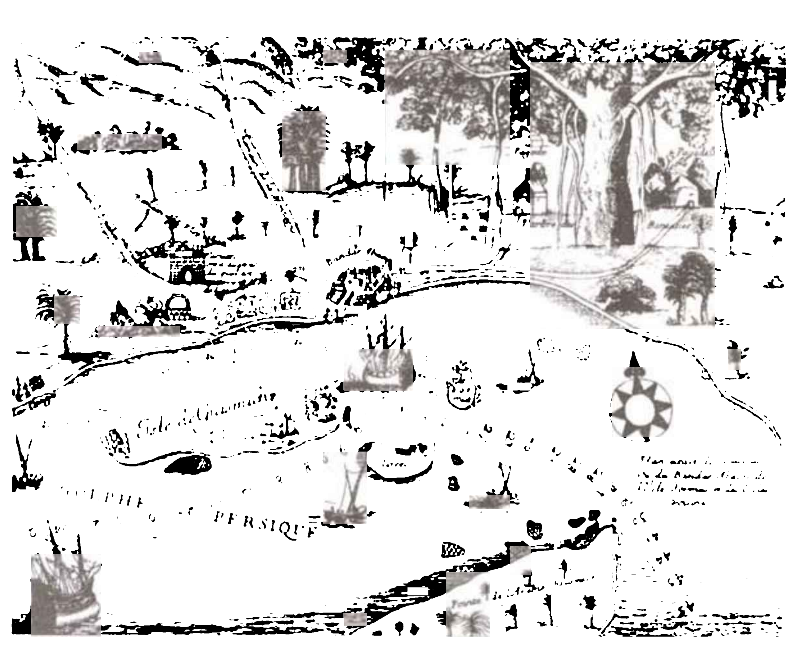
بوشهر أو بوشير:

كانت مركزا تجاريا للمدن الداخلية مثل شيراز وأصفهان وطهران. وفي تقرير قائد الطراد فارياغ تعد مدينة بوشهر في الوقت الحاضر المرفأ الرئيس للخليج العربي. وهي مبنية على لسان رملي داخل في البحر. إن للشوارع والبيوت والمدينة كلها بوجه عام منظرا غير جذاب. فالأوربيون الذين يبلغ عددهم هنا نحو ٤٠ - ٥٠ شخصا فقط يعيشون خارج المدينة في بيوت منفردة كبيرة. وليس في المدينة سوى مكاتب عمل. أما السكان الباقون فينتمون إلى خليط من الإيرانيين والعرب. ويبلغ عددهم نحو ١٥ ألف نسمة. علما أن جميعهم تقريبا، ولاسيما النساء كما علمت، يعانون بدرجة كبيرة أمراض العيون. ويعود سبب ذلك إلى نور الشمس الساطع جدا ونقص الماء وقلة النظافة على العموم.

لنجة او بندر لنجة:

في تقرير قائد الطراد بويارين: من البحر تحدث لنجة انطباعا مرضيا جدا. خضرة كثيرة لا من حيث أشجار النخيل فحسب، بل أيضا من بعض النباتات الكثيرة الأوراق. وفي الجزء الغربي من المدينة منارة عالية جدا مغطاة بترابيع زرقاء لم أر مثلا لها حتى الآن في موانئ الخليج. وعلى سطوح البيوت أبراج للتهوية. والبيوت مبنية ببعض الأناقة والرشاقة. لكن المدينة تفقد كثيرا من رونقها عندما تراها من كثب. إلا أنه من الإنصاف القول أن لنجة هي أنظف مدينة من جميع المدن التي شاهدناها في الخليج العربي بما في ذلك مسقط أيضا.

وهذا يُضاف إلى ما جاء في تقرير قائد السفينة كورنيلوف





من أن هذه المدينة (لنجة) أكبر من بندر عباس. وبعض المغروسات من أشجار البلح القائمة خلف المدينة مباشرة تضفي عليها منظراً جميلاً جداً. وهي مدينة مرتبة ونظيفة بعض الشيء مقارنةً بسائر المدن الساحلية في الخليج. إن مواد الاستيراد وإنتاجها هي نفسها كما في بندر عباس. أما من حيث التصدير، فإن لنجة تحتل المرتبة الأولى في الخليج من حيث إرسال التمباك إلى موانئ البحر الأحمر وسورية. يُجمع التنباك في الشتاء باحتياط زائد؛ حتى يتيح الحصول عليه في جميع فصول السنة. كما يجري إرسال كمية لا بأس بها من السجاد إلى جدة[٢١].

مدينة بندر عباس:

شيّدها الشاه عباس الأول، وأقام بها البريطانيون والهولنديون في القرن السابع عشر الميلادي المنشآت التجارية. وتقع مدينة بندر عباس على شاطئ رملي خفيف الانحدار، وترتفع وراءه في بعض أقسامه جبال شديدة العلو حتى ثمانية آلاف قدم[٢٢]. إن الهيئة الخارجية للمدينة تعطي انطباعاً بأنها مدينة فقيرة جداً. بيوت واطئة في هيئة علب مربعة مبنية، أو الأصح القول: مركّبة من حجر وطين، ومخازن أو دكاكين أشبه بصناديق؛ بسبب قلة عدد المواد الموجودة فيها. وعليه، فإن المرء يضطر إلى شراء الأطعمة من عدة دكاكين دفعة واحدة. اللحم لا يستهلكه السكان إطلاقاً، وكان يمكن الحصول عليه فقط في حال شراء ثور بكامله، علماً أن الثور المذبوح كانوا ينقلونه كما هو إلى السفينة حيث يزنونه

كانت الامبراطورية الروسية في أواخر القرن التاسع عشر الميلادي تواقة إلى وجود بحري في منطقة الخليج العربي لأمرين: سياسي، وتجاري

ويقطعونه ويحددون ثمن الرطل. الخضار من شتى الأنواع. ما عدا الملفوف. يوجد بوفرة اللحم والخضار على حدٍّ سواء. وكانا من النوعية الجيدة. والخبز المخبوز بالطريقة المحلية سيئ النوعية. ولا وجود للماء الزلال على الإطلاق. بل إنه يسيل في أثناء الأمطار الخريفية والشتوية من الجبال. ويتجمع في حفرات ضخمة أو برك. المواد الرئيسة لتجارة بندر عباس هي استيراد السلع من المستعمرات والسلع المانيفاتورية. وهم يصدرون القطن والتمر والخضار والصوف والحرير والجلود والخيول. وغيرها. ويتعاطون التجارة على الأغلب مع الهند وموانئ الخليج العربي. أو مع أوربا بدرجة أقلّ بكثير. وتزاول بندر عباس تجارة ناشطة جداً مع عدن ومرافئ البحر الأحمر: الحديدة. وجدة. والسويس.

ويقول قائد الطراد فارياغ في تقريره عن بندر عباس: منظر مدينة بندر عباس غير جميل البتة. سواء من البحر أم في الواقع. وعلى الشاطئ بيوت نصف مهدمة قبيحة. لشوارع ضيقة وسخة. تجري فيها القاذورات.

ويتألف السكان. الذين يصل عددهم في المدينة ٦-٧ آلاف. من العرب أساساً. ثم يأتي الهندوس والإيرانيون. وعدد الأخيرين بضع مئات فقط. وعلى بعد ١٢ ميلاً من بندر عباس تقع جزيرة هرمز المشهورة بحقول استخراج الملح. وبقربها على الشاطئ خرائب ضخمة لقلعة برتغالية. علماً أنه لا تزال مترامية في أماكن مختلفة نحو ٢٠ مدفعاً من حديد الزهر. وأن نحو ١٠٠ من أمثال هذه المدافع -حسب أقوال العرب الذين يعيشون هنا- نُقلت إلى مسقط وأماكن أخرى. وعلى مقربة من القلعة البرتغالية توجد خزائن مدينة كبيرة لم يستطع أحد إعطاءنا أي معلومات عن زمن ازدهارها. باستثناء بلاطة صريح وجدناها منقوش عليها تاريخ ١٥٨٨م.



الهوامش والمراجع

(١) ص١١٨.
(٢) ص١٢٣.
(٣) ص١١٨.
(٤) ص٨٤.
(٥) ص١٢٠.
(٦) ص١١٩.
(٧) ص٦٤، ٦٥.
(٨) ص٩١.
(٩) ص٩٢.
(١٠) أظن أنه يعني قوالب اللّبن.
(١١) ص١٣٠.
(١٢) ص١٥٩.
(١٣) ص١٣٠.
(١٤) ص١٣١.
(١٥) ص١٣١.
(١٦) ص٤٥، ٤٦.
(١٧) ص٧١.
(١٨) ص٧٠.
(١٩) ص٨٩.
(٢٠) ص١٦٤.
(٢١) ص٦٧.
(٢٢) ص٤١.
(٢٣) ص٤١، ٤٢.
(٢٤) ص٦٦.
(٢٥) ص٩٥.
(٢٦) ص٤١.
(٢٧) ص٩٥.
(٢٨) ص٩٥، ٩٦.
(٢٩) ص٩٦.

صبحة بغورة

بومرداس - الجزائر

أحلام هاربة



تتطور المدينة في فضيح عمرانها، ويموت فيها شموخ قاتل، وتترأس أحلام غائبة كل الشوارع. وفي المدى أغنية هابطة أصفّق لها، وخلسةً يصفقون، تنظمها موسيقا ضجر. تغنّي لكثير من الملل.

الساعة المقبلة لا تشير إلى الموت الآتي. لكنه يولد كل دقيقة. وفي الأفق موتى يدفنون موتى، وصفير مدوٍّ يصنع الحكاية، ولا يضع نهاية المأساة، ويتراءى الفجر الأبلج. هكذا تصبح الرذيلة حلماً، وتتراقص الأماني المستحيلة أمام أعين هاربة إلى اللاعودة. المشهد الأكثر إيلاماً يؤرّخه رجل تسوقه ثلاثة أرجل، وأفكار عشوائية. لغد مكلّل بالزهر. ترنو إلى المعجزة التي لن تحدث أبداً. وفي مقلة لم ترَ النور أشرطة مسجلة لكثير من العطاءات الجميلة.

أحمد هو هذا الواقف ليقطع الدرب الطويل، ويشطر من يوصله إلى الكفة الموازية، وتحمل العصا البيضاء أسفاراً وأفكاراً، وتعشق معه الأرض التي لم تعرف لها لوناً. المسيرة مألوفة إلى عمل ما عاد يغني من جوع، إلا أنه يساومه مرةً، ويفضّل أن يذكر مراراً وتكراراً قصة ابن الخطاب مع قدره والحصى والأبناء الجياع. شاعرية المكان تتعالى مع هذا الآيل إلى الرحيل عن دنيا حرمته صراطاً منيراً، ويتجلى لذلك إيماناً مطلقاً بالتوحيد كاملاً مسطراً بكل الألوان التي لا يعرفها عن قناعته المطلقة بالقدر خيره وشره، فقد رأى من شره ما أنساه معاني كثيرة لجمل كثيرة: فلا يمكن محاربة الكبرياء والعزة وهو مسلوب من كل ما يهوى وما لا يهوى. ولأنه سعى، بعد أن ضيّقت السبل عليه الخناق، إلى السفر من رحمة الناس بارتجاف، وبعبرات مالحة تلوح عين ما صارت تحسن العد ولا المتعة وهي ترى العالم كله نقطة سوداء. هذا إيمان مُضاف بإرادته وطوعاً؛ لأنه يحاول الحفاظ على البصيرة التي فقدت البصر. كل هذا كان في طبق شهيّ. ومعه هذا الكيان المسروق طهارته من الملائكة يخفّف عنه وطأة المعاناة، ويمسح عنه الغبن، فتنتهي الرحلة المقلقة والمضنية على كفّ سلوى، وما كان عشوائياً أن سميت عن العزاء والجلد، وفي الوجه الآخر للوحة تنزع عنه كثرة الماكياج والتزيّف، وتمحو الألوان التي ما صنعت الحياة أو قدمت الأجمل: فلم يكن لزخرفة المواكه معنى ما دامت تدسّ لذتها للأغنياء. الكفة التي تعجّ بالمأساة تطوى لهنيهة مادامت كفة سلوى قد بدأت في حصتها المسائية. الدرس لن يكون من المقرر. بل ما تحمله الارتجالية، والقلب الحليبي الدافئ هو البلسم. فتقدس ما تعلّق به من وحل، وترسمه بوجه جديد. محاولةً وضعه في مصافّ المحترمين الذين أنصفوه حين أقصوه من تعدادهم، وتُصاف ساق ثالثة حالمة بصنع المعجزة، وتستمر الحياة معها في خجل. وتسترق سلوى من البدر جملة من السحر. إشراقته يكثر واصفوها، وهاهو ذا الباب حنّ إلى الطرق والاهتمام به، يدقّ. ويجيء الخاطب الأول يعدّ نفسه عاشراً، وتمدح سلوى الفاتنة عند والدها شبه المحترم، ويفيض السيل بالنبل والثناء والغزل فيما امتلكت من ضياء. وجاء الحلم أن يفتح قوساً للفرح، وتضحك الدنيا لهذا المحترق، لكن القوس ما أمهلهم الدخول، لكن القضاء الذي ما أغلق قوسه، وأذن له، يحاول الآن رحمة بأحمد من هذا العذاب، ويفرش له عالماً آخر. لا يحرمه شيئاً، وترك الفرصة الأخيرة في توديع ابنته. الحلقة الأخيرة كانت غاصة بالأحداث: لأنها تحمل كثيراً، والوقت مشمئز من الانتظار. يودّ الرحيل إلى غيره، فاختنقت الأفكار بين التوديع والوصية، ودعوة إلى الصبر والتمسك بالفضيلة، لكنه مع ضمان ما سبق أراد شيئاً مغايراً في حوار قاتل.

بُنيتي! لا أريد وصية، السفر عنك متعب، وعند الدنيا مريح. لكن لي رجاء تافه: قد زهدت في كل الممكن والمباح، ورضيت أني لم أرَ لون السماء والماء، ولا لون الناس في تمثيلهم، ويبقى أن أقصى أمنية أن أعرفك أنت، شوقي أنت، أن أتصورك، وأتصور شكلك. هذه رغبتي أن أعرف صياغة هذا الوجه، وهذه الإشراقة. وأن أغمض عيني التي ما انفتحت على وصفك الملائكي. وأن أسافر عنك، تحملك يدي المسكينة والذائبة حناناً فيك، ما أشبعت رغبتي وضالتي، لكن بعد أن ودعت الارتجاف، وأحسست بالأمان. أعتقد أنه علقت بعينيّ أجمل صورة، هي صورتك. وداعاً! تركت لك أحلامي وعصاي.

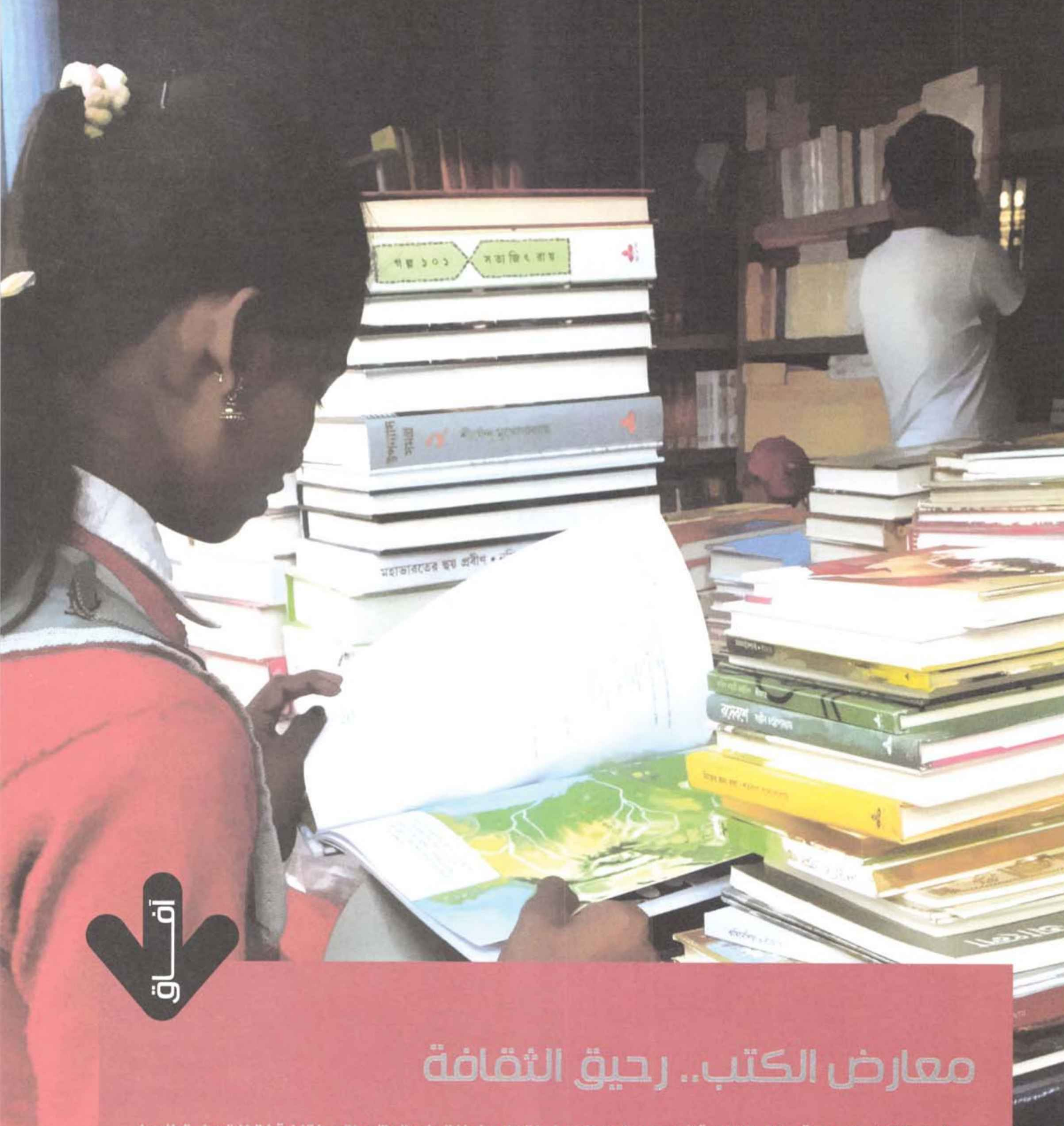
محمد كامل حسن
اللاذقية - سورية

شاغلة القلوب

قصيدة

أولى بقلبك أن يلوذ ببابها   ويظل طول الدهر من خجابها
فلعلها ترضى وتقبل توبةً   من عاشق يرضى ولو بعقابها
إن التي سلبت فؤادك أكرمت   مثواك حين غدوت من أسلابها
شغلتك شاغلة القلوب وأعرضت   عن قلبك الهاني بعذب عذابها
ترجو الوصال ووصلها في فصلها   فإذا انفصلت وصلت مدخل بابها
وإذا دنوت تريد كشف جمالها   حجبت محاسنها بخلع ثيابها
أنا لا أعاتبها على هجرانها   ترك العتاب لها لذيذ عتابها
إن أخفق العشاق في كتم الهوى   فأنا الكتوم لنجمها وشهابها
لا تسألوا عنها وعن أحوالها   هي فوق أسئلة وفوق جوابها
وعن اسمها لا تسألوا ومكانها   إني الأمين على دروب شعابها
أنا لو لفظت حروف اسم حبيبتي   لغرقت والدنيا ببحر ملابها
شكراً لمن قد نولتني رشفةً   من عذب مبسمها وخمر رضابها
إن عز ماء النبع حسبي نهلةً   من وهم ماءٍ لامعٍ بسرابها
قد مات جوعاناً، حسيراً، ظامئاً   من لم يذق يوماً كؤوس شرابها
أوحت لعاشقها بقرب حضورها   وتسترت عنه ببعد غيابها
سأظل منتظراً خطاب حبيبتي   روحي معلقة بفصل خطابها
تمشي وراء حبيبتي شمس الضُحى   مكسوفة من حسنها وشبابها
قد بلغتني أمنياتي كلها   لما دعتني من وراء حجابها





آفاق

معارض الكتب.. رحيق الثقافة

معارض الكتب الدولية منابر ثقافية تحرص عليها الدول؛ لتبرز من خلال فعالياتها المختلفة ثقافتها وتراثها؛ لأن هذه المعارض مع أنها تتخذ الكتاب محوراً إلا أنها تشتمل على أنشطة ثقافية تحقق التقارب والتثاقف بين مختلف المهتمين بالشأن الثقافي.

ومعرض الكتاب عرس للكتاب؛ لأن الأساس تناول صناعة الكتاب بكل تعقيداتها، ومراحلها، ومشكلاتها، ومعرفة الأفكار التي تحلّق في فضاء الإبداع، وتلمس الوسائل التي تعزّز هذه الصناعة تأليفاً ونشراً وترجمةً.

حسين حسن حسين

هيئة التحرير

نيوزيلندا تقدم كتبها وفنونها في معرض فرانكفورت الدولي للكتاب

معرض فرانكفورت الدولي للكتاب هو أكبر معارض الكتاب في العالم، ويبلغ عمره الآن أكثر من خمسة قرون، وهو ملتقى سنويّ للباحثين عن الثقافة الجادة؛ فيفد إليه في كل عام عشرات الألوف من المثقفين والكتّاب والباحثين والناشرين من كل البلدان، ويحتضن عشرات الألوف من عناوين الكتب من كل الثقافات.

ويشير التاريخ إلى أن فرانكفورت كانت ملتقى للناشرين من فلورنسا حتى أمستردام؛ بفضل يوهانيس جوتنبيرج الذي اخترع الطباعة. لكن فقدت فرانكفورت أهميتها بوصفها مركزاً لتجارة الكتب في عصر النهضة؛ بسبب القيود التي فرضها القياصرة على المدينة، وحلّت مكانها مدينة لايبسيغ التي أصبحت لاحقاً مركزاً رئيساً للنشر. وبعد الحرب العالمية الثانية قرّر اتحاد البورصة لتجارة الكتب، الذي تأسّس قبل ٧٧١ عاماً في مدينة لايبسيغ، إقامة معرض سنوي دولي للكتاب بدءاً من عام ١٩٦٤م.

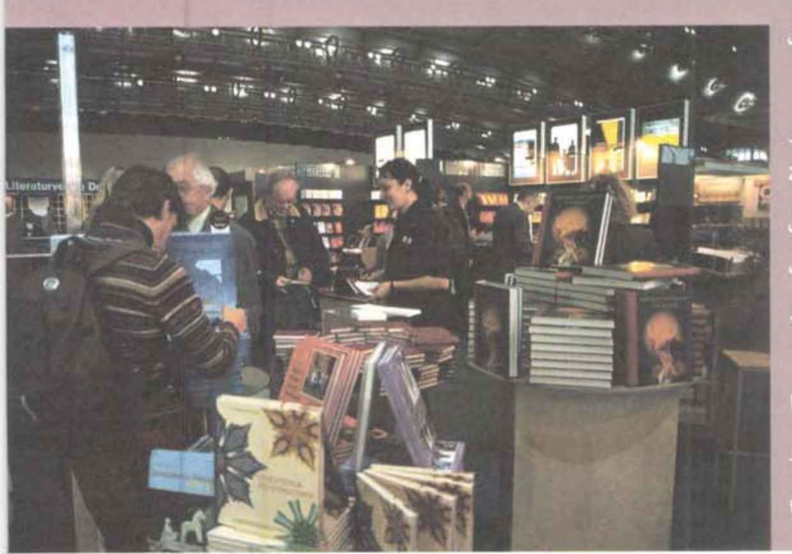
يقع المعرض على مساحة ١٧١ ألفاً، و٧٩٠ متراً مربعاً، وفيه ستّ قاعات ضخمة، وتقام على هامش المعرض فعاليات كثيرة؛ كالندوات الثقافية والأدبية، وحلقات الحوار والنقاش، والمحاضرات، وغيرها، بمشاركة كبار الأدباء والكتّاب والفنانين والمبدعين في مختلف المجالات المعرفية والعلمية.

ويعدّ المعرض، الذي يُقام هذا العام في المدة من ١٠-١٤ أكتوبر المقبل، فرصةً لصنّاع الكتاب في مختلف وسائله وتقنياته المكتوبة والمسموعة والمرئية لبحث هموم الصناعة ومشكلاتها، والآفاق المستقبلية. كما يتيح المعرض عقد صفقات بينهم، سواء أكانت صفقات بيع وشراء للمنتجات أم لحقوق الطبع والنشر وعقود الشراكة والوكالة.

ويستضيف المعرض في كل عام دولة؛ لتسلط الضوء على إنتاجها الثقافي والأدبي، والتعريف بتراثها الحضاري؛ بهدف تأسيس حوار حضاري بين الدول من منطلق ثقافي. وضيف شرف هذا العام نيوزيلندا، وجاء في الأخبار أن نيوزيلندا لن تقف عند حدّ إمتاع زوّار المعرض من خلال عروض الكتب، بل من خلال عروض موسيقية وعروض رقص وعروض سينمائية، وسيشارك ٦٠ مؤلفاً من نيوزيلندا في هذا المعرض، وسيتم تقديم مأكولات ومشروبات نيوزيلندية ومسابقة لأزياء فيلمي: سيد الخواتم، والهوبيت.

وكان المعرض السابق قد شهد سرقة كتاب برتغالي يعود إلى القرن السادس عشر الميلادي، وتقدّر قيمته بـ١٨,٥٠٠ يورو (٢٥,٥٠٠ دولار). وواضع الكتاب هو الفيلسوف البرتغالي الإنساني دامياؤو دوغوا، وهو بعنوان: (الفارس داميان البرتغالي يترك إسبانيا).

واحتفى المعرض بالثقافة العربية في دورة عام ٢٠٠٤م، التي افتتحها المستشار الألماني السابق شرودر، الذي أثنى على العرب، وعلى دورهم ومكانتهم، كما تحدث السيد عمرو موسى -الأمين العام لجامعة الدول العربية آنذاك- وكانت كلمة الافتتاح للأديب المصري العالمي نجيب محفوظ الفائز بجائزة نوبل. واشتملت المشاركة العربية على عروض موسيقية وفنية، وعروض حية للحرف اليدوية، ومعارض للخط.



معرض الشارقة الدولي للكتاب.. ثلاثون سنة من الانطلاق

انطلق معرض الشارقة الدولي للكتاب عام ١٩٨٢م برعاية الشيخ الدكتور سلطان بن محمد القاسمي - عضو المجلس الأعلى للاتحاد حاكم الشارقة. وتمتد هذه الفعالية السنوية على مدار ١٠ أعوام، وتجتذب الآن أكثر من ٧٥٠ دار نشر لعرض الكتب من ٤٢ بلداً، إلى جانب ٤٠٠ ألف زائر من مختلف دول العالم. ويشتمل المعرض على قطاعين رئيسين، هما: قطاع العرض، وقطاع المبيعات، اللذان يشتملان على أجنحة للكتب العربية، وأجنحة للكتب الأجنبية. وتضم أجنحة المعرض كتباً للأطفال، وكتباً إلكترونية، وكتباً إسلامية، وكتباً عامة، وكتباً أدبية، وكتباً تراثية، وكتباً علمية، وكتباً قانونية، وغيرها. ويحمل معرض هذا العام، الذي يُقام في المدة من ٧-١٧ نوفمبر ٢٠١٢م شعار (في حب الكلمة المقروءة). وستحلّ مصر ضيف شرف على المعرض؛ تعبيراً عن الاعتزاز بالمشاركة المصرية الفعالة في المعرض منذ انطلاقته الأولى، وعن جهود الهيئة المصرية العامة للكتاب في إثراء كل دورات المعرض.

ويشتمل المعرض على مسابقة معرض الشارقة الدولي للكتاب بدعم من دائرة الثقافة والإعلام بالشارقة، التي تسلّمت مشاركات المبدعين حتى ١٦ سبتمبر ٢٠١٢م، وتتضمن المسابقة عدة فروع، منها: جائزة الشارقة للكتاب الإماراتي، وهي تُعنى بتطوير آليات تشجيع المؤلفين والناشرين الإماراتيين نحو تلبية متطلبات الواقع العلمي والمعرفي في الدولة، والعناية بتفعيل حضور الكتاب في الفضاء الإماراتي من خلال الدراسات وفنون النشر والتأليف والإعداد والترجمة. وتتضمن الجائزة عدة حقول، منها: أفضل كتاب إماراتي (لمؤلف إماراتي)، وأفضل كتاب إماراتي (في مجال الدراسات)، وأفضل كتاب إماراتي (في الإعداد أو الترجمة)، وأفضل كتاب إماراتي (مطبوع عن الإمارات). وجائزة أفضل كتاب عربي. ويُشترط أن تكون الأعمال المشاركة متفردةً وجديدةً في موضوعاتها، مع استخدام اللغة العربية الفصحى، وألا يكون قد مرّ على الإصدار أكثر من سنتين. ويتفرّع عن جائزة أفضل كتاب أجنبي جائزة أفضل كتاب أجنبي في مجال الرواية، وجائزة أفضل كتاب أجنبي في مجال التجارة والاقتصاد، وجائزة أفضل كتاب أجنبي في مجال الطفل. ويتم الإعلان عن الفائزين وتكريمهم في حفل الافتتاح الرسمي لمعرض الشارقة للكتاب في السابع من نوفمبر ٢٠١٢م.

معرض فيينا الدولي للكتاب.. الاحتفاء بأدب أوربا الشرقية

يفتتح معرض فيينا الدولي للكتاب في دورته الخامسة عالم الاجتماع والمؤرخ الأمريكي ريتشارد سنت يوم ١٩ نوفمبر المقبل حتى ٢٥ نوفمبر. وسيقدم ريتشارد سنت أحدث كتبه. وهو بعنوان (التعاون). ويفتتح المعرض قبل ثلاثة أيام من بدء احتفال القراءة في ٢٢ نوفمبر من قبل كارل براسي الكاتب وعالم الكيمياء الأمريكي المنحدر من أصول نمساوية. الذي يقوم بتأليف القصص القصيرة وكتابة الشعر. ومن ضيوف المعرض. الكاتب السويسري ألكس كابوس. وبلة نويهاوس كاتب الروايات الحنانية. وفلاديمير سوروكين الكاتب الروسي.

ويتناول المعرض هذا العام أدب أوربا الشرقية وأوربا جنوب الشرقية. ويعرض أحدث الإصدارات التي تتضمن الأعمال الفكرية والأدبية. والسير الذاتية. والكتب العلمية. وأدب الأطفال والأحداث.

وأوضح جيرالد شانتين -رئيس اتحاد الناشرين النمساويين- في حوار صحفي أن معرض فيينا انطلق عام ٢٠٠٨م خلفاً لأسبوع الكتاب النمساوي. الذي كان يعدّ عرضاً لإمكانات دور النشر النمساوية.

وأشار إلى أن الانتقال إلى مركز المعارض في فيينا هو التطور الطبيعي بعد أن أصبحت أهمية المعرض تتجاوز حدود النمسا: لتصل إلى بقية الدول الناطقة باللغة الألمانية. ثم إلى جميع أرجاء العالم.

وينظر شانتين إلى هذا المعرض على أنه منبر للتبادل الثقافي بين دور النشر والمؤلفين ووسائل الإعلام. ويصف فيينا بالبوابة إلى الشرق. وهي حلقة للتبادل الفكري بين الشرق والغرب.

يُذكر أن مركز الملك عبدالله بن عبدالعزيز للحوار بين أتباع الأديان والثقافات يتخذ فيينا مقراً له. وهو يهدف إلى أداء دور كبير في التقريب بين الحضارات والثقافات وأتباع الأديان في أنحاء العالم شتى.



معرض إسطنبول الدولي

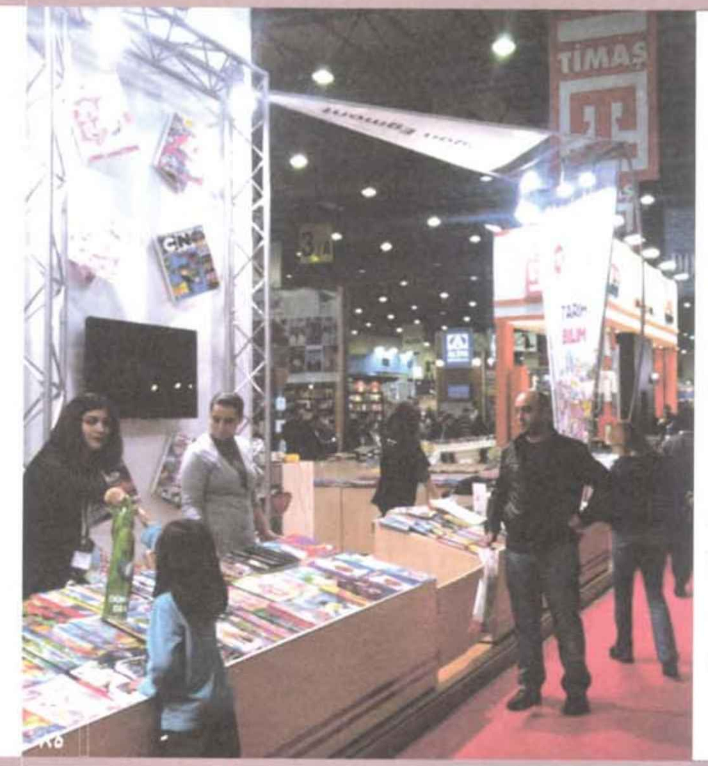
و٤٠٠ عام على العلاقات التركية الهولندية

تنطلق فعاليات معرض إسطنبول الدولي الحادي والثلاثين للكتاب في مركز المؤتمرات والمعارض في حي بويوك شكمجة في المدة من ١٧-٢٥ نوفمبر المقبل حسبما أعلنت الهيئة القومية للمعارض بالتعاون مع اتحاد دور النشر والتوزيع في تركيا. ويستضيف المعرض عدداً من الكتّاب والأدباء المشهورين من داخل تركيا وخارجها لإلقاء المحاضرات. ويضم المعرض قسماً خاصاً لكتب الأطفال

معرض الدوحة الدولي للكتاب يحتفي بالعلاقات القطرية اليابانية

تشارك اليابان في معرض الدوحة الدولي للكتاب في العام الحالي في المدة من ٥-١٥ ديسمبر ٢٠١٢م بوصفها ضيف الشرف؛ استمراراً للفعاليات المتنوعة التي تمّ تنظيمها خلال العام احتفاءً بالذكرى الـ٤٠ على تأسيس العلاقات الدبلوماسية بين اليابان وقطر، التي أطلق عليها احتفالية قطر- اليابان ٢٠١٢م؛ لإبراز العلاقات بين قطر واليابان من خلال سلسلة من الفعاليات الثقافية والرياضية والتجارية لمدة عام، برعاية هيئة متاحف قطر، ووزارة الثقافة والفنون والتراث، ووزارة الخارجية، إلى جانب سفارة اليابان في قطر، وسفارة قطر في اليابان. وكانت السفارة اليابانية في الدوحة قد أهدت دار الكتب القطرية حتى الآن ٨٤٣ كتاباً؛ مما جعلها مصدراً للتعريف بجوانب الحياة اليابانية. وبدأ تقليد ضيف الشرف في المعرض منذ عام ٢٠٠٨م؛ إذ كانت البداية بالولايات المتحدة الأمريكية، ثم تلتها فرنسا، ثم تركيا عام ٢٠١٠م، وأعقبتها إيران في الدورة المنصرمة.

وقد أصبح معرض الدوحة الدولي للكتاب من أكبر معارض الكتب الدولية؛ لما يتّسم به من مشاركة واسعة، وأنشطة وفعاليات ثقافية، بمشاركة عدد كبير من السياسيين والمفكّرين العرب والأجانب، إلى جانب كبار الشعراء والأدباء على مستوى الوطن العربي. وزاد عدد المشاركين في الدورة الماضية على ٣٥٠ مشاركاً، شغلوا نحو ٨٠٠ جناح.



تتعلق بتربية الطفل، وتنشئته، وغير ذلك. وتحلّ هولندا ضيف شرف هذا العام على المعرض؛ بمناسبة الذكرى السنوية الـ٤٠٠ للعلاقات التركية الهولندية.

وكانت الدورة الثلاثون للمعرض قد كرّمت مصر باختيارها ضيف شرف لها؛ تقديراً لثورة ٢٥ يناير، وتوطّد العلاقات السياسية والاقتصادية والثقافية بين الدولتين بعد الثورة. وتمثّلت المشاركة في ندوات فكرية وأمسيات شعرية شارك فيها: إبراهيم أصلان، وجمال الغيطاني، ومحمد سلماوي، ود. محمد عفيفي، ود. محمد هويدي، وأحمد الشهاوي، وتطرّق بعضها إلى تاريخ العلاقات المصرية التركية، وآفاق الترجمة بين اللغتين، مع الاحتفال بمرور مئة عام على ميلاد نجيب محفوظ، ومعرض صور يؤرّخ لأحداث الثورة بعنوان: (سجّل يا زمان)، وعروض لفرقة النيل للفنون الشعبية التابعة لهيئة قصور الثقافة المصرية.

التاريخ الروسي في معرض موسكو الخامس والعشرين

طرح معرض موسكو الدولي للكتاب في دورته الخامسة والعشرين، التي أقيمت في المدة من ٥-١٠ سبتمبر الماضي، سؤالين مهمين يُقلقان عشّاق الثقافة الجادة، هما: هل هناك حاجة إلى كتب ورقية في عصر الإنترنت؟ وكيف يمكن مدّ جسور التواصل بين النشر الذي يهذب العقل وجمهور القراء؟. ومع هذين السؤالين طُرحت أسئلة كثيرة عن قضايا الأدب المعاصر، ومشكلات النشر، تداولها وحاول الإجابة عنها ناشرون وكتّاب ونقّاد من ٦٠ بلداً في العالم. وقد شارك في هذه الدورة أكثر من ١٥٠٠ دار نشر.

وأخذ المعرض هذا العام عنوان (عام التاريخ الروسي)، فخصّص بعض المعروضات لأحداث تاريخية مهمة من التاريخ الروسي، منها الذكرى ١١٥٠ لتأسيس دولة روسيا، والذكرى ٣٠٠ لولادة العالم الروسي الكبير ميخائيل لومونوسوف، والذكرى ٢٠٠ للحرب الأهلية عام ١٨١٢م.

وكان ضيف شرف المعرض فرنسا؛ إذ حضر عدد كبير من الكتّاب الفرنسيين المعروفين للقاء قرائهم من الروس والدول الأخرى. أما العارض المركزي فكان أرمينيا، التي تحتفل هذا العام بالذكرى ٥٠٠ لإصدار أول كتاب، كما أعلنت منظمة اليونسكو مدينة يريفان عاصمة الكتاب العالمية لعام ٢٠١٢م.

وتناول المعرض في مؤتمر خاص قضايا الترجمة الفنية بحضور ١٥٠ مترجماً من أنحاء العالم، وتأتي أهمية هذا الموضوع من أنه يصدر في روسيا الاتحادية كلّ عام نحو ١٢٠ ألفاً من الكتب المختلفة العناوين؛ لتحتلّ بذلك روسيا المرتبة الرابعة عالمياً في هذا المجال، ويشكّل الأدب المترجم نحو ١٢٪ من هذه العناوين.

وسلّمت هذا العام أول مرة جائزة (اقرأ روسيا Read Russia)، التي استحدثها معهد الترجمة الذي يضم كل المؤسسات العاملة في هذا المجال، ابتداءً من جامعتي موسكو وبطرسبرغ حتى المكتبات ومعهد الأدب الروسي التابع لأكاديمية العلوم الروسية.

وتُمنح الجائزة في أربعة مجالات، هي: أفضل مؤلف نثري معاصر، وأفضل مؤلف شعري معاصر، والنشر الروسي في القرنين التاسع عشر والعشرين، والشعر الروسي في المدة نفسها. ومُنحت الجائزة هذا العام لأفضل ترجمة نُشرت خلال العامين الأخيرين من اللغة الروسية إلى ثماني لغات من ضمنها العربية، ومُنح المترجم مكافأة مالية قيمتها ٥٠٠٠ يورو، بينما تلقّت دار النشر التي أصدرت الكتاب ٣٠٠٠ يورو.



الجزائر تحتفل بنفسها في معرضها

عُقدت الدورة ١٧ لمعرض الجزائر الدولي للكتاب في المدة من ٢٠ - ٢٩ سبتمبر ٢٠١٢م، وحملت شعار: (كتابي حريتي). وكان ضيف شرف هذه الدورة هو الجزائر نفسها؛ بمناسبة إحياء خمسينية استقلالها.

شارك في المعرض ٤٣ دولة عربية وأجنبية، و٥٠٠ دار نشر، منها ٤٥٥ دار نشر أجنبية. وشهد المعرض أسماء مشهورة في مجالات التاريخ والفنون والعلوم والآداب والشعر والثقافة والفكر. وساهم كثيرون منهم بإلقاء محاضرات، وشاركوا في ندوات وملتقيات فكرية، وموائد مستديرة، وسلسلة من المقاهي الأدبية، ولقاءات أخرى.

ومن الفعاليات التي خُصّصت لخمسينية استقلال الجزائر: ملتقى حول (الأدب والثورة)، تضمن عدداً من المحاضرات والندوات. ومن الموضوعات التي تم تناولها: تاريخ الثورة التحريرية من خلال النشر، والنضال الثوري من خلال الفن التشكيلي والسينما، وحرب التحرير والمؤرخون الشباب، والثورة التحريرية في الإبداع العربي، والتعذيب خلال الثورة الجزائرية. وشملت الفعاليات عرض وثائق تاريخية عن الخمسينية، وأمسيات شعرية، وعروض أفلام، وهي أفلام مقتبسة من أعمال أدبية لكبار الروائيين الجزائريين: مثل: مولود معمري، ورشيد ميموني، وعبدالحميد بن هدوقة، إلى جانب أفلام أجنبية مقتبسة من أعمال روائية عالمية، إضافةً إلى عروض مسرحية.

وكرّم المعرض الشهيدين مولود فرعون، وأحمد رضا حوحو، والأديب رشيد بوجدرة، ورابح بلعمري، ومحمد الصغير وسطاني - مؤسس منشورات دار الكتاب - لريادته في نشر الكتاب في الجزائر، إضافةً إلى تكريم ياسمينة خضراء عن مجمل أعماله.

وأوضحت وزارة الثقافة الجزائرية توجّهها نحو إنشاء معرض دولي خاصّ بالكتاب الديني، بدل دمجه في معرض الكتاب الدولي.

معرض بيروت.. اكتواء الثقافة بنيران السياسة

يبلغ عمر معرض بيروت الدولي للكتاب ستة وخمسين عاماً، ويتضمن كلّ عام مئات العناوين شاملةً مختلف مجالات التخصصات الثقافية والعلمية والمعرفية، وهو يحفل بكثير من الأنشطة الثقافية من عروض مسرحية، وندوات، ومحاضرات، وحلقات حوار، وأمسيات شعرية.

وضمّ معرض العام الماضي أكثر من ٢٢٣ دار نشر لبنانية وعربية، ونحو ٢٣ مؤسسة دولية، و٢٣ مؤسسة ثقافية من مختلف البلدان العربية، إضافةً إلى لبنان. وكان من فعالياته الثقافية: ندوة حول كتاب (رحلة بين العلم والتربية من المقاصد إلى المقاصد وما بينهما) لرفيق عيدو، وندوة عن (النموذج الإسلامي التركي وأثره في الفكر السياسي في العالم العربي)، وأخرى حول كتاب (تاريخ سورية المعاصر) لكمال ديب، وأمسية شعرية بعنوان: (تشكيلات في الواقع الأدبي والشعري والإنجاز الشخصي). ومواكبةً للأحداث أقيمت ندوة (الربيع العربي من الاستبداد إلى الديمقراطية)، طرح فيها كريم مروة سؤالاً مهماً، هو: إلى أين ستقود هذه الثورات؟. كما أقيمت أمسية شعرية سعودية لسعد البواردي وجاسم عساكر، وكرّم الشاعر اللبناني نعيم تلحوق في حفل خاصّ.

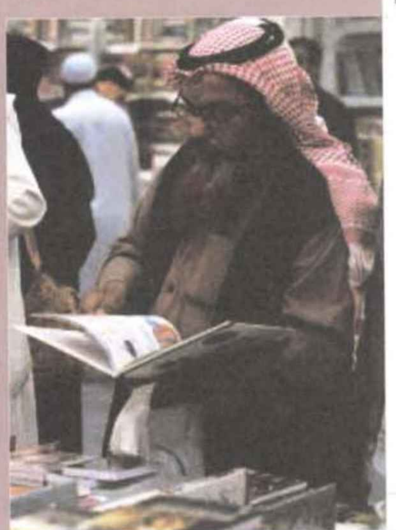
ويُخشى أن تلقي أحداث سورية بظلالها على المعرض، الذي لم يتم تحديد موعده الذي يكون دائماً في شهر ديسمبر من كل عام.

الجوائز ميزت معرض الرياض الدولي للكتاب الماضي

في شهر مارس من كل عام ينتظر أهل الفكر والثقافة عرس الثقافة في الرياض، المتمثّل في معرضها الدولي للكتاب الذي يحظى برعاية خادم الحرمين الشريفين، وتنظمه وزارة الثقافة والإعلام، ممثلةً في وكالة الوزارة للشؤون الثقافية، في مركز معارض الرياض الدولي.

وكانت الدورة الماضية، التي انطلقت يوم الثلاثاء ١٣ ربيع الآخر سنة ١٤٣٣هـ/ ٦ مارس ٢٠١٢م، قد أخذت شعار (الحياة.. قراءة)، ونالت إقبالاً كبيراً على مدى ١٠ أيام، وكانت مملكة السويد ضيف شرف المعرض. واختير الشعار لما تمثّله القراءة من أهمية في الحياة؛ فهي تفتح آفاقاً رحبة في العقول، وانفتاحاً بلا حدود على العالم.

وشارك في المعرض أكثر من ٤٥٠ دار نشر من مختلف دول العالم، وأطلقت وزارة الثقافة والإعلام جائزة للكتاب لـ١٠ كتب متميزة في الحقول المعرفية شتى، وأطلقت -كذلك- معرض الكتاب الافتراضي على الإنترنت، الذي يستطيع المتصفح من خلاله التجوال في المعرض، والاطلاع على المحتويات، والشراء من دون أن يغادر منزله أو مكتبه.



وفاز بجائزة المعرض في مجال الفلسفة الدكتور راشد بن عبدالعزيز آل الشيخ المبارك عن كتابه (شموخ الفلسفة وتهافت الفلاسفة)، وفي مجال اللغة العربية وآدابها فاز الدكتور سعد البازعي عن كتابه (لغات الشعر: قصائد وقراءات)، وسعد الدوسري عن كتابه (الرياض.. نوفمبر ٩٠)، وفي الفنون فاز أحمد الواصل عن كتابه (تغني الأرض: أرشيف النهضة وذاكرة الحداثة)، وفي الجغرافيا المهندس ناصر العطوي عن كتابه (معجم تبوك- ٣ أجزاء)، وكانت جائزة التاريخ من نصيب الدكتورة دلال بنت مخلد الحربي عن كتابها (المرأة في نجد: وضعها ودورها.. ١٢٠٠-١٣٥١هـ/ ١٧٨٦-١٩٣٢م)، وفي مجال الآثار فاز الدكتور سليمان الذييب عن كتابه (مدونة النقوش النبطية في المملكة العربية السعودية)، وفي العلوم الدكتور عبدالرحمن المشيقح عن كتابه (معجم المشيقح لمصطلحات العلوم الزراعية والبيئية)، وفي التعليم الدكتور محمد الخازم عن كتابه (اختراق البرج العاجي: قراءة التحولات الجيوسياسية والتأثير الأيديولوجي في بنية وسياسة التعليم العالي)، وفي القانون فاز الدكتور أيوب الجربوع والدكتور خالد المحيسن عن كتابهما (المركز القانوني للمرأة في المملكة العربية السعودية). ومُنح كل مؤلف ١٠٠ ألف ريال، وكلّ دار نشر ١٠٠ ألف ريال، بمجموع جوائز قدرها مليونا ريال.

وفي إطار مشروع (الكتاب للجميع) تم الاحتفاظ بخمسة كتب لأبرز الروّاد من الأدباء والمفكرين، هم: حمد الجاسر، وأحمد السباعي، وعبدالكريم الجهيمان، وعبدالعزيز مشري، ومحمد صادق دياب.

وينتظر محبو الثقافة الدورة المقبلة لعلها تحمل الجديد، الذي يؤكد تطور المعرض، واتساع تأثيره، خصوصاً أن الفعاليات الثقافية في الدورة الماضية حرّكت كثيراً من مياه الثقافة الراكدة.

حضور بهيّ للسينما في معرض دلهي العشرين

انطلق يوم السبت ٣ ربيع الآخر سنة ١٤٣٣هـ/ ٢٥ فبراير ٢٠١٢م معرض دلهي الدولي للكتاب الذي يُقام كلّ سنتين في نسخته العشرين. وامتد هذا المعرض تسعة أيام برعاية المؤسسة الوطنية للكتاب في الهند، وشارك فيه ١٣٠٠ ناشر من ٢٦ بلداً من خلال ٢٥٠٠ جناح. وحمل شعار (السينما الهندية في ١٠٠ عام): بهدف التركيز في العلاقة بين الأدب والسينما، والتعريف بالكتب التي تم تحويلها إلى أفلام سينمائية. وذلك بالتعاون مع مؤسسة الإذاعة والتلفزيون وإحدى الشركات الهندية لإنتاج الأفلام. وتضمن المعرض عرض أكثر من ٣٠٠ كتاب وفلم.

كما احتفى المعرض بشكل خاص بالعاصمة الهندية دلهي، وخصّص لها جناحاً لإبراز تاريخها. كما خصّصت أجنحة للأطفال، وتمت دعوة ألف طالب من ٣٠ مدرسة، ونُظّمت لهم برامج خاصة.

يُذكر أن هذا المعرض انطلق عام ١٩٧٢م بحضور نحو ٢٠٠ ناشر في مساحة ٧٧٨٠ متراً مربعاً. وبعد مرور ٤٠ عاماً من انطلاقته لا يزال لديه الكثير الذي يقدمه إلى عشاق الثقافة، الذين ينتظرونه كل عامين: أي أن المعرض المقبل سيكون في فبراير عام ٢٠١٤م.

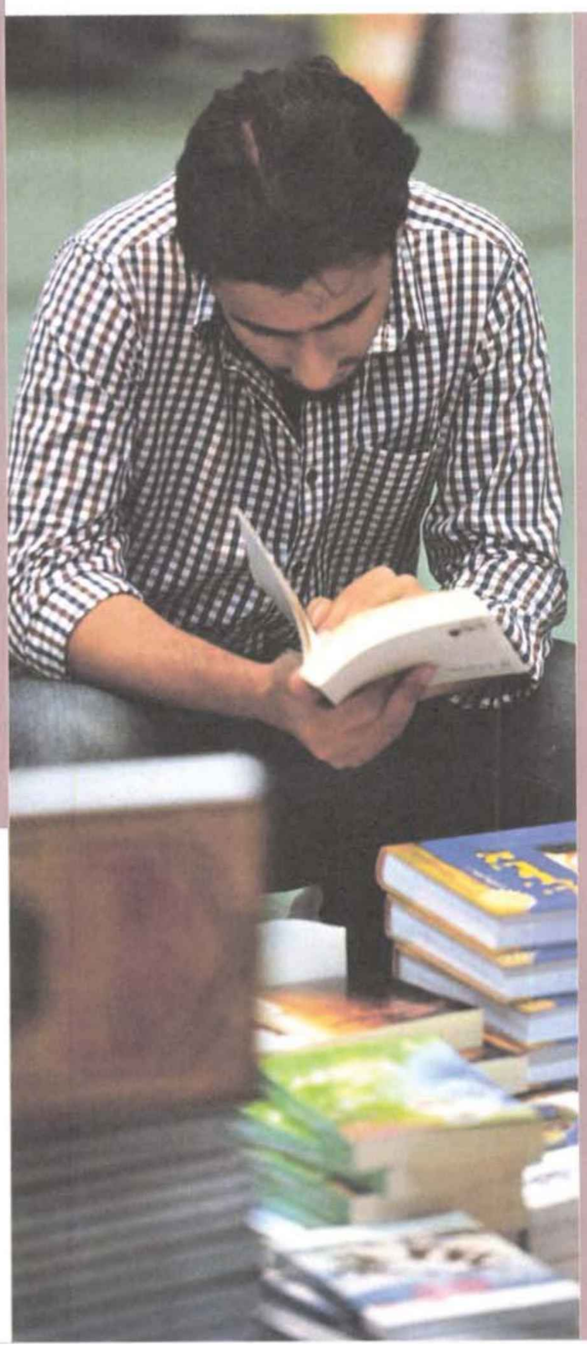


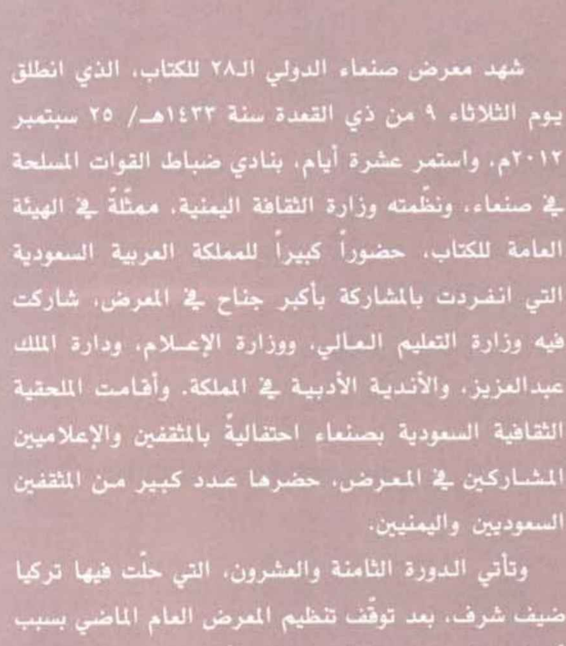
معرض مسقط يستعد للدورة ١٨

تجري الاستعدادات على قدم وساق في العاصمة العمانية مسقط برئاسة الدكتور عبدالمنعم بن منصور الحسني -وزير الإعلام العماني، ورئيس لجنة معرض مسقط الدولي للكتاب- لبحث ترتيبات إقامة معرض مسقط الدولي للكتاب، وقد ناقشت اللجنة موضوعات تحضيرية لإقامة الدورة الثامنة عشرة للمعرض في شهر فبراير عام ٢٠١٣م. وأطلقت اللجنة موقعاً خاصاً بالدورة الجديدة، وقالت في دعوتها للمشاركة: من منطلق حرص اللجنة المنظمة للمعرض، وهي تحضّر وتستعد لإقامة الدورة الثامنة عشرة للمعرض، أن تجعل من هذا المعرض منبراً ثقافياً يسوده المناخ الملائم للالتقاء بين الشرائح الثقافية على مختلف اتجاهاتها الفكرية والأدبية. وأكدت اللجنة المنظمة أنها ستسخر كل الطاقات الإدارية والثقافية واللوجستية لتكون حاضنةً ومستوعبةً كلّ ما يخدم نجاح هذه الدورة ويعزّزه.

وشارك في الدورة ١٧ للمعرض أكثر من ٥٠٠ مشارك، ووصل عدد المشاركين بشكل مباشر ٤٥٠ مشاركاً من ٢٣ دولة، مقارنةً مع ٤١٥ مشاركاً في الدورة التي قبلها (٢٠١١م).

المملكة تنفرد بأكبر جناح في معرض صنعاء الدولي للكتاب





شهد معرض صنعاء الدولي الـ٢٨ للكتاب، الذي انطلق يوم الثلاثاء ٩ من ذي القعدة سنة ١٤٣٣هـ/ ٢٥ سبتمبر ٢٠١٢م، واستمر عشرة أيام، بنادي ضباط القوات المسلحة في صنعاء، ونظّمته وزارة الثقافة اليمنية، ممثّلةً في الهيئة العامة للكتاب، حضوراً كبيراً للمملكة العربية السعودية التي انفردت بالمشاركة بأكبر جناح في المعرض، شاركت فيه وزارة التعليم العالي، ووزارة الإعلام، ودارة الملك عبدالعزيز، والأندية الأدبية في المملكة. وأقامت الملحقية الثقافية السعودية بصنعاء احتفاليةً بالمثقفين والإعلاميين المشاركين في المعرض، حضرها عدد كبير من المثقفين السعوديين واليمنيين.

وتأتي الدورة الثامنة والعشرون، التي حلّت فيها تركيا ضيف شرف، بعد توقّف تنظيم المعرض العام الماضي بسبب أحداث الثورة الشعبية اليمنية التي أطاحت بالرئيس اليمني السابق علي عبدالله صالح، وشارك فيها نحو ٢٠٠ دار نشر محلية وعربية وأجنبية ووكلائها في اليمن، بينما وصل عدد العناوين المعروضة قرابة الـ٢٠٠ ألف عنوان، شملت كل المجالات المعرفية، إضافةً إلى مشاركة أمريكية وهندية وتركية أول مرة. وتصدّرت مصر قائمة الدول المشاركة في المعرض هذا العام بنحو ٧٥ دار نشر، تلتها المملكة العربية السعودية بقرابة ٢٠ داراً.

وصاحب المعرض نحو عشرين فعالية ما بين أمسيات وقراءات نقدية وندوات وغيرها من الفعاليات التي حضر فيها الشعر في فعالية واحدة، بينما أبرز عدد من الفعاليات ملامح التجربة الروائية اليمنية الجديدة والمتميزة من خلال ندوات متنوعة وتوقيع إصدارات بمشاركة عدد كبير من الأدباء والكتّاب اليمنيين.

معرض الكويت الدولي.. من سوق للكتب إلى حراك ثقافي

يمثّل معرض الكويت الدولي للكتاب منذ دورته الأولى عام ١٩٧٥م أحد الملامح المهمة لدور دولة الكويت الثقافي؛ لأن المعرض ليس سوقاً للكتاب فقط، وإنما يمثّل فضاءً ثقافياً يلتقي فيه الجميع حول الكتاب. ويصاحبه كثير من الأنشطة الثقافية والفنية التي تصنع حراكاً ثقافياً حقيقياً للقارئ والمتابع في الكويت. ويقدم المعرض خدمةً حقيقيةً للناشر العربي للالتقاء مباشرةً مع القارئ الكويتي، وفرصة كذلك للناشر الكويتي للتحاور مع الناشرين المقبلين من خارج الكويت لتبادل الخبرات، إضافةً إلى الحرص الكبير على المشاركة من كثير من دور النشر الخارجية؛ مما اضطر إدارة المعرض إلى الاعتذار عن عدم قبولها كثيراً من طلبات المشاركة في أنشطة الدورة السادسة والثلاثين للمعرض التي أقيمت في أكتوبر ٢٠١١م.

وتنطلق في ٢١ نوفمبر الجاري، وتستمر حتى أول ديسمبر، أنشطة الدورة السابعة والثلاثين من المعرض في أرض المعارض الدولية بمنطقة مشرف. وتحرص إدارة المعرض سنوياً على تقديم خدمات للناشرين بوضع المطبوعات الخاصة بهم داخل الأجنحة، وهي خدمة لا تتوافر في المعارض الأخرى، خصوصاً أن معرض الكويت يمثّل أهمية خاصة للناشرين بوصفه من أكبر المعارض التي تحقّق رواجاً في البيع الفردي. وتشير الإحصائيات السنوية إلى أن معرض الكويت من المعارض الجاذبة للقارئ والباحث.

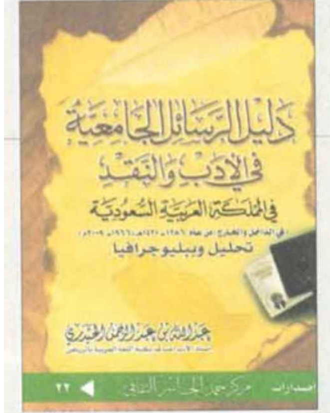
ويتوقّع القائمون على المعرض أن تزداد المشاركة في معرض هذا العام، مقارنةً بالدورة السابقة التي شاركت فيها ٢٢ دولة، منها ١٣ دولة عربية، من خلال ٥١٨ دار نشر، منها ٤٦٧ دار نشر أهلية، و٤٤ مؤسسة رسمية، و٧ منظمات عربية ودولية، إضافةً إلى استمرار أنشطة المعرض الجديدة التي انطلقت الدورة الماضية بالتعاون مع بعض المؤسسات بهدف تشجيع القراءة؛ مثل: برنامج الإنجليزية للمستقبل بالتعاون مع المعهد الثقافي البريطاني في الكويت، ومشروع الجليس لإحياء الثقافة.

احتفاء مغربي بالسعودية في معرض الدار البيضاء

احتفت الدورة الثامنة عشرة لمعرض الدار البيضاء الدولي للنشر والكتاب في المدة من ٩-١٩ فبراير عام ٢٠١٢م بالمملكة العربية السعودية ضيف شرف، واستقبلت أكثر من ٧٠٠ دار نشر مغربية وعربية وأجنبية من ٤٠ دولة، تحت شعار (وقت للقراءة.. وقت للحياة).

وتجسيداً لشعار الدورة استعاد المعرض تقليد اليوم المهني المخصّص لمهن الكتاب، الذي شهد لقاءات العاملين في صناعة الكتاب، وخبراء القراءة والمكتبات، تناولوا فيها هموم الكتاب والنشر والتوزيع والقراءة، وانتهوا إلى تقديم مقترحات تسهم في تجاوز أزمة الكتاب. وكانت وزارة التعليم العالي السعودية، ممثلةً في الإدارة العامة للتعاون الدولي، قد أعدت برنامجاً لمشاركة المملكة في معرض الدار البيضاء؛ إذ شارك عدد من المفكرين والمثقفين السعوديين في إحياء فعاليات متنوعة شملت المحاضرات والأمسيات الشعرية والسردية والندوات في جناح المملكة، وفي معرض الكتاب بشكل عام.

دليل الرسائل الجامعية في الأدب والنقد في المملكة العربية السعودية



يقع هذا الكتاب في ٢٨٥ صفحة من القطع المتوسط، وهو من تأليف الدكتور عبدالله بن عبدالرحمن الحيدري - أستاذ الأدب المساعد في كلية اللغة العربية بالرياض - ونشر مركز حمد الجاسر الثقافي سنة ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م.

ويتضمن الكتاب معلومات ببليوجرافية وتحليلية عن الرسائل الجامعية السعودية المنشورة في الداخل والخارج عن الأدب والنقد في المملكة العربية السعودية خلال مدة تتجاوز الأربعين سنة (١٣٨٦- ١٤٣٠هـ/ ١٩٦٦- ٢٠٠٩م).

ويأتي نشر هذا الكتاب لتلبية الحاجة الماسة لدى الدارسين في الحقلين الأدبي والنقدي؛ ليتمكنوا من الاطلاع على المشهد الأكاديمي المتزامن مع النهضة التعليمية التي شهدتها المملكة. ويوفّر هذا العمل الوقت والجهد للبحث والاستقصاء، كما يساعد على تلافي التكرار الحاصل في دراسة بعض الموضوعات، ويفتح آفاقاً رحبة للإضافة والتطوير، ويعدّ مرجعاً مهماً في مكتبات الدراسة الجامعية العليا.

وتنبع أهمية هذا الكتاب من أن مؤلفه ممن خبروا إعداد الببليوجرافيا ونشرها؛ فقد سبق له نشر ببليوجرافيا عن (النقد الأدبي في المملكة العربية السعودية) سنة ١٤٢٧هـ. كما أنه من المؤمّل أن يجد فيه الباحثون خدمةً نافعةً؛ إذ يقدم لهم صورة واضحة المعالم لما أنجز في هذا الحقل، ورؤيةً تعريفيةً لما كُتب في موضوعٍ ما في الأدب والنقد في المملكة من دراسات علمية سابقة، خصوصاً أن التعريف بكل رسالة يتضمن: عنوان الرسالة، واسم الباحث، واسم المشرف، وأسماء المناقشين، وتاريخ المناقشة، والدرجة العلمية وجهة المنح. ووزّع المؤلف رسائله الجامعية (المُناقشة والمُسجّلة) في اثني عشر عنواناً، وبلغ عددها مجتمعةً ٣٣٨ رسالة، مُرقّمة داخل كلّ عنوان. وهذه العناوين هي: أدب الأطفال، وأدب الرحلة، ودراسات تاريخ الأدب، والسيرة الذاتية، والشخصيات الأدبية، والشعر، والصحافة الأدبية، والقصة القصيرة، والقصة والرواية، والمسرحية، والمقالة، والنقد الأدبي. كما ضمّن المؤلف كتابه تحليلاً لواقع هذه الرسائل، تضمّن عدد كلّ من: الرسائل المناقشة، والرسائل المسجلة، والرسائل المطبوعة، والرسائل غير المطبوعة. كما ختم كتابه بفهرس لهذه الرسائل مرتّبة هجائياً، وآخر رتّبها فيه حسب الموضوع. إضافةً إلى فهرس الأعلام الواردة في الكتاب.

تطوير مراكز التنمية والخدمة الاجتماعية

يقع الكتاب في ٤٧٧ صفحة من القطع الكبير. وهو من إعداد مركز البحوث والاستشارات الاجتماعية والتنموية بتكليف من المركز الوطني للدراسات والتطوير الاجتماعي التابع لوزارة الشؤون الاجتماعية بالمملكة. ويحمل الكتاب الرقم (٢٥) ضمن سلسلة البحوث والدراسات التي يصدرها المركز الوطني للدراسات والتطوير الاجتماعي.



يتكوّن الكتاب من أربعة أبواب، حمل الباب الأول عنوان: البناء النظري للدراسة، وشمل ثلاثة فصول، تناول الأول منها

أهمية الدراسة، وأهدافها، ومفاهيمها. وتمثّلت هذه الأهمية في استجلاء واقع مراكز التنمية والخدمة الاجتماعية التابعة لوزارة الشؤون الاجتماعية، بوصفها من أبرز المؤسسات المعنية بالتنمية الاجتماعية في المملكة، وهدفت الدراسة إلى تطوير هذه المراكز ليكون أداؤها مواكباً المتغيرات الثقافية والاجتماعية والاقتصادية. وتناول الفصل الثاني التنمية الاجتماعية في الفكر السوسيولوجي المعاصر، ونشأة مراكز التنمية والخدمة الاجتماعية، وأهدافها، ولوائحها. وشمل الفصل الثالث أهم الدراسات السابقة ذات الصلة بموضوع الدراسة الراهنة: بغية الوقوف على أهدافها، ومناهجها البحثية، ومجالاتها البشرية والجغرافية والزمانية، ومعرفة ما توصّلت إليه من نتائج، وما أوصت به من توصيات: للاسترشاد بها في هذه الدراسة.

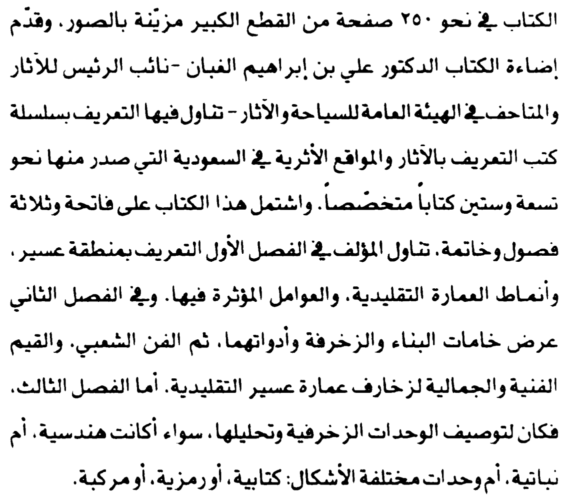
وحمل الباب الثاني عنوان: الإطار المنهجي للدراسة، وجاء في ثلاثة فصول أيضاً، تناول الأول منها تساؤلات الدراسة التي تشكّل المحور الأساسي لها، ومنهجية البحث التي ارتكزت عليه، بينما تناول الفصل الثاني أدوات جمع البيانات التي اعتمدت عليها الدراسة. وركّز الفصل الثالث في مجالات الدراسة من خلال ثلاثة مجالات رئيسة، هي: المجال الجغرافي الذي أُجريت فيه الدراسة الميدانية، والمجال البشري أو عينة الدراسة التي تمّ جمع البيانات منها، والمجال الزمني الذي يحدد المدة الزمنية التي استغرقتها الدراسة نظرياً وميدانياً، وهي أربعة عشر شهراً.

وجاءت الدراسة الميدانية في الباب الثالث، الذي تكوّن من ستة فصول، هي: تحليل اتجاهات أرباب الأسر نحو أنشطة مراكز التنمية والخدمة الاجتماعية، وتحليل اتجاهات أرباب الأسر نحو أنشطة لجان التنمية المحلية، واتجاهات رؤساء لجان التنمية الاجتماعية الرئيسة والمحلية، واتجاهات العاملين بمراكز التنمية والخدمة الاجتماعية، ومقومات المراكز وإنجازاتها وخصائص منطقة خدماتها واتجاهات مديري المراكز، واتجاهات المسؤولين والمختصين من ذوي العلاقة بمراكز التنمية والخدمة الاجتماعية.

وشمل الباب الرابع والأخير فصلين، هما: نتائج الدراسة، والتوصيات، التي تنوّعت بين توصيات عامة تتعلق بمراكز التنمية والخدمة الاجتماعية وهياكلها المجتمعية، وتوصيات خاصة بلجان التنمية الاجتماعية المحلية، وتوصيات خاصة بالأجهزة العاملة بمراكز التنمية والخدمة الاجتماعية، وتوصيات خاصة بالتمويل، وتوصيات خاصة بالتنسيق والمتابعة.

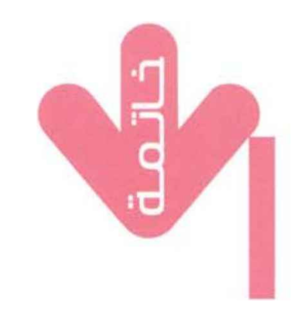


فن زخرفة العمارة التقليدية بعسير: دراسة فنية وجمالية



صدر عن الهيئة العامة للسياحة والآثار (قطاع الآثار) بالرياض سنة ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م، ضمن سلسلة دراسات أثرية محكمة (٨)، كتاب (فن زخرفة العمارة التقليدية بعسير: دراسة فنية وجمالية)، لمؤلفه علي بن عبدالله مرزوق. يقع الكتاب في نحو ٢٥٠ صفحة من القطع الكبير مزيّنة بالصور، وقدّم إضاءة الكتاب الدكتور علي بن إبراهيم الغبان -نائب الرئيس للآثار والمتاحف في الهيئة العامة للسياحة والآثار- تناول فيها التعريف بسلسلة كتب التعريف بالآثار والمواقع الأثرية في السعودية التي صدر منها نحو تسعة وستين كتاباً متخصّصاً. واشتمل هذا الكتاب على فاتحة وثلاثة فصول وخاتمة، تناول المؤلف في الفصل الأول التعريف بمنطقة عسير، وأنماط العمارة التقليدية، والعوامل المؤثرة فيها. وفي الفصل الثاني عرض خامات البناء والزخرفة وأدواتهما، ثم الفن الشعبي، والقيم الفنية والجمالية لزخارف عمارة عسير التقليدية. أما الفصل الثالث، فكان لتوصيف الوحدات الزخرفية وتحليلها، سواء أكانت هندسية، أم نباتية، أم وحدات مختلفة الأشكال: كتابية، أو رمزية، أو مركبة.

وتناول المؤلف في خاتمة كتابه منهجه في البحث لإثراء مادة الكتاب، وكان الوصف التحليلي هو المعتمد بواسطة المسح الميداني، إضافةً إلى الاطلاع على الكتب والدراسات السابقة. ومع أن المؤلف من أبناء المنطقة إلا أنه يؤكد أنه استفاد كثيراً من المعلومات التي اكتسبها عن طريق الاستبانة. وتوصّل الكاتب إلى خمس وعشرين نتيجة، وثماني توصيات، تؤكّد في مجموعها الثراء الذي تمتلكه المملكة العربية السعودية من حيث الآثار والعادات والتقاليد الجميلة.



هل نحن بحاجة إلى إعلام خاص للأطفال؟

فوزي تاج الدين محمد
القاهره - مصر

ما زال الجدل قائماً بين أن يخضع الإعلام بكلّ أشكاله لرقابة صارمة، أو ما يُعرف بمقصّ الرقيب، أو تركه حراً، وعلى المتلقي أن ينتقي ما يشاء، ومع صعوبة تحديد ما نريد، خصوصاً أننا في كثير من الأحيان نعرف بدقة ما لا نريد، بينما نخطئ غالباً في تحديد ما نريد، وهذا الأمر يتعلق هنا بالحرية وعدم الحرية، ولا شك في أن القرآن الكريم أشار في كثير من المواضع إلى حرية التعبير: الجدال بالتي هي أحسن، ولا إكراه في الدين، واختيار المرء بين الإيمان والكفر، ومن أقوال الفلاسفة ما قاله جون ميلتون: الحرية هي أن نعرف، وأن نقرأ ما نعتقد من دون قيود، وما تبناه فلاسفة فرنسا خلال ثورتها ١٧٨٩م: حرية نشر الأفكار والآراء.

لقد اعتدنا أن ننظر إلى الإعلام من الجانب الأكاديمي على أنه وظيفة من وظائف الاتصال، وعلى ذلك يكون الاتصال أكثر شمولاً وعمومية، وإن كان مصطلح الإعلام يستخدم في كثير من الأحيان مرادفاً لمصطلح الاتصال فلا بأس أن نقول: إعلام جماهيري، أو اتصال جماهيري.

وأياً كان الأمر، لا يستطيع أحد أن يتجاهل أن البيئة الاتصالية الإعلامية تتّصف بتعدّد وتنوّع غير مسبوقين بين وسائل الإعلام التقليدية والحديثة، سواء أكانت محليةً حكوميةً، أم خاصةً، أم أجنبيةً وافدةً، سواء عبر اتصال من بُعد أو اتصال فضائي، وأن المسافات والحدود تلاشت، وما قيل أيضاً عن أن وسائل الإعلام متاحة للجميع أمر غير صحيح تماماً؛ فهناك وسائل مشفرة تحتاج إلى إنفاق مستمر من جانب المتلقي.

من هنا، ولأن الشباب هم الأكثر استخداماً للإنترنت، ومع وجود أكثر من ٦٠٠ قناة عربية فضائية، وتلاشي العلاقات الأسرية داخل الأسرة الواحدة، واختفاء الرقابة الأبوية، إلى جانب أن الأطفال يمثّلون ما يقرب من نصف السكان العرب؛ فهم بحكم السن أكثر احتياجاً إلى تمكينهم من حقوقهم الاتصالية من دون أضرار، كل هذه الحقائق تؤكد أهمية الجانب التفاعلي في مجال إعلام الطفل، خصوصاً أن البيئة الاتصالية أتاحت للأطفال كثيراً من وسائل الإعلام والاتصال، ومصادر المعلومات، والتعليم والتعلّم، ووسائل الترفيه، وهذا الأمر جعل عملية اختيار ما يتم التعامل معه وتحديده مهمة صعبة؛ مما يتطلب الاهتمام من جانب الإعلاميين وأصحاب القرار بالسعي إلى إيجاد آليات لتلافي الآثار السلبية من جانب بعض المواد الإعلامية.

الإعلام التفاعلي

مما يزيد الأمر تعقيداً أن الأطفال لا يقبلون بصورة كبيرة على البرامج والمواد المعدة خصيصًى لهم، بينما يتّجهون نحو ما هو منتج للكبار، إما لرغباتهم في كشف أسرار هذا العالم الممنوع عليهم، وإما لمحاكاتهم، وأغلب الظنّ أن ما يُقدم إلى الأطفال هم يرونه دون المستوى شكلاً وموضوعاً، كما أن تنامي دور وسائل الإعلام في حياة الأطفال، خصوصاً مع انتشار الأمية بأنواعها، والعشوائيات، والحرمان من بعض الحقوق، تصبح هذه الوسائل في ظلّ هذه الظروف وسيلة تسلية ومعرفة وانفتاح على الآخرين وخروج عن نطاق الهموم، والبحث عن نماذج يتخذونها قدوةً ومثالاً أعلى، في الوقت نفسه، هناك حاجة شديدة إلى تحديد الاحتياجات المعرفية لهؤلاء الأطفال في ضوء متطلبات روح العصر، وبما لا يتعارض مع أسس التربية، على أن تحقق هذه الاحتياجات كلاً من المتعة والمنفعة.

وهنا تظهر أهمية الإعلام التفاعلي في مجال إعلام الطفل: أي المعد لهم من دون غيرهم، والتركيز في التلفزيون الذي يعدّ عالماً خاصاً بهم، أو ما يُعرف بالعالم الافتراضي؛ مما يتطلب الدقة فيما يُطرح.



أفكار يستفاد منها

يمكننا في هذا السياق، الاستفادة من الأفكار التي طُرحت في مؤتمرات عالمية وعربية عن إعلام الطفل والتربية الإعلامية، نذكر منها:

- إعلان جرنوالد بألمانيا (١٩٨٢م) تحت شعار: نحن نعيش في عالم واحد يوجد فيه الإعلام في كل مكان وزمان: إذ أكد وجود برنامج متكامل للتربية الإعلامية ودعمها بدءاً من مرحلة ما قبل المدرسة، ووضع برامج ودورات تدريبية للمدرسين في هذا المجال.
- مؤتمر تولوز بفرنسا (١٩٩٠م) بعنوان: الاتجاهات الحديثة في التربية الإعلامية، ومن توصياته: التحرك لمصلحة التربية الإعلامية، وتعظيم دورها.
- مؤتمر فيينا بالنمسا (١٩٩٩م) بعنوان: التربية من أجل عصر الإعلام والتقنية الرقمية، ومن توصياته: تسهيل تبادل التجارة بين الدول فيما يتعلق بمناهج التربية الإعلامية القائمة على أساس المبادئ الأخلاقية.

حلقة نقاشية بأشبيلية بإسبانيا، ومن أهم توصياتها: تدريب المعلمين، وتطوير المناهج الخاصة بالتربية الإعلامية، والشراكة الإعلامية مع المدارس.

- مؤتمر الرياض بالمملكة العربية السعودية (٢٠٠٧م)، وناقش باستفاضة: الثقافة التربوية والثقافة الإعلامية بين التكامل والتناقض، ودور الشبكات التعليمية في خدمة التقنيات الاتصالية الحديثة، واستخدام الاتصال في الإنترنت في العملية التعليمية، ودمج تقنية المعلومات في التعليم للتربية الإعلامية، ونحو وضع منهج خاص للتربية الإعلامية بما يتناسب وطبيعة المجتمع العربي.

تمثّل هذه التوصيات، خصوصاً توصيات مؤتمر الرياض، نقاطاً مضيئةً على الطريق، وإذا اتفقنا على وجوب إيجاد إعلام خاصّ بالأطفال فهناك بعض الأمور التي يجب عدم إغفالها، وتتمثّل في:

لا تعارض بين كون الإعلام عمليةً مركبةً (صناعة، وتجارة، ورسالة) وكونه صاحب دور متميز ورائد في تحقيق التنمية بشقيها البشري والاقتصادي؛ تأسيساً على أن هؤلاء الأطفال يشكّلون المستقبل ويقودونه في ربع القرن المقبل.

تلك مسؤولية جماعية لا تقتصر على الإعلام وحده، وحتى لا تضيع الجهود المبذولة نطرح بعض الأفكار لعلها تكون جواز مرور إلى عالم أفضل نتطلع إليه جميعاً وسط زخم من الأحداث كثير منها جديد علينا لا مفرّ من مواجهتها، ومن هذه الأفكار: مراعاة المصلحة العامة، والانطلاق من مبدأ عين على الحاضر، وأخرى على المستقبل، وترسيخ أهمية البعد التربوي الأخلاقي، وتفعيل مواثيق الشرف الإعلامية، والتطبيق الجيد للتربية الإعلامية بالمدارس، وإصدار صحف، وتأسيس برامج إذاعية، وأخرى تلفازية خاصة بالأطفال، يشاركون في إعدادها، وتخريج عدد كافٍ من اختصاصيي الإعلام التربوي، وتوثيق العلاقة بين إعلام الطفل ومختلف الأنشطة التربوية، وتحسين الصورة التي يظهرها الإعلام حالياً للمعاق والمعلم، وعدّ التربية الإعلامية مكوّناً رئيساً في المنظومة التعليمية الثقافية وغير الثقافية.

المراجع

(١) منى الحديدي، أساليب توعية الأطفال من التأثيرات السيئة للوسائل الحديثة، كلية الإعلام، جامعة القاهرة، ٢٠٠٨م.

(٢) نادرة سمير، نحو إعلام تربوي عبر موجّه، دراسة غير منشورة، إعلامية تربوية.

(٣) آفاق جديدة، مجلة أسبوعية إذاعية، ضمن مشروعات اللجنة الوطنية، اليونسكو، القاهرة، ٢٠٠٨م.



الجمعية السعودية الخيرية للتوحد

تنظم

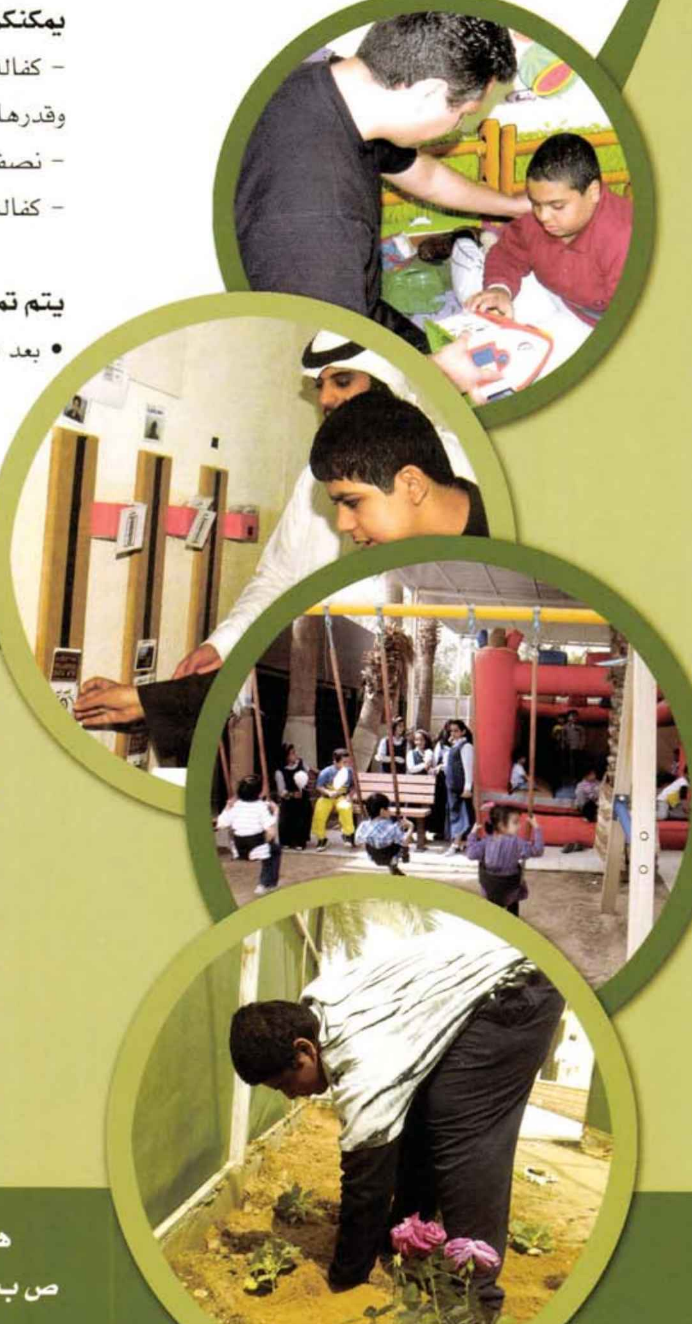
برنامج كفالة طفل يعاني من التوحد للأسر المحتاجة

يمكنكم تخفيف معاناتهم عن طريق :

- كفالة طفل مصاب بالتوحد لكي يلتحق بمركز الجمعية السعودية الخيرية للتوحد وقدرها (١٨,٠٠٠) ريال سنوياً.
- نصف كفالة (٩٠٠٠) ريال .
- كفالة لأكثر من حالة (تحدد حسب العدد) .

يتم تمويل البرنامج بدعمكم عن طريق التبرعات والهبات والزكاة

- بعد دراسة الحالة الاقتصادية والاجتماعية للأسرة المحتاجة من قبل المختصين.



تقدم الجمعية السعودية الخيرية للتوحد:

- التشخيص والتقييم للقدرات ومستوى الأداء.
- الخدمات التربوية المتخصصة.
- الخدمات التأهيلية المتخصصة.
- الخدمات الاجتماعية.
- التدريب على التواصل.
- تعديل السلوك.
- التدريب على الاستقلالية.
- الرحلات والزيارات الترفيهية والتعليمية.
- المواصلات من المنزل إلى المراكز والعكس (قدر الإمكان).
- التوعية والتدريب للأسر حول الكيفية المثلى للتعامل مع الحالات في المنزل والمدرسة.

هاتف : ٢١٢٠٠٥٠ - ٤٤١٣٠١٠ فاكس : ٢١٢١٠٠٨
ص ب ٦٩٢٩٦ الرياض ١١٥٤٧ P.O Box 69296 Riyadh11547
Tel ٤٤١٣٠١٠ - ٢١٢٠٠٥٠ Fax ٢١٢١٠٠٨



الجمعية الخيرية لرعاية الأيتام
CHARITY COMMITTEE FOR ORPHANS CARE

للتبرع أو الاستفسار يرجى الاتصال على الرقم الموحد ٩٢٠٠٠١١٣٣

www.ensan.org.sa

مصرف الراجحي ١٦٤٦٠٨٠١٠٠٠٠١٩٠	بنك الرياض ٢٠١١٦٩٣٠٤٩٩٠١	البنك الأهلي التجاري ٢٢٣١٩٠٠٠٠٠٠٠٢٠٠
مصرف الإنماء ٦٨٢٢٠٠٠٢٠٠٠٠٠٠	بنك ساب ٠٢٠٠٩٩٩٩٠٤٧٢	البنك السعودي الفرنسي ٧٧٩٦٤٠٠٠١٦٣
مجموعة سامبا المالية ٩٩٠٧٠٠٤٧٥٨	بنك البلاد ٩٩٩٣٣٣٣١١١١٠٠٠٥	البنك العربي الوطني ٠١٠٠٨١١٧٤٠٠٠٠٠